

١٨٩٢ - ١٩٣٢

الهلال

في أربعين سنة

١ - تاريخ مجلة الهلال ومؤسسا وبعض ما قيل فيهما

٢ - تطور العالم في ٤٠ سنة ونظرات الى المستقبل

٣ - مختارات من مجلدات الهلال في أربعين سنة

عنيت وشره

ادارة الهلال بمصر

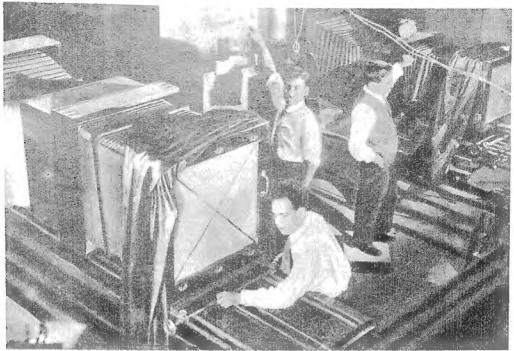
سنة ١٩٣٢



حضرة صاحب الجلالة الملك



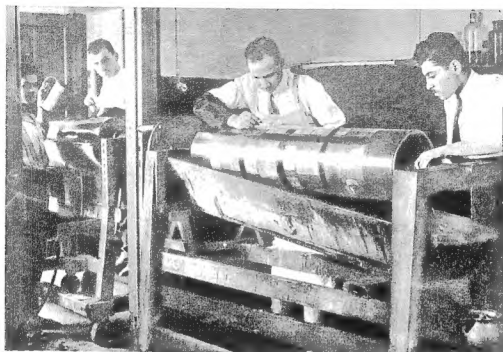
بعض العظماء والكبراء والادباء
الذين آمنوا الهلال بنفقات اقلامهم
او تحدثوا اليه في سنواته الاخيرة



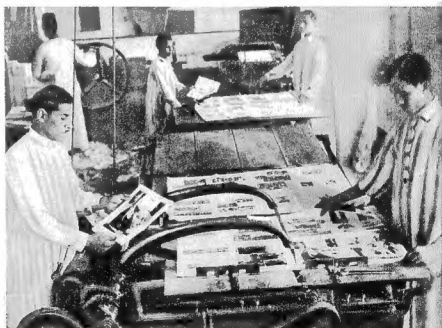
تمثل هذه الصورة كيفية نقل الصور لحفرها بطريقة الراتينج التي كانت دار الهلال أول دار صحفية في الشرق استعملتها في طبع مجلاتها. وكانت مجلة « الصور » من أولى المجلات العربية التي طبعت بهذه الطريقة



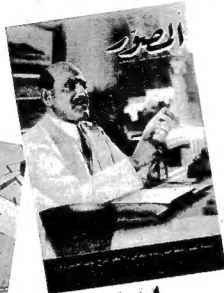
أخذت هذه الصورة في قسم الطباعة بدار الهلال ، وهي تمثل بعض عماله هناك الذين هم يقومون بتصحيح النسخ المطبوعة من مجلات دار الهلال



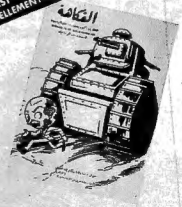
يرى القارىء في هذه الصورة اثنى من عمال قسم المحر يدار الملال وهما يقومان بمعالجة اسطوانة نحاسية
بعض التركيبات الكيميائية لحفر الصور والكتابة فوقها



رؤا أخرى أخذت في قسم التجليد ، وهي تمثل الآلة الاوتوماتيكية التي تقوم بطي المجلات
لاعدادها للتوزيع على باعة الصحف



الابطال



المجلات

التي تصدر عن دار الهلال



رءوس بعض الصفحات من اعداد الهلال



المرحوم جرجي زيدان مؤسس الهلال

١٩٣٢ - ١٩٩٢

المهلال

في اربعين سنة

١ - تاريخ مجلة المهلال ومؤسستها وبعض ما قيل فيهما

٢ - تطور العالم في ٤٠ سنة ونظرات الى المستقبل

٣ - مختارات من مجلدات المهلال في اربعين سنة

عنيت بنشره

ادارة المستشفى بنصر

سنة ١٩٣٢

مقدمة

حتم الهلال في هذه السنة المقد الرابع من حياته
وجدير بنا - في هذا المقام - أن نلقى على عملنا نظرة فحس وتقدير واستلهم
فهل تقدم الهلال في خلال السنوات الماضية ؟
والى أى مدى كان تقدمه ؟



إذا قيس تقدم المجلة بجمعها ، فلا شك أن الهلال قد تقدم . فقد كان العدد الاول منه في ٣٢ صفحة
وعدد اليوم يقع في ١٦٠ صفحة
وإذا قيس تقدم المجلة بانتشارها ، فلا شك أيضاً أن الهلال قد تقدم . فان قراءه كانوا يعدون بالمئات ،
وهم يعدون الآن بالآلاف في مختلف الاقطار
وإذا قيس تقدم المجلة بجمال طبعها وتنسيقها ، فلا شك كذلك ان الهلال قد تقدم تقدماً محسوساً
يكفى أن تنظر الى صفحاته وصوره ورسومه لتتسبح بصحة ذلك
أجل . اذا قسنا تقدم الهلال بأحد هذه المقاييس المادية جزمنا بتقدمه . . . ولكن هل هذا هو التقدم
المنشود ؟



عندما أنقضى الهلال - في سنة ١٨٩٢ - لم يكن لمؤسسه من ذخيرة يعتمد عليها غير عزمه الصادقة .
ومع أنه احتار الصحافة مهنة يزنق منها ، فانه - الى ذلك - كانت تدفعه الى العمل الصحفي رغبة أكيدة
في خدمة الجمهور ورفع المستوى الذهني والخلقي
فالى جانب الآلات والمواد التي استخدمت في اصدار الهلال ، والى جانب المكاتب والمحابر والدفاتر
والمعاملات - الى جانب ذلك كله كانت هناك فكرة ، أو قل هي شعلة ما برحت ملتهبة منذ أنشأ جرجي
زبدان الهلال ، وما برح الذين جاءوا بعده وتناولوها منه يحرقون على بقائها وضاعة
تلك الشعلة هي من « دار الهلال » بمنزلة الروح من الجسد - هي علة الحياة ، ومصدر الوحي ،

والمرجع الذى يستلهم ويستلهم... ولولاها لما زادت « دار الهلال » على كونها مجموعة من الجدران الحجرية
والاجهزة والادوات المعدنية وغير ذلك من الاشياء التى تدخل فى تشييد أى مصنع من المصانع

✽ ✽ ✽

ولقد أصدرنا اليوم هذا الكتاب وجعلناه مرآة تتجلى فيه نشأة الهلال وتطوره فى خلال الأربعين
سنة الماضية. فأوردنا فصولا عن تأسيسه وتاريخ مؤسسه وبعض ما قيل فيها والخدمات التى أديها للآداب
العربية. ثم أردفنا ذلك بمباحث متنوعة عن حالة العالم فى خلال هذه الحقبة ونظرات الى مستقبل الحضارة
والانسانية. ثم خصصنا الجانب الاكبر لمختارات جمعناها من مجلدات الهلال الاربعين وهى ولا شك من
أحسن الآثار الادبية والمباحث العمرانية التى لشرتها الصحافة العربية

☆☆☆

والآن . فلنغمض أعيننا هنيهة ولنصور أن أربعين سنة أخرى قد انقضت على الهلال ...
ماذا عسى أن يقوله ذلك الكاتب الذى سيتولى كتابة الفاتحة فى الجزء الاول من السنة الثمانين ؟
لعله يراجع هذه الاسطر فيسجل تطور العالم فى زمنه وتقدمه فى سبيل النشأة الروحية
لعله يسجل - الى جانب تعدد المخترعات والمستحدثات - ارتفاع المستوى النهى والخلق
لعله يسجل انتشار العدل والانصاف - على اختلاف صورهما - بين الطبقات وبين الشعوب
لعله يسجل - على الخصوص - تقدم مصر فى ثقافتها ورفاقتها ، ويسجل نبوءها المقام الجدير بها
وتاريخها بين أمم الارض

ولعله - أخيراً - يحتم فاحته بتريده شعار الهلال ... مثل ما يردده كاتب هذه المقدمة : الى الامام !

اكتوبر ١٩٣٢

اميل زيدان

القسم الاول

- ١ - مؤسس الهلال
- ٢ - مقتطفات مما قيل في مؤسس الهلال
- ٣ - تاريخ مجلة الهلال
- ٤ - بعض ما قيل في الهلال
- ٥ - دار الهلال الآن ومجلاتها

مؤسس الهلال

تاريخه في صفحة

- ولد مؤسس الهلال في بيروت في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٦١
- تلقى مبادئ العلوم في بعض مدارسها الابتدائية
- واضطر الى ترك المدرسة صغيراً لمساعدة والده
- ودرس اللغة الانكليزية في مدرسة ليلية في مدة لا تتجاوز خمسة أشهر
- ثم انتظم في « جمعية شمس البر » الادبية فكان يحضر حفلاتها
- وفي سنة ١٨٨١ صمم على ترك شغله والمثابرة على طلب العلم
- دخل المدرسة الكلية ببيروت للدراسة الطب فحسب بها سنتين
- حدث اختلال في تلك المدرسة فخرج منها بعد ما نال شهادة في العلوم الصيدية
- جاء مصر عقب الحروب العراية لتكملة الطب
- حول عزمه عن دراسة الطب واشتغل محرراً بجريدة الزمان
- وفي سنة ١٨٨٤ سافر في الرحلة التبيلية الى السودان مترجماً بقلم المحاربات
- عاد الى مصر بعد عشرة أشهر وقد نال ثلاثة أوسمة مكافأة له على خدماته
- في سنة ١٨٨٥ انتدبه المجمع العلمي الشرقي ببيروت ليكون عضواً عاملاً به
- أقام ببيروت عشرة اشهر فدرس اللغات العبرية والسريانية واخوانهما
- في سنة ١٨٨٦ انتدبه مجلة « المقطف » لادارة أشغالها ، فقام بذلك نحو عامين
- انصرف بعد ذلك الى الكتابة والتأليف
- في سنة ١٨٩٢ أصدر مجلة الهلال
- كان في أول نشأة الهلال يتولى وحده جميع شؤنه
- لما اتسع نطاق الاعمال في الهلال عهد في ادارته الى شقيقه واستخدم آخرين
- أكتب على التأليف والتحرير ، فكتب بعد نشأة الهلال مؤلفات جمة
- قام بعدة رحلات أهمها رحلاته الى الآستانة والى أوروبا وفلسطين
- في ٢١ يولييه سنة ١٩١٤ وافته المنية فجأة فاضت روحه الى خالقتها

آثاره

- محور آثاره كلها ، الهلال ، وقد اصدر منه ٢٢ مجلداً
- أم مؤلفاته ما يأتي :

تاريخ مصر الحديث - جزءان	
تاريخ تمدن الاسلامى - خمسة اجزاء	
تاريخ العرب قبل الاسلام - جزء واحد	
تاريخ آداب اللغة العربية - ٤ اجزاء	
تراجم مشاهير الشرق - جزءان	
الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية - جزء واحد	
تاريخ الماسونية العالم	• •
تاريخ اللغة العربية	• •
أنساب العرب القدماء	• •
علم الفراسة الحديث	• •
طبقات الامم	• •
عجائب الخلق	• •

- نقل تاريخ التمدن الاسلامى الى خمس لغات هي : الاوردية ، والتركية ، والانكليزية ، والفرنسية ، والفارسية . وترجم كتاب الفلسفة اللغوية الى التركية
- ألف عدة روايات تاريخية جعلها متسلسلة منذ ظهور الاسلام
- ظهر من سلسلة روايات تاريخ الاسلام ١٨ حلقة اليك أسماها :

١ - فتاة غسان - جزءان	٧ - فتح الاندلس	١٣ - احمد بن طولون
٢ - أرمانوسة المصرية	٨ - شارل وعبد الرحمن	١٤ - عبد الرحمن الناصر
٣ - عذراء قريش	٩ - ابو مسلم الخراساني	١٥ - فتاة القيروان
٤ - ١٧ رمضان	١٠ - العباسة أخت الرشيد	١٦ - صلاح الدين
٥ - غادة كربلاء	١١ - الامين والمأمون	١٧ - شجرة الدر
٦ - الججاج بن يوسف	١٢ - عروس فرغانة	١٨ - الانقلاب العثماني

- له اربع روايات خارجة عن السلسلة هي :
- ١ - المملوك الشارد ٢ - أسير المتمهدي ٣ - استبداد المماليك ٤ - جهاد المحبين
- وقد نقلت هذه الروايات الى أم اللغات الشرقية وبعض اللغات الاوردية

مقتطفات مما قيل في مؤسس الهلال

مقال للمرحوم السيد مصطفى لطفى المنفلوطي

لا اعلم أين تذهب نفس الانسان بعد موته ، ولا أين مكانها الذى تستقر فيه بعد فراق جسدها ، ولا ماهى الصلة التى تبقى بين المرء والحياة الدنيا بعد رحيله عنها . فان كان صحيحاً ما يقولون من ان ساكن القبور يستطيع ان يجد ما بين صخورها ورجامها منفذاً يشرف منه على هذه الدار فيسره ماترك ورايه فيها من ذكر جميل وثناء عاطر وسيرة صالحة ومجد باق ، فان نصيب جرجى زيدان اليوم من الهناء والنبطة بما ترك في هذه الحياة من جليل الآثار وصالح الاعمال أوفر الانصبة واوفاها

ما انعم الله على عبده نعمة اسنى قيمة ولا اعلى جوهرأ ولا احسن اثرأ من نعمة اعتقاد الجزاء الصالح على العمل الطيب . فهو يعتقد انه يجزى على عمله مكافأ به مؤمناً كان أم ملحدأ ، معترفاً بنعيم الآخرة أم منكراً اياه . فان كان الاول ساقه الى العمل الصالح شغفه بجنة الخلد وجورها وولادتها ، ولؤلؤها ومرجائها ، وروحها وربحائها . وان كان الثانى ساقه اليه شغفه بالذكر الجميل ، والسيرة الصالحة والحياة الباقية فى السنة الاجيال وبطون التواريخ . ولولا هاتان الجنتان - جنة المؤمنين وجنة الملحين -

ماجد فى هذه الحياة جاد ولا عمل فيها عامل

ان ميدان الحياة الدنيا اضيق من أن يسع بين غايته العمل الصالح والجزاء عليه معاً . وكيف يسعها جميعاً والمرء لا يكاد يفرغ فى حياته من عمله الذى يتوقع عليه الجزاء حتى تنطفئ ذبالة حياته ، أو تحترق لخمعة شبابه ، حيث تموت فى قلبه لذة العظمة ، وتنضب فى فؤاده شهوة المجد . فان فرغ منه قبل ذلك لا يترك له حساده ومنافسوه ساعة من ساعات فراغه يستطيع ان يسكن فيها الى نفسه ليستشعر برد الراحة ولذة الجزاء . فلا بد ان يكون للجزاء حياة اخرى غير هذه الحياة . اما حياة الاجر ، أو حياة الذكر

ما ت جرجى زيدان فنحن نكبه جميعاً . أما هو فانه يتقسم لبكائنا ويرى فى تفجعنا عليه والتباعنا لفرقه منظرأ من أجل المناظر وابهاها . لانه يعلم ان هذه الدموع التى ترسلها اجفائنا وراء نعشه أو تسكبها فوق ضريحه انما هى السنة ناطقة بحبه واعظامه والاعتراف بفضلته والثناء على عمله ، وانها المداد الالهى التوراتى الذى نكتب به فى صفحة تاريخه الابيض آيات مجده الخالد وعظمته الباقية وذلك ما كان يريد ان يكون

مات جرجي زيدان فبكاه صديقه لانه كان محمد وده وإخاه، وبكاه جليسه لانه كان محمد في جواره
لنة الانس وجمال العشرة، وبكاه معنييه لانه كان يحيا بماله، وبكاه صنيعة لانه كان يعيش بمجاهه،
وبكاه قارى كنبه لانه كان محمد فيها من غزارة المادة وجمال الاسلوب وسهولة التناول مالا يجد في
غيرها، وبكاه قارى، رواياته لانه كان يجد في خيالها وجمال تصوراتها عونا على فهم الحياة وارتزائها.
اما انا فبكيت لامر فوق هذا كله

تطلع الشمس في كل صباح من مشرقها على هذه الكاتات ناطقها وصامتها، حيا وميتا، جامدها
وسائلا، فتستمد منها كل مادة حياتها التي تقومها أو صورتها التي تشكل بها، وتأخذ منها النباتات
نماها والازهار الوانها والنار حرارتها والاجسام صورتها والاجواء طهارتها ونقاها والآفاق جلالها
وبها ما. وكذلك كان جرجي زيدان في سماء هذا البلد

كان بطلا من أبطال الجد والعمل والهمة والنشاط. يكتب احسن المجلات ويؤلف أفضل الكتب
وينشئ افضل الروايات يناقش ويناضل ويبحث وينقب ويستنتج ويستنبط ويحب السائل ويفيد
الطالب في آن واحد، لا يشغله شأن من تلك الشؤون عن شأن غيره، ولا يشكو مللا ولا ضجرا ولا يحس
بمحور ولا قور. فكان القدوة الحسنة بين فريق المستنيرين من المصريين يتعلون منه أن قليلا من العلم
يتعبه صاحبه بالترية والتنمية ثم يقوم على نشره واذا عته بين الناس اتقع له ولائمه من العلم الكثير
والعمل القليل. ولو شئت ان أقول لقلت ان جرجي زيدان كان رئيس البعثة العلمية السورية التي وفدت
الى مصر في اواخر القرن الماضي فغيرت وجه العالم المصري تغييرا كبيرا، وغرست في صحرائه القاحلة
المجدبة أفراس الجد والعمل والشجاعة والاقدام والهمة والاستقلال، وعلت ابناؤه كيف يؤلفون
ويترجمون وينشئون الجرائد والمجلات وكيف يتخذون من هذا العمل الشريف صناعة يقومون بها
حياتهم المادية وحياة أمتهم الاديبة ويتقون بها مدلة الوقوف على أبواب الدواوين صباح مساء يتكفون
رؤساءها ويسألونهم ان يتخذوهم عبيدا لم يتخذوهم على مواعد عزهم وسعادتهم التي يجلسون عليها، فاما
عطفوا عليهم فالتقوا اليهم بالزر الخسيس من فئات تلك الموائد، ولما طردوهم عنها طرد الكلاب الجرباء
وكان شريف النفس بعيد الهمة متجملا بصفات المؤرخ الحقيقي الذي لا يتعصب ولا يتحيز ولا
يداهن ولا يجامل، ولا يترك لعقيدته الشخصية مجالا للعبس بجوهر التاريخ وحقائقه. فكتب وهو
المسيحي الارثوذكسي تاريخ الاسلام في كتبه ورواياته كتابة العالم المحقق الذي لا يكتف الحسنة اذا
راها ولا يسمت بالسبئية اذا عثر بها، فاجتمع بين يديه في مجلس علمه من ابناء الامة الاسلامية خاصتها
وعامتها عربا وعجمها جمع لم يجلس مثله بين يدى عالم من علماء الاسلام ولا مؤرخ من مؤرخيه في هذا
العصر. فاقام بهذا العمل العظيم لهذا الدين القويم حجة أمام أولئك الذين لا يتقون في خير من
أخباره ولا في بحث من ابحاثه بحديث شيعته وأبنائه. وكان في تسامحه هذا القدوة الصالحة للورث
يتعلم منه كيف يكتب التاريخ بلسان التاريخ لا بلسان الدين، والمثل الاعلى للعالم يتعلم منه كيف يستطيع
ان يتجرد من عواطفه ويميل نفسه وخواطر قلبه أمام الامانة للعلم والوفاء بحقه
وكان مستغيا في عمله آمينا في علاقته لا يكذب ولا يتلون ولا يخفى بعمده ولا ينكت بوعده ولا

يكسو بضاعته لوئاً غير لوئها ليزخرها على الناس ويجعلها في عيونهم ، فتعلم منه العاملون ان الكذب في المعاملة ليس شرطاً من شروط الربح ولا سبباً من أسباب النجاح

وكان واسع الصدر فسيح رقة الحلم . وقف له في طريق حياته كما وقف لغيره من قبله ومن بعده فريق المقاطعين في هذا البلد الذين لا ينطقون ولا يكتبون عن مقاطعة الناطقين ، فلبسوا ثوب الانتقاد ليشتموه . وكنوا وراء أكمة الدين ليرموه فيصموه . وقالوا إنه شوه وجه التاريخ الاسلامي وعبت بحقائقه . ولم يسأله من أين نقل ولا كيف استند بل سأله لم لم يكتب كما كتبوا ولم يستنتج مثل ما استنتجوا ، كما لم يكفهم منه أن يروه بينهم مسيحياً متسامحاً حتى أرادوا منه أن يكون مسلماً متعصباً يكتب التاريخ بلسان الدين كما يكتبون وينهج فيه كما ينهجون ، فلم يجدوه حيث أرادوا فرموه بسوء القصد في عمله وخبت الثبة في مذهبه ، ولم يستطيعوا أن يروضوا أنفسهم الجائعة على أن يقولوا ان الرجل باحث مستنتج يخطئ مرة ويصيب أخرى ، أو يقولوا إن له في تاريخ الاسلام حسنات تصغر بجانبها سيئاته فيه فلتنتفر هذه لتلك . وعندى ان أحداً منهم ما كان يعتقد شيئاً مما يقول ولكنهم كانوا يرون ان الدين سلعة تباع وتشترى وان سلعته ملك لم وقف عليهم لا يجب أن تعرض في حانوت غير حوائثهم ، وظنوا أن الرجل تاجر مثلهم يريد ان يفتح بجانب حوائثهم الحانوت التي يخافونها فاستوحشوا منه وأنكروا مكانه واستقلوا غلله ، وقالوا مرة انه مسيحي لا يؤمن على الاسلام ولا على تاريخه كما نتما ظنوا أنه ينقل حوادث التاريخ ووقائعه عن العهد القديم أو العهد الجديد ، وقالوا أخرى إنه سوري دخيل وفد هذا البلد مستزقاً فها هو بمخلص ولا بأمين . وقائهم - عفا الله عنهم - أنه كان خفيفاً فليس من أدب الضيافة ولا من خلال المروءة والكرم ان ين المضيف على ضيفه يده عنده وان يعد عليه لقياته التي يطعمها على مائدته كلما جلس معه عليها . وان كان تاجراً فقد باعهم بهذا النزر الخسيس من متاع الدنيا وزخرفها جوهر عقله وينبوع ذكائه ومادة حياته فاكثروا من الخاسرين ولا ثان من الراجحين

ووالله ما أدري كيف تنسع صدورهم للخيار والصلص والقواد الاجانب ان يفتح كل منهم في كل موطن . قدم من مدنها وقراهم حانة يسلب فيها عقولهم أو مقعراً يسرق فيه أموالهم أو ماخوراً يبتك فيه اعراضهم فلا يطاردونه ولا يحاربونه ولا يسمونه دخيلاً ولا واغلاً . ثم يضيقون ذرعاً بالعالم المهاجر ينزل بأرضهم نزول الديمة الوطفاء بالصحراء المحرقة فيعلمهم أنعلم ويذب نفوس ابنائهم ويثقف عقول نابتهم ويعبث في نفوس العزائم منهم روح الهمة والنشاط والشجاعة والاقدام ذلك هو شقاء الامم وهذا جواب السائلين عن اسباب سقوطها وانحطاطها

لم يهتق الرجل ذرعاً بهذا كله بل كان شأنه معهم ان كان يعتب عليهم ولا يشتممهم ، وينبهم الى أدب المناظرة وواجباتها ولا يؤنهم ، ويدعوهم الى اتخاذ كلمة الحق سواء بينه وبينهم ولا يكرهم . حتى انقلب عنهم يحمل في يده لواء الفضيلة والحلم وان كان مخطئاً . وانقلبوا عنه يحملون فوق رؤوسهم رذيلة التعصب والجليل وسوء الخلق وضيق العطن وان كانوا مصيبين

ولقد وضع بخطته هذه في مناظرة خصومه ومجادلتهم أول حجر في بناء الاخلاق الفاضلة في هذه

الامة فتعلم منه كثير من ادباء هذا البلد وعلماؤه كيف يستطيعون أن يتناظروا ولا يتشائموا، وأن يتعاونوا على الحقيقة المهمة فيكشفوا الغطاء عن وجهها دون أن يريقوا في معاركهم قطرة واحدة من دم الفضيلة والشرف. فان تم لهذه الامة في مستقبل حياتها حظها من شرف الاخلاق وعلو الهمة ونبله المقصد في جميع شؤونها واغراضها فلنذكر دائماً أن جرجي زيدان أحد الذين أسسوا في أرضها هذه الدولة الفاضلة دولة الآداب والأخلاق

نحن لاتعوزنا المؤلفات ولا المترجمات فالمؤلفون والمترجمون والحمد لله كثير وانما الذي يعوزنا روح عالية تحف في سماء هذه الامة خفوق النجم الزاهر في سيائه وتشرق في نفوس ابنائها اشراق الشمس في دارتها، فتبعث العزيمة في نفس الضعيف والهمة في قلب العاجز والشجاعة في فؤاد الجبان، وتقوم من الاخلاق معوجها، وتصلح من الآداب فاسدها وتثبت من العقول مضطربها، وتعلم كل صغير وكبير وقوى وضعيف أن قيمة المرء في حياته أداء واجبه للانسانية. أولاً ولامته ثانياً ونفسه أخيراً، وأن الحب سعادة الانسان والبغض شقاءه وبلاؤه، وأن الفرق بين الدين الخالص والدين المشوب أن الاول يتسع صدره لكل شيء حتى لخالفه ومحاربه، والثاني يضيق صدره بكل شيء حتى بنفسه، وأن الله تعالى اوسع رحمة واعلى حكمة من أن يسد في وجوه عباده كل طريق للوصول اليه الا طريق السيف والنار، وأن هذه الاضغان الدينية التي تلتهم في صدور الناس التهاها لا تؤججها في صدورهم الاديان بل رؤساء الاديان الذين يتجرون بها في اسواق النباوة والجليل، وأن الذين يقدسون هذه الاحقاد ويباركونها ويعتبرونها جزءاً من ماهية الدين ومقوماً من مقوماته انما يقولون من حيث لا يشعرون - ان الالحاد في العالم والفوضى الدينية فيه وعبادة الشمس والقمر والتراب والحجر أنفع للمجتمع الانساني وأحسن عليه عائدة من عبادة الاله المبود

ولقد كان جرجي زيدان روحاً من تلك الارواح العالية تمنيناها برحة من الزمان حتى وجدناها فلم تنعم بها الا قليلاً ثم فقدناها احوج ما كنا اليها. فذلك ما يبكينا عليه ويحزننا على فراقه

قصيدة للمرحوم حافظ بك ابراهيم

دعاني رفاقي والتواني مريضه	وقد عقدت هوج الخطوب لساني
لجئت وبني ما يعلم الله من امي	ومن كمد قد شفتي وبراني
ملك وتوفى بينكم مثلها	على راحل فارقه فشتجاني
اني كل يوم يضع الحزن بضمة	من القلب اني قد قدت جناني
كفاني ما لاقت من لوعة الامي	وما نابني يوم، الامام، كفاني
تفرق احبابي واهلي واخرت	يد الله يومي فانتظرت اواني

فألى صديق أن عثرت إقالي
أراني قد قصرت في حق صحتي
فلا تمدوني يوم « فصحى » فأنى
فقد غاب عنا يوم غاب ولم يكن
وفى ذمى « لليازجى » وديمة
فيا ليت شعرى ما يقولان فى الثرى
وقد رميا بالطرف بين جوعكم
أجمل فى هذا العقوق وإنما
دعائى وفانى يوم ذاك فلم أكن
وقد تمحرس الاحزان كل مفوه
أنساها والعلم فوق ثراها
وكم فزت من رب الهلال بحكمة
أزيدان لا تبعد وتلك علالة
لك الاثر الباقي وإن كنت نائياً
ويا قبر زيدان طويت مؤرخاً
وعقلاً ولوعاً بالكنوز كأنه
وعزماً شامياً له أينما مضى
وكفأ إذا جالت على الطرس جولة
أشادت بذكر الراشدين كأنما
سألت حمة النثر عد خلاله

ومالى قرب أن قضيت بكافى
وتقصير أمالى جناية جاني
لأعلم ما لا يحجل الثقلان
له بين هالات التوايح ثاني
وأخرى « لزيدان » وفد سقاني
إذا التقيا يوماً وقد ذكراني
ولم يشهدا فى المشهدين مكافى
على غير هذا العهد قد عرفاني
ضنياً ولكن القريض عصافى
يصرف فى الانشاد كل عنان
تنكس من اعلامه علان
وكم زنت من رب الضياء يانى
ينادى بها الساعون كل حسان
فأنت على رغم المنية دافى
نحلى له ما أضمر الفتيان
على النر غواص يعبر عمان
شبا هندوانى وحد يمانى
تمایل إجماباً بها البلدان
قى القدس بمن يثبت الحرمان
فألى بما أعا القريض يدان

مقال للمرحوم جبران خليل جبران

لقد مات زيدان ومات زيدان عظيم كميته ، جليل كأعماله
لقد رقدت تلك الفكرة الكبيرة وحول مضجعا تحوم الآن سكونة توحى الهبة والوقار وترفع
عن الحزن والبكاء
لقد تملست تلك الروح الطيبة ورحلت إلى عالم نشعر به ولا ندركه ، وفى رحيلها عظة للباقيين فى
قبضة الايام والليالى
قد تحرر ذلك الوجدان النبيل من متاعب العمل ومشاقه ، وسار ملتقاً برداء مجده إلى حيث يتسامى

العمل عن المشاق والمتاعب - قد ذهب زيدان الى حيث لا تراه العين ولا تسمعه الاذن - ولكن اذا كان زيدان قد انتقل الى إحدى السيارات الساجدة في بحر اللانهاية فهو الآن مشغول بنفع سكانها ، منهمك بجمع معارفها ، مأخوذ بجمال تاريخها ، منصب على دوس لغاتها
هذا هو زيدان - فكرة متحمسة لا ترتاح إلا إلى العمل ، وروح ظامئة لا تنام إلا على منكب القطة ، وقلب كبير مغمم بالركة والفيرة . فاذا كانت تلك الفكرة لم تزل كائنة بكيان العقل العام فهي تشتغل الآن مع العقل العام . واذا كانت تلك الروح موجودة بوجود النواميس فهي الآن تعمل مع النواميس .
واذا كان ذلك القلب باقياً بقاء الله فهو الآن ملتهب بشعلة الله
هذه هي حياة زيدان - ينبوع تدفق من صدر الوجود وسار نهراً صافياً يروى ماعلى جانبي الوادي من النبات والانصاب

وها قد بلغ النهر شاطئ البحر فأى متطفل ياترى يحسر أن يندبه أو يرثيه
أو ليس الندب والنواح خليقين بالذين يقفون أمام عرش الحياة ثم يصرفون قبل ان يسكبوا في راحتها قطرة من عرق جبينهم أو دم قلوبهم ؟
أو لم يصرف زيدان ثلاثين سنة مذبياً قلبه مستقظاً جبينه . وهل بيننا من لم يستق من تلك المجاري البلورية العذبة ؟
إذاً فمن شاء أن يكرم زيدان فليرفع نحو روحه ترنيمة الشكر وعرفان الجليل بدلاً من ندبات الحزن والاسى

من شاء ان يكرم زيدان فليطلب قسمته من خزائن المعارف والمدارك التي جمعها زيدان وتركها إرثاً للعالم العربي
لا تمنعوا الرجل الكبير ، بل خذوا منه ، وهكذا تكرمونه
لا تمنعوا زيدان ندباً ورنثاً ، بل خذوا من مواهبه وعطاياه ، وهكذا تخلدون ذكره

كلمة للمرحوم الدكتور شبلي شميل

قعدت لغة العرب يفقد جرجي زيدان عاملاً من أكابر عملها ومؤرخاً من أكبر مؤرخيها وأديباً روائياً من أشهر روائيينها . ولقد كانت الحسارة به على هذه اللغة وآدابها فادحة ولا سيما أن الطريقة التي خدماها بها ليست من الطرق المبتدلة التي يجري عليها أكثر الكتاب والمؤرخين . فهو مبتدع وطريقته لم يسبقه اليها أحد في هذه اللغة ، فكسبت كل هذه المباحث القديمة ثوباً جديداً تشيخاً لغت النظر اليها وحجب للقارى مطالعتها
والفقيد الكريم وان كان قد قضى وهو لا يزال يمتلئاً قوة وكنا لانزال كثيرى الأمل بتفنته واقتداره وزيادة خبرته لو فصح له بالاجل ، إلا أن حياته القصيرة كانت كثيرة البركة وكلها حياة نشاط وعمل

فأنجز في أقل من ربع قرن ما يعجز الاقران عن الاتيان بمثله في قرن، وتمكن من تميم فكرته في خدمة آداب هذه اللغة، فوضع تاريخ التقنن الاسلامي وتاريخ آداب اللغة العربية وغيرها وأوشك أن يجتمعت حلقات روايات التاريخ الاسلامي - في هذا الوقت القصير - فهو بطل من أبطال نهضتنا الحديثة القليلين على ان الاثر الاعظم لهذا الرجل العظيم ليس ما تقدم بل هو الدلال، شيخ المجلات الادبية الجامع لكل الباحث العلمية والعمرانية والسائر فيها سير الاجتماع نفسه على قدر ما يحتاج اليه المقام ويسمح به الزمان والمكان متوخياً توسيع العقول « بأسفين » التؤدة واللين خوفاً من عواقب « ديناميت » العنف الذي لا يبعد اليه إلا في مواقف معلومة

قصيدة للرحوم ولي الدين بك يكن

نادوا بالسنة الزئام فأسموا	جهد الحزين تذكر وتوجع
ياساهراً والليل يثمر بالكرى	عجباً هجعت وما عهدتك تهج
بين الحابر والدفاتر مجلس	هو للعارف والمعالى موضع
خسف الهلال به عشية تمه	من بعد ما قد كان منه يطلع
هي ضجعة ما أعقتها نهضة	ففضى الضجيج كما اقضى المضجع
لو أمهلتك لكى تودع معشراً	سبقت قلوبهم اليك تودع
استودعوك مشاية مأمونة	لم يحسبوا فيها النفيس يضيع
وتطلبوك غداً فقابل جمعهم	هول الردى والمزل المتخضع
ثم انتنوا والياس ملء قلوبهم	هيات من يعض مضيك يرجع

زيدان فضلك ليس يحجه الثرى	الفضل من تحت الجنادل يسطع
كالديم الزهاج إلا أنه	أضئ شماعاً في العيون وأبدع
ولك المآثر خالداً كلها	ذكراك من أثائها تتضوع
كتب تضمنت الزمان وشرحه	فيها فصول كالوجود وأوسع
قصص وآداب وجمع معارف	رفعت بلادك للسوى وسترفع
أحييت ذكرى السالفين أولى النبى	ان الكريم مثله يتشيع
ليدم سليل شمائل لك حرة	يقص أثرك للملاء فيتبع
هو سلوة للتاكين ومطمع	للأملين - يدوم ذاك المطمع
إنا نساجله الدموع تحسرا	حتى تجف من العيون الأدمع
وتظل في الأكباد منا غلة	بالصبر نطمعها وليست تقع

كلمة للمرحوم سليم سر كيس

جلس مخارق - وهو المنشد الصير - في مجلس هرون الرشيد وكان يتخير أحياناً بطرب بها الخليفة فأشدد :

واني محتاج الى ظل صاحب يروق ويصفوان كدرت عليه
فطرب الرشيد وقال : « يا مخارق جئني بهذا صاحب ولك نصف الخلعة ،
ولو أنني عاصرت الرشيد لأخذت نصف خلافته إذ أقدم إليه جرجي زيدان فقد كان ضالة
الأمير . كان صديقاً كاملاً في صداقته ، كما كان كاملاً في جميع أخلاقه . عرفناه أيام كان طالب علم في
المدرسة الكلية ، الى ثورة عقلاء الطلبة ، إلى قدومه إلى القاهرة . فقي جميع أدوار حياته كان صديقاً
« يروق ويصفو » ، إن كدر الناس عليه . وعرفته الأمة العربية في مشارق الأرض ومغاربها نزيه القلم
عفيف اللسان في ٢٥ سنة قضاهما بين المحابر والأوراق . كان فيها جميعاً بشهادة مجلدات الهلال الضخمة
ومباحثه الوعرة مثلاً للبدا الشريف « مناظر ك نظيرك » . كان رحمه الله صادقاً في صداقته لذويه
وأصدقائه ومعارفه ، فهو على الإطلاق الصحافي الوحيد الذي عاش في شرقنا وليس له عدو بدليل واضح
لا حاجة الى سواء - أنك لا تجد بين جميع الذين وقفوا الى صداقته من انقلب عليه . وأعلم علم اليقين أنه
كان مستشاراً لعشرات من الذين كانت مشوراته الصادقة سبباً لنجاحهم المالي في التجارة والصحافة .
على أنه أخطأ في جهة واحدة فقط وهي أنه كان صديقاً للجميع ثم كان عدواً لنفسه فلم يشفق على جسمه
ولا رحم قواه فظلم نفسه وذهب شهيد العمل الشاق إذ حكم على نفسه بالأشغال الشاقة ولكنها أشغال
استفاد منها العالم العربي رحمه الله عدد حسنة

قصيدة للمرحوم حفي بك ناصف

بربك يا زيدات هل كنت تعلم بان أديم الارض يصبغه الدم
وان صنوف الموت تملأ وجهها فلا موضع الا به النار تغرم
فابنضت ظهر الارض واعتضت بطنها الا ان بطن الارض أنجى وأسلم
وعنت قصوراً بالمصاييح زينت وراقك قبر في البلاقع مظلم
وما حسن قصر كل من فيه غاف بجانب قبر فيه بيت محرم
أنست بمن تحت الثرى حامد السرى وألهاك عنا عبيد ضم وجرم
أزيدان ما انصفتنا اذ تركتنا عليك بكياً بينما انت تبسم
نسيت ولم تنس الوداد واتنا عليك لى يؤسى وانت منم
ففارقنا صمداً ونحن بحاجة لمن ينصف التاريخ فينا ويحكم

تعال فأرخ للانام حوادثاً وارهب يراعاً للكتابة ماضياً
لئن كان ما أرخت في زمن مضى مدافع تستك المسامع دونها
إذا ففرت افواهما لكربة وسفن تبارت في المسير اراقاً
إذا انساب منها بضعة نحو معقل وغواصة كالحوت تسبح خفية
وطيارة لا يبلغ النسر شأوها فتقتض منها كالصواعق تارة
وانبوية تنساب منها سوائل متى فارقت انبويها صرن صرصراً
فقى الجوتصاقي وفي البحر مارج وفي كل ناد رنة وتحسر
فلم يحل م من بكاء ويافع فياويج شبان تخوض غمارها
لك الحق فانهم حيث انت مع الاولى وفاخر بدار ليس فيها تباعض
وان غبت عنا كان في ابنك سلوة

تصيب لما الودان هولاً وتهرم فقد جاء عصر بالحوادث مفع
عظماً فما نستقبل اليوم اعظم وتخرج من افواههم جهنم
تلك الرواسي والحصون تحطم اذا زال منها ارقم صال ارقم
فلا شئ مما ينفث الموت يعصم تطيح بحرماها سفائن عوم
تدل على جيش العدو وترجم كرات واحياناً تسد اسهم
ترد هواء الجو يعنى ويسم اذا اشتم منها القوم فالقوم جثم
وفي البر اعضاد تطير ومعصم وفي كل دار اينما سرت ماتم
ولم تحل منه ذات بعل وأيم ويأويل شبان عن الموت احجبوا
تحب وخيم بينهم حيث خينوا ونافس بحكم ليس فيه تحكم
وان عز نطق فالهلال يترجم

من خطبة للمرحوم نعوم بك شقير

« أفي كل يوم لي خليل فودع لقد كدت ان ابقى بدون خليل
ولا بد يوماً أن تجيء مني ويذهب عنى صاحبي ودخيلي »

ما ارهب الموت وما احقه وما امره وما اقواه !

يتحننا الدهر حبيباً فتحله اقتدتنا ونملكه جوارحنا . ثم يتزعه منا لجأة بلا شفقة ولا حنان .
وحكمه قاطع ابدي لا يقبل شفاعة ولا فداء . فبقى على احر من الجمر . لا رجاء لنا ولا شبه رجاء في
اللقاء الى ان ينقضى العمر !

فلينظم الشعراء المجيدون عقود المدح والثناء على فقيدنا الكريم . وليخطب الخطباء المفوهون فيه
مولفناً ومؤرخاً وصحافياً . وليثبت المؤرخون سيرته للعلا بماه الذهب . فان سيرة العصامي « جرجي

زيدان ، من افضل السير التي يقتدى بها الشبان في كل زمان ومكان . وليسمحوا لي ان اذكر الفقيه صديقاً ، وزوجاً ، واباً ، وابناً ، وشقيقاً ، وادياً ، واسكب الدمع على ذكره

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفى نجي البلابل

﴿ عقل الفقيه ﴾ سادق : نبكي في الفقيه ، عقله الراقى ، نبكي علو الهمة ، وحدة الذكاء ، ورصانة العقل ، وسداد الرأي . وبعد النظر - الهبات التي صرفها الى تحصيل العلم وبث انواره في قومه وبلاده

﴿ اخلاق الفقيه ﴾ نبكي في الفقيه على الاخص ، خلقه الراقى ، نبكي الحياء ، والحلم ، والحنان ، والانضاع ، والصبر ، والبشر ، وطلاقة الوجه ، ورحابة الصدر ، وعزة النفس ، وصدق الوداد ، وحب الالفة والسلام والاتحاد

نبكي هذه الصفات وهذه الهبات التي متنا بها في حياته وتركها قدوة للأجيال في مماته . نبكي هذه الصفات وهذه الهبات التي اكسبته من الاصحاب والمحبين من يعدون بالمئات

﴿ الفقيه واصدقاء القلم ﴾ وهذه الصفات وهذه الهبات قد تجلت بكل جانبها في هلاله ومؤلفاته المنتشرة بين الناطقين بالصناد انتشاراً عظيماً في الشرق والغرب . فكان اصحاب قلبه أكثر جدلاً من اصحابه . وكان كل يريد يحمل اليه منهم عشرات الكتب يثنون فيها عليه ويثبته إعجابهم به وحبهم له

﴿ الفقيه صديقاً ﴾ أما أصدقاؤه فقد كان لهم به ولع شديد . لانه كان يعطف عليهم عطف الاخ الشقيق على أخيه الشقيق ، حتى كانوا معه يشعرون أنهم مع قريب صميم أو حبيب كريم . فما مرض أحد منهم الا كان أول من عاده ، ولا تكب نكبة الا أقبل عليه وهون مصابه ، ولا سراً لاسر الا أسرع يهته ويشاركه في سروره

وكان مستودع سر الاصحاب ومستشارهم ومشكى ضميمهم . فما استشاره أحد في أمر إلا رأى الصراحة والاخلاص ورجاحة العقل بادية في رأيه

وقد كان رحمه الله حريصاً على الوقت لا يترك برهة تذهب سدى وأحب الاشياء اليه العمل . ومع ذلك فكان اذا جاره صديق في ساعة العمل رحب به واقبل عليه يخدمه كأن لا شغل له سواه . وكان من أحب الأمور لديه أن يرى صديقاً له يتناول الطعام على مائدته ويخدمه . وما مر يوم لم يره صاحب أو جماعة من الاصحاب . ولا دخلت منزله في اليوم المخصص للزيارة إلا وجدته حافلاً بالأصدقاء والخلائ يتحدثون في شؤون اجتماعية أدبية ، أو يتسلون بالالعاب فكاهية فكرية . وكان اكره الالعاب عنده لعب الورق . أما القمار فكان يعده ضربة على الأسرار ولعنة على الإنسانية

﴿ الفقيه زوجاً ﴾ وكان الفقيه رحمه الله مولماً جداً بالعيشة المنزلية . وقد وفقه الله الى زوجة فاضلة كانت له أكبر عون في جهاد الحياة . وكان يحبا محبة يضرب بها المثل ، وقد طالما سمعته يقول : « ان امرأتى أصل سعادتي وأساس نجاحي ، لانها يحكمتها وحسن تدبيرها قد أراحني بالي في منزلي فتفرغت لشغلي بكل قواي ،

«الفقيد أباً» وقد منحه الله ثلاثة أولاد صبيين وبنأهم غاية في النجابة والذكاء فرباهم أحسن تربية وعودهم استقلال الفكر والحرية في ابداء الآراء
 وكان إذا أخطأ ولد له رده إلى الصواب برفق ومحبة كأنه يخاطب أخاً أو صديقاً وكان يقول :
 « ان الأب ليفيد أولاده بقدرته أكثر مما يفيدهم بوعظه وتوبيخه »
 ومن شدة حنوه كان إذا مرض أحد من افراد عائلته لازم سريرته ومرضه بنفسه بصبر وناة حتى يشفى

«الفقيد ابناً وشقيقاً» سادنى : ان التربية الراقية التى ربى بها الفقيد أولاده قد كانت اساسها التربية التى نالها على يدى أبويه الصالحين

نعم كان الفقيد نابغة قومه وكان جميع آله - والداه وإخوته وإخوانه وزوجته وأولاده وسائر اقرباه - من طريق الأب والأم والزوجة - يجلوته ويتشققون خصاله ويهاونون به . ولكنه كان عصامياً بالطبع وهذا الطبع موروث عن أبويه فكان يفاخر بفضل أبيه وأمه عليه ويبالغ فى اكرامهما
 وكان الفقيد أكبر اخوته والمرشد الناصح الحكيم المعين لهم . وقد لباه اخوته كلهم قفام كل منهم معه أو مستقلاً عنه بعمل كبير مما دل على فضل التربية الاصلية كما دل على كرم العنصر وطيب الاصل
 «الفقيد أديباً» وكان أروع خلقى فى الفقيد «حب الاستقلال» ، وأحب خلقى إليه «الصدق»
 وكان يكره التظاهر والمباهاة ويبعد عن الخصام بعده عن الافى . وقد عاش ثلاثاً وخمسين سنة وعرفته فى كلية بيروت الامريكية ثم فى مصر منذ خمس وثلاثين سنة وكنت له جاراً وصديقاً . فما أعلم أنه فى حياته كلها تقاضى أحداً أو نازع أحداً أو كدر صفاء انسان بل كان يسلم جميع الناس . وما حسد أحداً على نعمة ، ولا حقد على أحد فى أمر ما ، وقد قام له بعض الحساد فانتقدوا بعض ما كتب فأغفل انتقادهم أو ردهم رداً جميلاً

وأهم موضوع كان يشغله فى ساعات الفراغ « اسرار الوجود والازلية » . وكثيراً ما قال جاداً :
 « لقد اكتفينا فى هذه الحياة علماً بعجزنا وقصورنا عن ادراك اسرار الكون فلتعجل بنا الحياة الاخرى
 لعلنا ندرك من تلك الاسرار ما يشفى الغليل »

ومن العجيب أنه قال مراراً : « أود أن أكون جالساً فتفارقنى الحياة فجأة » وكان ما تمناه طيب الله ثراه

وكان اعتقاد الفقيد « بوجود الله وخلود النفس » راسخاً فى وجدانه . وله فى هذا الشأن مباحث نفيسة فى هلاله . وما قاله : « انى لالعجب كيف يستطيع امرؤ أن يجد لذة أو معنى فى الحياة اذا خلا قلبه من الايمان بالله وخلود النفس »

كلمة للمرحوم رفيق بك العظم

من السهل أن يكتب الكاتب تاريخاً يلتقط أخباره من هنا وهناك ويأتى بها مجردة عن كل حكمة واستنتاج ويلقيها كما يلقي البغاء كلمات يتلقنها فيتلوها على المسامع . ولكن ليس من السهل أن يكتب تاريخاً يصور لك الحوادث في صورة من الحقيقة تكاد تلبسها باليد

ليست مهمة المؤرخ - الذى يسمى مؤرخاً بالمعنى الصحيح - بالمهمة الهينة بل هى مهمة تستنفد قوى الكاتب البصير إذا وجه إليها عنايته في ترتيب الحوادث وانتقاء الأخبار والتفريق بين صحيحها وفاسدها وبيان رأى الصحيح فيها وربط بعضها ببعض على وجه لا تغيب فيه عن القارئ صورة من صور الحوادث الماضية

ومن أشق الأمور على الكاتب أن يكتب تاريخاً خاصاً لموضوع من مواضيع التاريخ تبعث موادها في طباطب الكتب وتفرقت بين ثنايا التاريخ، ولا سيما تاريخ العرب الذى كتب فيه أكثر من تاريخ كل أمة، وبقدر ما كتب فيه تفرقت حوادثه وتشعبت سبل الحقائق فيه فاستعصى على الناقد البصير الوقوف على ما يريد منه إلا بعد الجهد الذى ما بعده جهد

ليس مرادنا الآن أن نبين هنا صعوبة ما يلقيه طالب الحقائق ومريد بيانها من مؤرخي العرب اليوم . وإنما المراد أن نعترف بفضل كاتب «تاريخ التمدن الإسلامى» و«تاريخ العرب قبل الإسلام» و«تاريخ آداب اللغة العربية» المرحوم جرجى بك زيدان

إن من يطالع كتب جرجى زيدان ويطالع كتب المؤرخين قبله لا يسمعه إلا الاعتراف بفضلته على التاريخ والاقرار بأنه عانى من المشاق في وضع كتبه هذه مالم يعاناه مؤرخ من قبل وأنه اختط طريقاً خاصاً للمؤرخين من العرب في تقسيم التاريخ وترتيبه يشهد أنه كان من خيرة مؤرخي العرب وأطولهم باعاً في انتقاء المواضيع الاجتماعية التى لم يسبقه الى التخصص بمثلها أحد من مؤرخينا الأقدمين

اتى عانيت من تاريخ العرب ما يعاناه المؤرخون وعرفت من صعوبته مالم يعرفه إلا من عانى ما عانيت من المشقة في انتقاء الحوادث والأخبار، فلم أر أحسن من الأسلوب الذى اتبعه في كتبه المرحوم جرجى زيدان، ولا أدق ترتيباً للمواضيع واختياراً للحوادث خصوصاً فيما يتعلق بالمدنية الإسلامية . حقق على كل مؤرخ أن يعترف بأن جرجى زيدان مؤرخ بالمعنى الصحيح وأن له فضلاً على التاريخ العربى ببيان مالم يسبق اليه من آثار المدنية العربية وتاريخها، بنفى أن يذكر له ما عرف التاريخ

. ولقد كان بوى أن أنبسط في بيان فضلته على التاريخ وما عاناه من الصعوبة في استخراج الأخبار من غير مظاهرها بسبب فقد مزية الترتيب عند السالف من مؤرخي العرب ، ولكن رأيت أن في هذا تطويلاً يحسن إرجاؤه إلى مقال خاص

قصيدة لاحمد شوقي بك

بمالك الشرق ام ادرا س اطلال وتلك دولته ام رسمها البالي
 أصابها الدهر الا في مآثرها والدهر بالناس من حال الى حال
 وصار ما تنقى من محاسنها حديث ذى محنة عن صفوه الخالي
 اذا جفا الحق ارضاً هان جانبها كأنها غابة من غير رثال
 وان تحكم فيها الجهل اسلمها لفانك من عوادي الذل قتال
 نوابغ الشرق هزوه لعل به من اللبالي جهود الياثس السالي
 ان تنفخوا فيه من روح اليان ومن حقيقة العلم ينهض بعد اعضال
 لا يعملوا الدين باب الشر يتركوه ولا محل مباهاة وادلال
 ما الدين الا تراث الناس قبلكمو كل امرئ لايه تابع تال
 ليس الفلو أميناً في مشورته مناهج الرشد قد تخفى على الغالي
 لا تطلبوا حكم بنيأ ولا صلفاً ما بعد الحق عن باغ ومختال
 ولا يضيعن بالاهمال جانبه فرب مصلحة ضاعت باهمال
 كم همة دفعت جيلا ذرى شرف ونومة هدمت ببيان أجيال
 والعلم في فضله أو في مفاغره ركن الممالك صدر الدولة الحالي
 اذا مشت أمة في العالمين به أنى لها الله أن تمشى بأغلال
 يقل للعلم عند العارفين به ما تقدر النفس من حب واجلال
 فقف على اهله واطلب جواهره كناقد ممن في كف لال
 فالعلم يفعل في الارواح فاسده ما ليس يفعل فيها طب دجال
 ورب صاحب درس لو وقفت به رأيت شبه عليم بين جهال
 وساهر بين قرطاس وعبرة يسقى العقول بعذب منه سلسال
 وتسبق الشمس في الامصار حكمته الى كهول وشبان واطفال
 (زيدان) انى مع الدنيا كمهدك في رضى الصديق مقبل الحاسد القالي
 لى دولة الشر طول الدهر وائلة مفاخرى حكى فيها وأمثالى
 ان تمش للخير أولشر في قدم اشمر الذيل أو اعثر باذيال
 وان لقيت ابن اثى لى عليه يد جحدت في جنب فضل الله افضالى
 وأشكر الصنع فى سرى وفى علنى ان الصنائع تزكو عند أمثالى
 وأترك الغيب لله العلم به ان النيوب صناديق بافضال
 كأرض الدر اكثارى وموقعه وكالاذان على الاسماع اقلالى
 رثيت قبلك أحباباً فجعت بهم ورحت من فرقة الاحباب يرثى لى

وما علت رفيقاً غير مؤتمن
أرحت بالك من دنيا بلا خلق
طالت عليك عوادي الدهر في خشن
لم نأته بأخ في العيش بعد أخ
لا ينفع النفس فيه وهي حائرة
ما تصنع اليوم من خير تجده غداً
قد أكل الله ذياك ، الحلال ، لنا
ولا يزل في نفوس القارئ له
فيه الرائع من علم ومن أدب
وفيه همه نفس زانها خلق
علت كل تؤوم في الرجال به
ما كان من دول الاسلام منصرماً
وما عرضت على الالباب فأكهة
نرى به القوم في عز وفي ضعة
وضعت خير روايات الحياة فضع
وصف لنا كيف تجفو الروح هيكلها
وهل تحن اليه بعد فرقة
هضاب لبنان من منعاتك اضطربت
كذلك الارض تبكي فقد عالمها

كالموت للبرء في حل وترحال
أليس في الموت أقصى راحة البال
من التراب مع الايام منال
الا تركنا رفاناً عند غربال
الا زكاة التهي والجاه والمال
الحسير والشر مثقال بمثقال
فلا رأى الدهر نقصاً بعد اكمال
كرامة الصحف الاولى على التال
ومن وقائع أيام وأحوال
هما لباعى المعالي خير منوال
ان الحياة بآمال واعمال
صورته كل أيام بتمثال
كالعلم تبرزه في أحسن القتال
والملك ما بين اديار واقبال
رواية الموت في اسلوبها العالي
ويستبد البلى بالمهيكل الخالي
كما يحن الى اوطانه الجالي
كأن لبنان مريض يزلزل
كالأم تبكي ذهاب النافع الغال

مقال لخليل مطران

بروم وفاته

اتم يومه واستراح
لا تقول إلا أنه نائم
في مجاه نضارة وصفاء

انه لراض عن نفسه وحقيق به ان يرضى عنها
قلب نظرك حوله تجد المئات من الكتب وتجد من هذه الكتب المشقق والمثقب ومسود الهوامش
بالرموز كلها عابس وفي الجو شبه اقبحاض . اما هو الآن فوجهه باسم

أيسم الفراق والفراق ألم وبكاء ؟
أظن فرحاً بعد جهد العناء بأنه لقي الحقيقة
أدركها وضمن بيلانها كما ضمن النابغون من قبل
ماهى تلك التى تسلى الرجل الأمين أهله وبنيه وتونسه حين وحشة المعاهد
أهى بسطة الراحة بعد انقباض التعب . أم هى الغلبة النهائية للسنة الطبيعية
الاستاذ لا يحير جواباً ، ونحن فى حيرة وجزع ، والحقيقة ضالة العاقل حتى يموت

طرف من المظهر وآدابه

ما عرفت رجلاً اجمع منذ للتقيضين - الكبير والاضاع
لم اشدده ولم أسمع عنه أنه شكا دنياه بمحضر من احد ولا انه تمنى على أحد شيئاً بأشارة او بمصارحة
كما أتى لم أجده مرة مستغفراً للأخذ بتأره من منهج عليه فى الصناعة التى هى مدار رزقه ومجور
شهرته لاعتقاده شرف غايته وسلامة صميمه من شبهة المشتبهين
فاذا نوقش فى محادثة وافق أن أخذته الحدة علا صوته فأسمعك عثرات الماء الصافى بحصاء العقيق .
فاذا دفعته فى بحث عما هو عارف به فاندفع أشبع وأروى ولم يدع فى النفس حاجة
أما آدابه فما راعى منها أنه وازنها وهىأها بحيث يرضى الأمير ويقرب الصديق ويعجب الغرب
من غير تكلف حركة خصيفة لموقف من هذه المواقف
وعلى هذا كان يعرض لى أن أقول : د فى زيدان جهود من جهة الملاقاة لا أحب عليه لينة غيره
مهما رقت وراقت ،

كيف اقتنى تلك البشاشة الرائمة

كان لا يلقى إلا بأشاً وانما كانت بشاشته تلك اشف ظواهره البسيطة الراققة عن عفته المطوية
وشممه الخفى
ذلك أنه اختط لحياته خطتين : خطه عين نفسه منتهاه من طريق العقل وبلغها على ما سألينه .
وخطه رسم لنفسه صراطاً فى جانب الخلق
الكساء والطعام والرياش أعراض فى نظره لا يعتد بها ، ومن الاعتدال فيها كان يدخر ما يصون
ماد وجهه . فإيما حالة صار من النعمة نهض الى مستواها ولكن مع ترك فضل للدخل على الخرج
فذلك الحطام اليسير المتبقى بين يديه كان يتقى ضياع وقته ويصون مادة عفته وجوهر شممه .
ومن ذلك الزائد الزهيد كان يقتنى تلك البشاشة الدائمة التى لا يحولها اغترار الحوادث ولا تشوبها
كدورة الايام ولا يتخللها اصفرار الطلب

آية فى جبره وغايته منه

كان وهو حر طليق غير مسئول الا عند نفسه ، يعمل كأن كل دقيقة من وقته محسوبة عليه

يكذ بلا انقطاع ويعتقد السعادة كل السعادة في العمل ، ومن توفيقه أنه كان بادناً قوى الجسم فلا يشعر بالتعب ، ولكن ذلك التعب في النهاية هو الذي قتله صقيفاً
استفاد من ذلك العناء المتصل ميسرة في رزقه وتطهيراً لنفسه وشرفاً في اخلاقه وكرامة على الله والناس
على أن اجمل ما أصابه من نتائج ذلك الجهد هو الوصول الى الغاية التي اليها سعى واباها قصد فقد أدرك الأوج في منازل المؤرخين ومراتب الباحثين النافعين

قصيدة خليل مطران

أعن سبق احساس بما كان يضر
فبذت ولما يرهق الناس دهرهم
أم الاجل المحتوم حل ولم تكن
فوليت لم يعصمك مدخر القوى
ولم يغن منك العلم والفضل ساعة
الا اني غاليت فيما شكوته
لقد ارحص الفالين موت جموعهم
قف الآن وانظر ما بآرك من سنا
قف الآن واسمع وقع منعاك شائماً
لقد عثر البناء عن اوج صرحه
فواراه قبر لا بعيد قراره
وكان ابر الناس بالاهل والحي
ونعم الاخ الوافي اذا ما تنكرت

* * *

لحقت بمن ارختهم فكأنكم
على الحى دون الميت تحسب احق
ورب عليم لم يحى متقدماً
لئن عاقهم عن شكرك اليوم عائق
لقد بت منهم في المقام الذي به
ألا في سبيل الله حكمتك التي
وجد به رضى الصعاب فما كبا

لذات لمهد لم تفرقه ادهر
توالت وتحصى في التعاقب اعصر
انهم علاه انه متأخر
وتدبره فالاعقاب للفضل تشكر
اذا ذكر الافراد في الخلق تذكر
جلاها هلال ماله الكون مقعر
الى أن دهاه جدك المتعثر

وآداب نفس لو توازع حسنها عراء لاضعى وهو كالروض مزهر
واخلاق احسان وعفو ورقة روائع يخفيها انتضاع وظاهر
واشتات تفريغ تحار بها النهى وآيات تديج تروع وتهر
عليك سلام الله قد بت هائلاً واكبانا من حسرة تسعر

من خطبة للاستاذ داود بركات

رهط من أبناء هذا الشرق بل أبناء اللغة العربية كان مثله كمثل الحبة الطيبة كمنت في تربة خصبة انقطع ريحها وحرمت السقيا فلم تفقد جوهرها ولكنها لم تلق ما ينشر فيها الحياة وما يبعث قوتها الكامنة من الرقاد . فلما أصابها رشاش من العلم وقطرة من مزن الترية والتهديب نشرت وبعثت ، بل نبئت ونمت وبسقت أغصانها وأورقت ، وأرسلت مجذورها الى مواطن الحضارة والمدنية فاستمدت ثم أثمرت ثمراً طيباً جناء الشرق ، وحنّت الى ما حولها فتمهدته بالحيا والسقيا ليحيا ، فقال الشرق في هذا الرهط من ابنائه إنه خيرهم ، وخير الناس من نفع الناس ،

هذا الرهط كشف عن الابصار غشاوة الجهل وروج العلم وأرسل نور مصايحه الى قصر الامير وكوخ الحقير . والعلم إذا انتشر كنور الشمس اذا استفاض يستنير به كل حى

العلم يحمي قلوب المبتئين كما تحمي البلاد اذا ما مسها المطر
هذا الرهط الذى نبت أكثره منذ نصف قرن ونسج بجده وجهده هو ابكار المدنية الشرقية الناشئة الآن . ففى كل يوم نودع منه راحلا الى ربه خالداً فينا بآثاره

وفى كل يوم نقف على جدث راحل منشدين
انت احسنت فى الحياة الينا أحسن الله فى المات اليكا

من هذا الرهط المبارك منشئ الهلال وصاحب تاريخ مصر الحديث وتاريخ التقدم الاسلامي وتاريخ العرب قبل الاسلام وتراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر وتاريخ الماسونية العام وانساب العرب القدماء وعلم الفراسة الحديث وطبقات الامم وعجائب الخلق
وصاحب فتاة غسان وأرمانوسة المصرية وعذراء قريش و١٧ رمضان وغادة كربلاء والحجاج بن يوسف وفتح الاندلس وشارل وعبد الرحمن وابو مسلم الخراساني والعباسة اخت الرشيد والامين والمأمون وعروس فرغانة واحمد بن طولون وعبد الرحمن الناصر وفتاة القيروان وصلاح الدين ومكايد الحشاشين وشجرة الدر والاقبال العثماني والمملوك الفاردي واسير المتمهدين واستبداد المالك وجهاد الحسين

مؤلفات يكفى ذكرها اليوم ويكفى ذكرها غداً وبعد غد وإلى الأبد في أرق الأسماء وأسماءها حضارة حتى يكون اسم جرجى زيدان عنوان النشاط والجد وعنوان الأدب والفضل وحتى يمثل هذا الاسم كنارة من المنائر التي قامت في مصر وأرسلت أشعتها إلى العالم العربي بل إلى العالم الشرقي كله . ولم يحفل الغرب جرجى زيدان وفضله فترجم بعض مؤلفاته بلغاتهم وعين عضواً في جمعياتهم العلمية فأحسن إلى أمته بترويج العلم فيها وأحسن إليها يبعث ذكرى مجدها القديم في ذاكرة الغرب

جرجى زيدان يتبدى فضله بأنه علم نفسه ، ويتضاعف هذا الفضل ويعظم ويفخم "ويسمو" بأنه كان في مدى حياته كلها معلماً لغيره ، ويدوم هذا الفضل غير منته إلى حد ولا منقطع إلى مدى هلاله ، وهو وحده مكتبة ضخمة لا يتقصها علم ولا يغوتا فن أو موضوع نافع ، حتى يصح أن يقال لكل طالب : « عد إلى الهلال تلق ضالك » ، وتأليفه التي تستند قراءتها شطراً كبيراً من عمر القارئ إذا قرأ فكيف بعمر المؤلف إذا كتب

يدوم فضله ويخلد بكل هذا ، ويدوم ويخلد بالسنة التي سنها بنفسه للناسفة في طلب العلم ، وبالسنة التي سنها بعد ذلك للكتاب والمؤلفين في الكتابة والتأليف ، وبالطريقة التي اتبناها في ترويج العلم فلم يعمل عليها العالم ولم يحقر دونها المتعلم . وبير الأبناء والآباء وبنزاهة العلم والأدب عما ليس علماً ولا أدباً حتى يكون العالم للإنسانية وحتى يكون العلم للجميع
فنحن من فضله الخالد فينا أمام علم العالم وإمام حياة العالم العامل

نشأ جرجى زيدان في بيروت وأبوه بحاجة إلى ذراعيه الضعيفتين في طلب الرزق . ونفسه النابتة كبيرة في صدره طموحة إلى ما يرضى من العلم ، وإلى ما يرضى والديه من العمل . فلم يهمل الواجب المفروض على الولد لوالديه ، ولم يهمل الواجب المفروض على النفس الكبيرة لصاحبها . فرأينا جرجى زيدان ابن الثانية عشرة يشتغل لعائلته نهاراً ويشغل لنفسه ليلاً ويجمع بين نبضات قلبه ودقائق حياته كلها بين الحسينين ويجمع بقوة الإرادة بين نشاط الشباب ومدارك الشيوخ فكانه ولد شيخاً « والنبت الطيب يأتي أكله طيباً في كل حين »

وبعد أن كان لنفسه ولأبويه في صباه صار لأمته وللإنسانية في الشباب والكهولة وحاله تنشد فينا :
« نفس عصام سودت عصاما »

احتاج الفتى جرجى إلى متزده يروض فيه فكره ويشرح صدره . فلم يبحث عن متزده في الملاعب ولم تجده نفسه في الملاهي ، بل في جمعية أدبية علمية هي « جمعية شمس البر » فاندمج في سلكها فزادت خطبها العلمية والأدبية ومباحثها الراقية نفسه نشاطاً إلى العلم وعشقا للأدب . وهكذا فعل البيئات في الأمم تطبع الناشئ . بطلانها فإذا كان ذلك الطابع حسناً كان اثره في نفس الناشئ حسناً وعن ذلك درج المثل القائل : « وارفى عشيرك أرك من أنت »

كان عشير الفتى جرجى الأدباء والعلماء فنشأ عاشق الأدب والعلم إلى أن صار أديباً عالماً . ومثل

جمعية شمس البر في كل الامم . سلم الرقي والتهدب لانها تكون حولها محيط يهذب مافي دائرته ويرسل عرفه الطيب وشذاه الى ما حوله حتى قالوا ان معيار ترقى الامم الجمعيات الادبية والعلمية والخيرية فيها لان هذه الجمعيات ثمره شعور الافراد بالتساند والتعاقد والتآزر ، فكلما كان هذا الشعور قوياً كان دليلاً على بقظة النفوس وكلما كان قليلاً كان دليلاً على الضد

إنما هذه الجمعيات التي نبتت في سوريا بعد نهوض الرهط المبارك من أبنائها بفضل العلم لم تمش طويلاً فلما حرمت على الناس الخطابة وضربت حدود ضيقة للكتابة تفرق المتعلمون أو فرقوا حتى قال العالم الشهير فاندريك أحد مريي سوريا : « عجي لسوريا كيف تحيا ودم العلم والشباب يستنزف منها ، على أن ذلك الدم المستنزف من سوريا لم يضع كله لحل بعضه في هذا القطر المبارك فظل في وطنه وفي أهله وذويه ولنته . والعلم في الامم المشتركة باللغة الواحدة وبالوطن كتيار الكهرباء اذا تناول طرفاً امتدت قوته إلى سائر الاطراف ، ومصر من البلاد العربية كالقلب من الجسم فكل نبضة تنبض في هذا القلب تتناول الامة العربية كلها . حرس الله هذا القلب وصانه

كان الشاب جرجي من هجرى سوريا الى مصر (سنة ٨١) فلم يقصد مصر عالماً فقط بل قصدها طالباً للعلم مع ما في صدره منه « واثان لايشبعان طالب علم وطالب مال ، وهب جرجي نفسه لمصر فكان باراً بها فبرت به ، ولقي عطفها عليه حتى آخر نفس من حياته

قصيدة للدكتور ابراهيم شديدي

مقامك فوق العلا مساعد	وجسمك تحت الثرى راقد
وصيتك يجتاز عرض البحار	وأنت طويل الكرى هامد
وجيل يبید وجيل يحيى	وذكرك ما بينهم خالد
وفضلك بين بنى الشرق رء	م تبين أديانهم واحد
ولست بمقتدر للشهو	د قفى كل مكتبة شاهد
وما حسدوك وأى قى	نظيرك ليس له حاسد
ولا جسدوك وكل امرى	اتى المعجزات له جاحد
وذاك لانك جزت الحيا	ة وما لك خصم ولا حاقد
وسالمك الكل فى ذا الوردى	وصافاك حتى الردى الحاصد
كفأك الشعور . موقع القضا	فجاء وأنت ضحى . هاجد
أناك سراعاً لكيلا تسا	م عذاباً كأن الردى راشد

صرمت بمجهدك حبل الحياة
ولو مثل جهدك طالت سنو
طموح الى غاية الصالحا
غنى بعلم وعقل ورز
ولست قتي غره الوالدا
فما ماجد وارث المكرما
قدعنا وسرت لنيسل العلا
وبنما فئات معالي الجدو
ترود حقائق أحوالهم
وتبحث عن كنه أخبارهم
وكانحل تنهى لنا ما استطا
وما لك غير الدجى مؤنس
عزاء عييك ان فتا
فما مانت كل اصيد ين

ة كذا يحدث الناقص الزائد
ك لطلال بها تفمك العائد
ت وعن غيرها راغب زاهد
ن فذاك الطرف وذا التائد
ن ولكن به يفخر الوالد
ت ولكن كاسبها الماجد
ولا يبلغ النروة القاعد
د وأنت لاحتياها ساهد
كما يطلب النجمة الرائد
فما فانك الغامض الشارد
ب وكالشهد ينهله الوارد
ولا لك غير الحجي ماضد
ك لما شدته داعم عامد
جب كابن الفقيد ولا بائد

كلمة لاحمد بك حافظ عوض

ليس الزمان كثير السخاء في الجود على الامم - ولا سيما البادئة في النهوض جديدة ، والمتيقظة بعد
رقدة طويلة - بكثير من الرجال الممتازين بصفات عالية واخلاق قوية كالصفات التي عرفناها في فقيد
العالم والادب جرجي بك زيدان منتهى الهلال

وانني لا أظن أنه وجد في العالم العربي في العصر الاخير من ترك كمية كبيرة من العمل العلمي
والادبي الجدي مثل منتهى الهلال . فان رواياته ومجلدات الهلال ومؤلفاته التاريخية واللغوية والادبية
تكون في مجموعها موسوعات كبيرة ، ولولا أننا ونحن المعاصرون له نعلم علماً لا مسرب للظن فيه أن
الفقيد هو الذي كتب قبله كل هاتيك المنشآت ورتب ابوابها ، وابتكر موضوعاتها وراقب بنفسه طبعها
ووضعها ، منفرداً لا يميل على محررين مأجورين ، ولا يشترك مع طائفة من الادباء السكتين . كما كان
يفعل سواه من كتاب الروايات مثل اسكندر ديماس الذي هذا الفقيد حذوه في وضع رواياته التاريخية
- أقول لولا ما نعلمه عن يقين صحيح ان كل ماتركه الفقيد هو من عمله وحده لداخلنا الشك أو تسربت
الينا بعض الظنون بانه لم يكن فيه منفرداً . ذلك لانه عمل كبير مستعظم على كاتب واحد . واني كشاهد

عاش في هذا العصر وعرف الفقيه شخصياً ووقف بنفسه وبخبرة صحيحة على عمله أشهد لأهل هذا الزمن وأقرر للأجيال الخالفة - حتى لا يتسرب الشك إليها في المستقبل كما تسرب اليوم إلى الكثيرين في حكمهم على المتقدمين - أن كل ما وجد في العالم من الكتب التي تحمل اسم جرجي زيدان والتي أعتقد أن الكثير منها سيعيش في صف الآثار الخالدة . تلك الآثار التي هي أشبه بالنارات يمتد بها الباحثون والتي تبقى حية مطلوبة لاطمئنان معلميها ولا يغفل على فضلها ولا يحمل على تضائلها توسع في المعارف أو زيادة في الرق العقلي الانساني - أقرر للأجيال الخالفة أن كل هاتيك الآثار التي وصفها وسجلوها هي من عمل ذلك الرجل القدير الجلود الصبور وحده

عرفت منشيء المهلال طيب الله ثراه بالاسم وأنا باديء حياتي الادبية كثير الشغف كالناشئين بالاطلاع على القصص التاريخية والخيالية، فكان أول اتصالي الادبي والروحاني بالفقيه رواية الممؤك الشارد، وهي أولى رواياته على ما أظن، ثم لا زلت وعود الشباب غرض طرى وعقل الفترة وثاب خيالي، خال من متاعب الحياة ومشاكل هذا الوجود أتابع الفقيه في ثلاثة رواياته ومنشأته انلذذ بها واتغذى منها وأطير معها واصف لها، حتى اشتغلت بالصحافة منذ ستة عشر عاماً فتمارنا ونصادقنا ودامت بيننا عشرة طويلة لم يؤثر في صفاتها انتقاد ادبي نشرته في مجلة الموسوعات على رواية عذراء قريش ولا رسائل من هذا القليل ظهرت من آن لآخر في جريدتي المؤيد والمنبر، لأنه كان كجميع العلماء العاملين رحب الصدر محباً للتمحيص والنقد. ولقد وجدت من هذه الاخلاق الفاضلة وفي تلك النفس الودود الطيبة ما حبيبي اليه وستبقى ذكراه في نفسي من اجل التذكريات التي أكتنزها من آثار الذين عرقهم من رجال هذا العصر

من خطبة لانطون بك الجميل

ما أبلغ هذا الخطيب الصامت وما أفصح بيانه (١) ١٠٠ بل ما أصعب اعتلاء المنبر للكلام بعد هذا السكوت الناطق، فقد تقف دونه بلاغة الخطباء وتقصر عن مداه قرائح الشعراء . فن كان ياترى أقدر على تأيين الفقيه من مؤلفات الفقيه، وخفيف كل ورقة من أوراقها يرتل آيات محامده، وديب الحروف في كل سطر من سطورها يتشد جميل مآثره . وما كنت بالذي يختار لنفسه هذا الموقف الحرج بعد ذلكم الخطيب البليغ، لولا أنني استوحى من سكوته إلهاماً لجنانى، وأستمد من صمته روحاً لبائى هذه المصنفات الجليلة - وقد تناولت بجمال مواضع التاريخ والادب والفلسفة والاجتماع - مدار

(١) ذكر لي بروجرام حلة التأبين بين أسماء الخطباء والشعراء « الخطيب الصامت » . ولما جاء دوره وقف المرحوم سليم مركيس وأشار الى صورة الفقيه وقال : « هذا هو الخطيب الصامت وخطبته هي مؤلفاته المروضة امامكم فهل بين الخطيب ابلغ من هذه الخطبة »

خطاى ، فأنى لى ان أوفىها حقها من التقرىظ وكل منها ىتطلب درسا مستفىضاً . على انى استعن بهذه المؤلفات - وقد أربى على الستىن مجلداً - لتعداد ما أثر من اجتمعنا لتكرىم ذكره

أما السادة ، اذا كان معنى التألىف جمع المسائل وتنسقىها ، وتدبر المعانى وتمحصها لاستخراج الفوائد وادراك الحقائق وارىزها فى قالب طلى ، فإأحرى منشئ الهلال بأن ىطلق اسم المؤلف - وما حل كاتب ىطلق على هذا اللقب

فى هذا الجمع الموقر - الذى التف حول الهلال - كثىرون هم زملاء الفقید ورفصاؤه فى معاناة صنعة القلم ، فهم ادرى من سواهم بما يكابده المؤلف فى الشرق من العناء فى جمع مواده وتألىفها فى أى فن من فنون الكتابة . لذلك ىدرون كم كانت لفتنا مدينة لجامع أشأت تاريخها وتارىخ آدابها وتارىخ شعوبها ، فىشعرون بأن وفاته هى أشبه شىء بقطع شزىان حى ىمتلى دماً زكياً كان ىحمل الحىاة الى جسم النهضة الأدبىة الحديثة ، لذلك شعرنا اننا

« لم نرزه لما رزىنا وحده وإن استقل به المنون وحيداً »

بل فقدنا به أكثر من فرد . فقد كان كاتباً مؤرخاً ، ومنشئاً قصصياً ، وباحثاً اجتماعياً ، ومنقباً لنوياً ، وفلسوفاً عمرانياً ، لأن قلبه طرق ابواب كل هذه العلوم ، فافتتحت له على مصراعها ، ودخل حقيقة كل هذه الفنون ، فجنى منها الاثمار الناضجة الشبىة

أجل ، قد تختلف مؤلفات جرجى زبدان قىمة باختلاف مواضعها ، غىر أنها كلها شاهد عدل على ما انصف به من الجلد فى التنقىب ، والثبات على العمل ، والرغبة فى الافادة والسعى وراء الحقائق ، أرصت ام اغضبت

هذه بعض مزایا هذا المؤلف الذى استحق ما أحرزه من سمعة طیبة وصیة بعید ، وان كانت ىد الموت قد عاجلته دون ان تقسم له الأجل لابرار مكنونات صدره الرحب

عمد الى التاريخ - والتارىخ رسول الماضى وعبرة الآتى - فاستطلع دخائله واستجلى غوامضه ، فلما توافرت لديه مواده ، ودانت له أشأتها ، عمل على تعمىم فوائده بین قراء العربىة ، فاتحنفا بكتب « تاریخ مصر » و « تاریخ العرب قبل الاسلام » و « تراجم مشاهیر الشرق » و « أنساب العرب » . وقد جمع المستندات والحوادث من موارد مختلفة ومظان شتى ىقعد عنها الا الهمة الناهضة ، ىبضیع فیها لإلا الفكرة الثیرة . فصور تلك المصور الخوالى تصوراً جمع الى الحقيقة والأمانة الوضوح والجلال فلم ىجاهل عمادها - وهى كثیرة ، ولم یغض الطرف عن عیوبها - وأى الشعوب خلو من العیوب ؟ فقام على هذا الوجه بواجب الوطنى ىذیع مفاخر قومه العابرن ، لىعدم لمستقبل مجید ، وقام كذلك بواجب المؤرخ ىدون الحوادث ویردها الى اصول عامة لىستخلص منها الحقائق . عرف أن التارىخ فى عصرنا لم ىبق مقتصرأ على إیراد الوقائع ، بل هو ىجمع الى سرى الحوادث تقدھا ، والى وصف العادات

تقدير الافكار والمبادئ، والى رواية اعمال الرجال درس اخلاقهم، مبينا تأثير الرجل في زمانه وتأثير
الزمان في الرجل. وهذه هي فلسفة التاريخ

ولم يكن نصيب لغة العرب من اهتمامه أقل من نصيب تاريخهم. فقد اتعشنا في هذا الباب بكتاب
الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، و«تاريخ اللغة العربية»، و«تاريخ آداب اللغة العربية». وهذا
الكتاب الأخير اخصه بالذكر، فاذا كان مسيس الحاجة يزيد في قيمة مؤلفات الاستاذ زيدان، فان هذا
الكتاب ذو فائدة جلى بنسبة حاجتنا القصوى اليه وبالنظر الى ما رسع من الفوائد الثمينة. اذ انه لم يكن
لدينا كتاب جامع يرجع اليه في تاريخ الأدب العربي منذ نشأته حتى يومنا، بل كان جميع ما يتعلق
بذلك مبثرا في مئات الكتب بين مطبوعة وخطية، وهذه الكتب موزعة في مكاتب الشرق والغرب

كتب زيدان في شؤون الاجتماع والعمران، فلم يقتصر على العموميات، بل درس الأصول
والفروع وأضاف الى الحقائق الراهنة المشاهدات والملاحظات التي أرشده اليها البحث والاستقراء.
فأهدى تباعاً الى العالم العربي «تاريخ التمدن الاسلامي» في خمسة أجزاء، وكتاب «طبقات الامم،
و«معجائب الخلق»، و«علم الفراسة»، وكل هذه المصنفات تنطق بسعة الاطلاع ووفرة المعارف.
ولولم يكن له إلا «تاريخ آداب اللغة العربية»، و«تاريخ التمدن الاسلامي»، لكفاه بهما مراقبة يصعد عليها
إلى أول طبقة بين الباحثين في الشرق

رأى أن التاريخ يصعب تعميم فوائده اذا اقتصر نشره على كتب التاريخ. فعمد الى صوغ حقائقه
في قالب روائي فكان فارس الميدان الذي لا يلحق غباره في تأليف الروايات التاريخية. وقد كتب منها
اثنين وعشرين رواية نالت شهرة واسعة، لما وجد فيها القراء من الفائدة والفكاهة، وكان في نيت أن
يزيد حلقات جديدة على هذه السلسلة الجلية، لولا أن غاله غائل المنية

أقف في تعداد مؤلفات الفقيه عند ذكر «الهلل»، فان اسم زيدان في تاريخ الأدب لن يزال مقروناً
باسم الهلال. وقد كانت هذه المجلة مبدأ حياته الكتابية، ومجلداتها الاثنان والعشرون تؤلف اقليلا
مثيراً ساطعاً يضفر على جبهة صاحبها ويجعل له مقاماً ممتازاً بين المنشئين. راجعت منذ أيام العدد الاول
الصادر في شهر سبتمبر سنة ١٨٩٢، وقرأت فيه بيان خطة هذه المجلة، ثم دارجتها في سيرها فلم أجدها
سادت عن الحظوة التي رسمها لها منشئها يدي ثابتة منذ صدورها إلا للتدرج من الحسن الى الأحسن. وهكذا
ظلت تهل مع هلال كل شهر مدة تناهز ربع قرن، وهي حافلة بالمباحث المستوفاة في كل فن وخبر...

مقال للاستاذ سامي الجريديني

للتاريخ ما كتب زيدان في التاريخ والأدب فهو أنصف الحاكين . ولنا نحن معشر قراء الأدب ان نحكم حكماً مقصوراً على ما رأينا وقرأنا من مؤلفات زيدان . فأقول ولا أخشى في الحق لومة لائم انه كان تراس المؤلفين في اخراجه للناس ما يفيد وينفع ، وقدوة الكتاب في الدرس والتنقيب والبحث على أنى لا أقصد ان انتقد الآن مؤلفاته فأوفيه حقه ، فهذا بحث يستغرق مائيس عندى من الوقت ، وقد سبق لى ان ذكرت شيئاً عن ذلك في غير هذا المكان ولغير هذه الاحوال

عرفت جرجى زيدان معرفة صديق فأنا أترك المؤلف والكاتب جانباً وأذكره رجلاً على حد قول شكسبير . من فقه رأسه لاخصص قدمه . رجلاً فذا في أخلاقه والأخلاق اندر ما عند رجالنا في هذا العصر ابتداءً زيدان يحرر الملل منذ عشرين سنة ونيف ، فكان في أول سنة من سنى الملل يقف الى مكتبته وقفاً يحرر فصلاً ادبياً او اجتماعياً ويترجم رجلاً مشهوراً ويؤلف رواية تاريخية ، ثم يراقب الطبع والتصحيح دائماً على العمل نهائراً وليلاً ، ثم توفى وكان قبيل الوفاة ببعض دقائق واقفاً وقتته لم يقلل ساعات العمل ولم يتعجزر او يتأقف يوماً من كثرته . والرجل منا اذا كتب مقالاً ملاً الأرض والسما . من الشكوى من العمل ومن التعب واجهاد الفكر ، بل قليل منا من يبدأ عملاً ويثابر على اتسامه او يشرع في أمر ونظلم همته تلازمه حتى انتهائه . هذا ما يسمونه داء الشرقين داء عدم الثبات على الامور . أما زيدان فكان الثبات خلقاً من أخلاقه الظاهرة حتى أن يكون فيه قدوة حسنة لكل الرجال العالمين

حياة ملؤها الجهاد والعمل ولكنها حياة مأساة فيها الى أحد قط كان ينتقده الحاسدون ويحمل عليه الجملمة المتصبون فإذا مارأته رأيت منه صدراً واسماً ووجهاً باشاً غير متكلف او متصنع ، يسكت عن الاساءة ويمر بها كريماً يأخذ الحسنة فيشكر عليها . وها كتبه وها مجلدات الملل ، فهل رأى احد فيها كلمة جارحة أو قرأ انتقاداً يشف عن غيظ او حق . وهي لعمر ك فضيلة اذا تحلى بها جيد كاتب وعلا قدره وزادت الفائدة المقصودة من تأليفه ، لانك قد تنفر من الكاتب الاحق مهما قال لك من الحقائق ولكنك تلتين وتحفض الجناح للكاتب الوديع المسلم . بل اعرف انه تعامل مع بعضهم معاملة بيع وشراء فكانت صفته خاسرة وكانت خسارته أكثر مما يطبق امثاله عليها صبراً ، ولا أعرف رجلاً علم بخسارته او سمعه يشكو من النبن الذى أصابه

المثابرة على العمل . العمل بنشاط ونزور . القيام بالواجب . تحمل الواجب بحميا طلق وصدور . رجب . سعة الصدر . الانغضاء عن الاساءة . لين العريكة . تلك اخلاق جرجى زيدان في اعماله العمومية وحياته الخصوصية

وانك لتعرف رجلاً من كتاب ألفه أو مقال صنفه ثم تخبر عوده فتراه رجلاً آخر يريك الفضيلة

في كتابه والذيلة في سيرته - الحق في تأليفه والحق في عمله . أما زيدان فكان هو هو سواء عرفته
بالغيب أو خبرته اختبار صديق قريب

بل سل زوجته وأولاده وأقرباءه : هل عيسى وتولى اذ جاءه احدهم يشكو مرضاً أو اذ سمع
خبراً مكدرًا ؟

كان يمرض ابنه فتراه يترك اقلامه واوراقه ويأتي يسقيه الدواء ويسهر بجانبه ويبعد أمه عنه حتى
لا تنزعج أو تسكدر ، ويلطفه ويمارحه ثم يرجع الى عمله كأن لا مريض عنده في البيت ، فكانه
رحمه الله كان يحمل كل الاثقال ولا يدع من يحب أن يشاركه في تحمل همومها
على مثل هذه الاخلاق عرفت جرجي زيدان وكل من عرفه يشهد له بها
وها زيدان قد ذهب فتي نرى له نظيراً ؟

تاريخ الهلال في ٤٠ سنة

منذ أربعين سنة طبع المرحوم جرجي زيدان الجزء الاول من الهلال في مطبعة صغيرة وبضغفات قليلة لاتتجاوز ٣٣ صفحة ، يحتوى على خمسة أبواب فقط . وقبل أن نصف للقرار ما كان عليه الهلال في ذلك العهد ، ثم ما درج فيه من النمو والتقدم فيما بعد ، يحسن بنا أن نثبت هنا هذه الفاتحة التي افتتح بها مؤسس الهلال الجزء الاول لتبئين الخطوة التي سار عليها الهلال ، والغاية التي رعى اليها منذ نشأ . قال : « لا بد للبرء فيما يشرع فيه من فاتحة يستهل بها ، وخطة يسير عليها وغاية يرمى اليها . أما فاتحتنا لخدم الله على ما أسبق من نعمه وأفاض من كرمه ، والتوسل اليه أن يلهنا الصواب وفصل الخطأ . أما خطتنا فالإخلاص في غايتنا ، والصدق في لهجتنا ، والاجتهاد في وفاء حق خدمتنا . ولا غنى لنا في ذلك عن معاضدة اصحاب الاقلام من كتبه هذا العصر في كل صقع ومصر »

« أما الغاية التي نرجو الوصول اليها فاقبال السواد على مطالعة ما نكتبه ، ورضائهم بما نتحسه ، واغضائهم عما نرتكبه . فاذا اتبع لنا ذلك كنا قد استرفينا اجورنا فتنشط لما هو اقرب إلى الواجب علينا » أما موضوع مجلتنا فقسوم الى خمسة أبواب :

« أولاً : باب أشهر الحوادث وأعظم الرجال . فلا يخلو جزء من تاريخ حادثة شهيرة أو رجل عظيم أو أكثر مع ما يحتاج الى ايضاحه من الرسوم »
« ثانياً : باب المقالات . ويظهر في كل جزء مقالة أو غير مقالة بقلتنا أو أقلام كتابنا المعاصرين »
« ثالثاً : باب الروايات . وسندرج فيه من الروايات على مثال ما كتبناه مما هو تاريخي أدبي مثل لعادات الشرقيين وحوادثهم ، موافق لاذواقهم ، خال من الحوادث الأجنبية والمسمايات الأعجمية . فنندرج في كل جزء من الهلال جزءاً من الرواية مع ما تحتاج اليه من الرسوم »
« رابعاً : باب تاريخ الشهر . وهو يشتمل على ماجريات الشهر الفابر في سائر أنحاء العالم . ولا سيما مصر وسورية ملخصة من أصدق صحف الأخبار . فيجتمع منه في آخر كل سنة حوادث تلك السنة مرتبة حسب زمن حدوثها يوماً فيوماً »

« خامساً : منتخبات من الاخبار والتقرير والانتقاد وغير ذلك »
« وقد دعونا مجلتنا هذه بالهلال لثلاثة أسباب : أولاً - تبركا بالهلال العناني الرفيع الشان شعار دولتنا العلية أيدها الله . ثانياً - إشارة لظهور هذه المجلة مرة في كل شهر . ثالثاً - تفاؤلا بنموها مع الزمن حتى تتدرج في مدارج الكمال . فاذا لاقت قبولا واقبالا أصبحت بداراً كاملاً باذن الله »
« وهذا ، وأنتا نرجو أن تصادف خدمتنا هذه استحسانا وحسن قبول لدى حضرات القراء الكرام ، ونعدهم يذلل الجهد في اخلاص الخدمة قياماً بموجبات مصلحتنا وإتباعاً لمراضاتهم . والله المسئول أن يلهنا منهاجاً قويمًا ومسلكاً مفيداً ... »

هذا ما افتتح به مؤسس الهلال أول جزء منه . وترى فيه الحطة التي سار عليها والغاية التي رمى إليها وما اعتزمه من بذل الجهد في خدمة هذه المجلة والاعتماد على العزيمة الصادقة في تقديمها ونحوها وفقاً لتقدم الوسط ونمو مداركه . وقد أجل رحمه الله محتويات الهلال في هذه الفاتحة فذكر أنها خمسة أبواب يحتوي كل باب على مايلذ ويفيد من الموضوعات القرينة من حاجة القراء على اختلاف طبقاتهم . وقد توخى الأسلوب السهل في كل ما كتبه مع توضيحه بالصور والخرائط العدة . ولعدم وجود حفارين بمصر في ذلك الوقت كان يرسل لعمل (الاكتشافات) اللازمة في أوروبا وكان مؤسس الهلال في أول نشأته يتولى وحده جميع شئونه التحريرية والإدارية ، ويشرف بنفسه على أعمال طبعه . ولما اتسع نطاق المجلة عهد في إدارتها إلى شقيقه واستخدم آخرين للاشغال الأخرى وعكف هو على التحرير والتأليف . وعنى عناية عظيمة بالتاريخ ، وعلى الأخص تاريخ الشرق وتاريخ رجاله العظام سواء أكانوا ملوكاً أم قواداً أم فلاسفة أم رجال علم وأدب . وبدأ الهلال في أول سبتمبر سنة ١٨٩٢ . وكان يظهر مرة في الشهر . وكانت سنته اثني عشر شهراً . لا عشرة أشهر كما هي الآن . فكان يتبدى في سبتمبر وينتهي في أغسطس . واستمر الهلال يصدر على هذا النوال (مرة في الشهر) إلى نهاية السنة الأولى . وفي أثناء هذه السنة ظهرت رغبة كثير من القراء في زيادة حجم الهلال واتساع مادته ، واقترح بعضهم أن يصدر مرتين في كل شهر ، فوعدهم مؤسسه بذلك ابتداء من أول السنة الثانية

فلما كانت السنة الثانية ظهر الهلال مرتين في الشهر : الأولى في أوله ، والثانية في منتصفه . وأصبح عدد أجزاء الهلال في السنة أربعة وعشرين ، كل جزء يحتوي على ٣٢ صفحة . وفي غضون هذه السنة زادت أبواب الهلال باباً سادساً وهو « باب السؤال والإقتراح » . فصارت أبوابه ستة فضلاً عن زيادة حجمه وإصداره مرتين في الشهر ، مع بقاء الاشتراك على حاله (وهو خمسون قرشاً في السنة) وفي ذلك ما فيه من المشقة والتضحية

وفي السنة الثالثة من حياة الهلال زاد مؤسسه عدد صفحاته ١٦ صفحة ، فصار مجموع الجزأين ثمانين صفحة في الشهر ، وأضاف إلى أبوابه باباً سابعاً دعاه « باب الاخبار العلمية » درج فيه ما كان يحدث في العلم والصناعة من المبتكرات والاختراعات والاكتشافات . وذلك تحقيقاً لما وعد به القراء من الزيادة والتحسين كلما رأى منهم إقبالاً وتشجيعاً

وفي السنة الرابعة زادت أبواب الهلال باباً ثامناً درج فيه قسماً من فصول رواية تاريخية غرامية بعنوان « أرماتوسة المصرية » وصار ينشرها تباعاً . ولا بد من ملاحظة أن هذا الباب سبق أن وعد به في افتتاحية الجزء الأول من السنة الأولى . ولكن لكثرة أعماله التي كان يقوم بها كلها وحده واحتياج هذا التأليف الروائي إلى طول البحث والمراجعة اضطر إلى الاستعاضة عن هذا الباب في السنين الثلاث الماضية بباب آخر سماه « باب المراسلات » . ثم لما اشتد إلحاح القراء عليه في إضافة هذا الباب إلى الأبواب الأخرى لم يسمه إلا أن يمجهم إلى رغبتهم . ولكن هذه الإضافة لم ترد في عدد صفحات المجلة بل أضاف الاخبار العلمية إلى تاريخ الشهر وأحلقها جانباً من صفحاته

وزاد في السنة الخامسة باباً جديداً وهو « باب مشاهير العصر » وفيه رسوم مشاهير العصر الاحياء فاصبحت الابواب تسعة . وما انتهت هذه السنة حتى كان « الهلال » قد انتشر في مشارق الارض ومغاربها ، واصبح له كثير من القراء في سورية والعراق وفارس والهند واليابان وتونس والجزائر ومراكش وغربي أفريقيا إلى أمريكا الشمالية والجنوبية وجزائر الهند الغربية وجزائر الهند الشرقية وأستراليا وزيلاندا وأواسط السودان وجنوبه وشرقه وغربه وفي زنجبار والترنسفال وفي أكثر مدائن أوروبا

واستمر « الهلال » في تقدمه ونموه حتى كان العام الأخير من العقد الاول من حياته ، وهو العام العاشر فدخل في طور جديد من التقدم والنمو يظهر فيما يأتي :

- ١ - العناية بشئون الصحة . ففتح لها باب خاص سمي « صحة العائلة »
- ٢ - زيادة عدد الرسوم مع اتقان حفرها وطبع بعضها على ورق خاص
- ٣ - العناية بجودة الورق
- ٤ - تقديم هدايا الى المشتركين . وكانت هدية السنة العاشرة « كتاب تاريخ القديس الاسلامي » تأليف مؤسس الهلال

العقد الثاني

هذا يحمل نمو الهلال وتطوره في العقد الاول من حياته . وفي العقد الثاني ظهر النمو والتطور بمظهر أكبر واحسن . ففي السنة الحادية عشرة زادت العناية بطبع الهلال واختير له ورق أجود مما كان يطبع عليه في السنين الماضية ، وزين كثير من الصفحات بعدد من الرسوم الواضحة ، وجعل لكل صفحة اطار جميل يفصل الكلمات عن الهامش ، وبقي الهلال يصدر مرتين في الشهر . ولكن نظراً لهذه التحسينات رأى أن تعود صفحات كل جزء الى ٣٢ صفحة ، وزيدت قيمة الاشتراك عشرة قروش غير أن مؤسس الهلال أراد أن يعوض قراء الهلال من نقص الصفحات وزيادة الاشتراك بشيء يفيدهم فضلاً عن التحسينات المطبعية ، فانشأ باباً جديداً من أول تلك السنة عرض فيه بالتوالي أعجيب وأغرب ما في الطبيعة من المخلوقات ، وهو باب « عجائب المخلوقات »

ولم تبدأ السنة الثانية عشرة حتى اعد مجموعة من الحروف الاسلاموية الجميلة ، وهي اجمل انواع الحروف في ذلك الوقت ، وتمتاز بصورها عن الحروف التي كان الهلال يطبع بها ، وبذلك أمكن أن يستوعب الهلال كثيراً من المواد والموضوعات

وفي هذه السنة نفسها رأى مؤسس الهلال أن يصدره عشرة اشهر في السنة مع بقاءه مرتين في الشهر ، وإن يعوض المشتركين عن الشهرين الباقيين بكتاب يهدي اليهم بحجم أجزاء الشهرين وفي السنة الثالثة عشرة شكوا قراء الهلال من قلة الصفحات مع كثرة الموضوعات التي تستلزم زيادة عدد صفحاته ، واستحسن أغلبهم ضم الجزأين إلى بعضهما وصدورها جزءاً واحداً في آخر كل شهر . فلم يسع مؤسس الهلال إلا لإجابة رغبة الاكثية ، وعاد الهلال يصدر مرة في الشهر على أن تكون صفحاته ثمانين صفحة ، وسنته عشرة أشهر وأن يعوض القراء من جزأى الشهرين بكتاب

وفي خلال السنين الماضية كانت المقالات الخارجية التي تأتي إليه من بعض العلماء والأدباء للنشر في الهلال نادرة . ولكن في العقد الثاني من حياة الهلال ظهر على صفحاته أسماء لبعض العلماء والادباء الشرقيين كالمرحوم « المقدسي » صاحب كتاب « علم الأدب عند الافرنج والعرب » ، وطالما أتخف هذا العالم قراء الهلال بمقالات تاريخية وفلسفية وعمرانية جيدة ، وكذلك الدكتور نقولا فياض ، وأخوه المرحوم الياس فياض ، وحافظ بك ابراهيم والدكتور شبلى شميل

وأخذ الهلال في هذه المرحلة ينشر بقلم مؤسسه مقالات اجتماعية واقتصادية فضلا عن المقالات التاريخية مثل « النهضة المالية المصرية » و « الأحصاء المصرى » و « اللغة العربية والمدارس » و « تاريخ التعلم في مصر » ونحو ذلك مما يحتاج إلى درس وتنقيب

وقد زاد الاقبال على مجلة الهلال فزاد مؤسسها في العناية بها ، وأنشأ ابتداء من السنة ١٦ بايين أحدهما لنشر غرائب العادات والاخلاق ، وثانيهما لنشر أحوال الدول المعاصرة من الوجهة المالية والعسكرية والنظامية ومن وجهة الملك والسلطان مع الرسوم والاضاحات اللازمة

وما جاءت السنة التاسعة عشرة من حياة الهلال حتى كان الاستاذ اميل زيدان نجل مؤسسه الأكبر قد قطع مرحلة كبيرة من الثقافة والتعليم ، فأخذ يديج المقالات العلمية وينشرها في الهلال لمعاونة والده . وعلى هذا المنوال انتهى العقد الثاني من حياة الهلال

العقد الثالث

انتهى العقد الثاني وبدأت السنة الاولى من العقد الثالث ، وهى السنة الحادية والعشرون للهلال . وكانت قد نشأت طبقة جديدة من المتعلمين تفقهوا بالعلوم الحديثة وتأدبوا بالادب الجديد ، وظهر فيهم ميل الى البحوث الفلسفية في التاريخ والاجتماع والاقتصاد وغيرها . ومع ما كان ينشره الهلال من هذه الموضوعات فقد بدت الحاجة الى التوسع فيها وإدخال بعض الأبواب الأخرى . لذلك كثرت الابواب ووصلت في (السنة ٢٢) التي صدرت في (١٩١٣ — ١٩١٤) الى ١٢ باباً عرضت فيها موضوعات قيمة وآراء سديدة في العلم والفلسفة والادب لبعض المشهورين ، ونشرت مناظرات بين بعض العلماء والادباء ، وزادت صفحات الهلال هذه السنة ١٦ صفحة

وفي ٢٢ يولييه من تلك السنة فاجأت المنيه المرحوم جرجى زيدان بعد أن أعد وكتب آخر حرف من الهلال الذى صدر في الشهر التالى . فطويت آخر صفحة من عهد الهلال في حياة مؤسسه ، وبدأ عهد نجليه الاستاذين اميل وشكرى زيدان . والاستاذ اميل هو النجل الأكبر لمؤسس الهلال . ولذلك تسلم شئون تحرير الهلال على أثر وفاة والده وأخذ يحافظ على تلك الأمانة (الهلال) التي سلمه اياها والده وأوصاه قائلاً : « حافظ على الهلال ، فهو الأثر الذى وقفت له حياتى ونشاطى » . وسار على الخطه التي رسمها له وهى تلتخص في قوله : « كلما زادنا القراء اقبالا ، زدناهم إيماناً وتحسيناً » . وقد بدأ هذا التحسين فعلاً من العدد الاول الذى صدر في أول هذا العهد ، إذ كان يزيد على سابقه ثمانى صفحات . واستمر على ذلك في الاشهر التالية . هذا فضلا عن تحسين الورق واتقان الطبع وتجديد الحروف . ولما نشبت

الحرب الكبرى وتعقدت الامور وأغلقت أبواب التجارة الاجنية اضطر الاستاذ اميل زيدان الى اصدار الهلال في ورق أقل جودة، ولكنه أكثر نفقة
واذا كانت مادة الورق قد ضعفت في خلال الحرب الكبرى فإن مادة الموضوعات قد غزرت وتنوعت أكثر من قبل. على أن مسألة الورق ما لبثت أن انتهت بانتهاء الحرب الكبرى، وعاد الهلال يصدر على ورق جيد محتوياً على الموضوعات الشائقة والبحوث الممتعة، ومزينا بكثير من الصور والرسوم

الفقر الرابع

في هذا العقد دخل الهلال في طور يمتاز عن سابقه بكثرة التعديل والتحسين تمثيلاً مع التطور الحديث وتيار الرقي والتقدم الراهن وقد الفيت منه بعض الابواب، واستعوض عنها بأبواب جديدة وموضوعات أجل فائدة، وأكثر ملاءمة للتطور المادى والادبي والعلمى في السنين الاخيرة
أما الابواب الاخرى فقد نالها كثير من التعديل والتحسين، فغيرت عناوينها، واختير لها عناوين أخرى واصطلحت بصيغة جديدة في الاسلوب والاختيار والترتيب. ومن ذلك «باب السؤال والاقتراح»، فغير عنوانه باسم «بين الهلال وقرائه» و«باب التقرير والانتقاد» أصبح عنوانه «علم الادب» و«الاخبار العلمية» صار باسم «سير العلوم والفنون» وفيه من الصور ما لم ينشر من قبل، و«اخبار اجتماعية» باسم «من هنا وهناك» و«صحف العائلة» باسم «شئون الدار» أما «باب عجائب المخلوقات» فقد استعوض عنه بعرض صور مختلفة لهذه المخلوقات السجية مع التعليق عليها
وقد الفى «باب تاريخ الشهر» ثم أعيد أخيراً بمظهر جديد وذلك باسم «معرض الشهر» ويشتمل على صور أهم الشخصيات والحوادث التي شغلت الأذهان في الشهر المنصرم. هذا فضلاً عن التجديد في الورق والتحسين في الطبع والتصوير. ومنذ جلبت دار الهلال مكتبات الطبع بالروتوغرافور صارت صفحات هذه المجلة تزين بصور جميلة تضاهي الصور الفوتوغرافية في وضوحها وحسن طبعها
وقد اتجه الهلال وجهة جديدة باتجاه الافكار الآن نحو الغرب وعلومه وآدابه. ولكنه مازال صورة واضحة لتطور الشرق وتقدمه. وقد حاز من تقدير العلماء والادباء ما جعله مجالاً لبحوثهم القيمة وآرائهم الناضجة، واخذ نخبة منهم ينشرون فيه مقالاتهم الشائقة، وقصائدهم الرائعة، ونذكر منهم: الاستاذ خليل مطران. واحمد بك شوقي. والمرحوم حافظ بك ابراهيم. والمرحوم مصطفى لطفى المنفلوطى. والمرحوم جبران خليل جبران. والدكتور منصور فهمى. والاستاذ عباس العقاد. والدكتور طه حسين. والاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى. والاستاذ مصطفى عبد الرازق. والاستاذ على عبد الرازق. والآسنه م. والدكتور حسين هيكل. والاستاذ انطون بك الجليل. والمرحوم احمد باشا تيمور. والدكتور محمود عزمى. وجميل صدقي الزهاوى الخ...
فأصبح الهلال بذلك سوقاً رائجة للعلم والادب والاجتماع. وميداناً تبارى فيه أفكار العلماء. وقرائح الادباء. ومراًة صادقة للتطور الحديث في مدى اربعين عاماً

«ط...»

بعض ما قيل في « الهلال »

امين سامى باشا

من الذى لا يعترف بفضل الجهود التى يبذلها القائمون بأمر مجلة « الهلال » الممتازة بمباحثها العلمية العالية والأدبية الرائقة التى هى من خير ما يقتدى به

أمير الشعراء احمد شوقي بك

أعجب ما أعجب له أن أرى « هلالا » ملاء الشرق سناء ، وفاض نوره على الغرب فراحم بأشعته كل كوكب من كواكب العلوم والآداب ، ثم ما زال يكبر حتى فاق البدور ونافس الشمس فى توابعها المنيرة التى كلما اكتشف العلم منها تاهبا زاد من توابع « الهلال » ، مثله

احمد زكى باشا

هلال السماء ينتقل من نقص الى زيادة ، ومن زيادة الى نقصان ، وهكذا دواليك . وأما هلال « زيدان » فدائما فى ازدياد

المرحوم حافظ ابراهيم

الهلال مجلة سائرة فى طريق الرقى المستمر وتقدم الآداب المصرية والاجتماعية

الدكتور طه حسين

كانت مجلة الهلال مثال الجدى فى العمل والاخلاص للعلم ، ثم أصبحت - الى ذلك - مثال الفطنة لأذواق القراء والنشاط لارضاءهم ، وهى على كل حال أخف المجلات العربية ظلا

الدائرة صحى

الهلال صورة واضحة للتطور الحديث

الاستاذ عباس محمود العقاد

الهلال ييسر المعارف ولا يبتذلها

الكتور منصور فرهمي

أنا من المعجبين بمجلة الهلال ودأب المرحوم مؤسسها وثقافته الواسعة، وإعجابي متواصل لاجتهاد أبنيه النجيين في ترقية هذه المجلة المشهرة المهذبة لعدد كبير من قراء العربية، وأتمنى لها دائماً الرقي والتوفيق

الأستاذ محمد فريد وهدي

مجلة الهلال من أجمع المجالات ثمرات العقول الناضجة، وهي مرآة تتجلى فيها صور المعارف الصحيحة والحوادث العالمية، فهي من انفع العوامل لامتداد النهضة الفكرية الراهنة بما تحتاج اليه من مواد جديدة وعناصر نافعة

الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

الهلال مجلة يستطيع من يدرسها أن يدرس عناصر النجاح في الحياة

الأستاذ عبد القادر حمزة

كل مايقوله الانسان عن مجلة الهلال من مدح وثناء فهي تستحقه بل تستحق أكثر منه

الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرزاق

كان الهلال مجلة الشيوخ فصار مجلة الشيوخ والشبان

الأستاذ علي عبد الرزاق

رأيت إجمالاً في مجلة الهلال انها كانت في طورها القديم - أيام كان يتولى تحريرها مؤسسها العلامة جرجي زيدان - مثلاً صالحاً لأرقى المجالات العربية في ذلك الوقت . وقد استطاعت ان تؤدي اللغة العربية ، وللعالم العربي ، أحسن ما كانت تستطيع أن تؤديه يومئذ مجلة من المجالات . أما المجلة في طورها الحديث فاني أراها مثلاً حميداً من أمثلة المجالات الراقية في العالم

الكتور احمد فريد رفاعي

اتخذت الهلال صديق في البجوحة واليسار ، ومسعى في الاضائة والعشار ، كما اتخذته زميلي في الغربة والاسفار ، ومؤنس في وحدتي بالليل والنهار... وإذا كان الأدباء والمفكرون اعتمدوا منذ حين تكريم صاحبي الهلال على ماوفقا اليه من خدمة الصحافة والطباعة ، فان من النصفة العلية ان يقال إن مجلاتهما بما فيها من ثمرات وطلاوة ، وبلاغات وحلاوة ، هي من متخرجي «جامعة الهلال» ، وإن من الحق الذي ليس الى جحوده من سبيل أن ثقافة أصحاب الهلال والكتبيين من قرائه ومتلقي جهر انبثاقه عيال عليه ولحمة وضاعة من سنا نوره الوضاح

دار الهلال ومجلاتها الآن

في سنة ١٩٢٤ شيدت دار الهلال الحالية وجهزت بأحدث وسائل التصوير والحفر والطباعة . ومنذ ذلك التاريخ أخذت تمد العالم العربي بمجلات ومطبوعات على الطراز الحديث تتمشى مع نهضة مصر والشعوب الشقيقة
وتصدر عنها الآن - عدا الكتب والمطبوعات التي تطبعها من حين لآخر - سبع مجلات اسبوعية إلى جانب « الهلال » الشهري ، منها اثنتان باللغة الفرنسية :

١ - المصور

سجل مصور لحوادث الاسبوع وتقدم العالم

هي المجلة المصورة الكبرى التي كان صدورها بدء عهد جديد في الصحافة العربية . لها مكانة خاصة عند الطبقة الراقية المستتيرة من رجال وسيدات ، وهم يعتمدون عليها في تتبع الحوادث والتطورات الداخلية والخارجية لما يجدون فيها من صور ورسوم وبيانات في منتهى الدقة والاتقان

٢ - كل شيء

مجلة اسبوعية جامعة فيها شيء من كل شيء

هي مجلة العائلة والشباب الناهض . تدخل المنزل في كل اسبوع فتداولها الايدي ، يجد فيها كل فرد مايمه من احاديث متممة ومعلومات جذابة في العلوم والادب والفنون بأسلوب سهل ، ولها عناية خاصة بشؤون الجنس اللطيف

٣ - الفكاهة

مجلة اسبوعية فظاهرة روائية : جبر في هزل وهزل في جبر

هي المجلة الفريدة في نوعها بين المجلات العربية بل هي مجلتان مجتمعتان إحداهما تتناول ضروب الفكاهة والدعابة والاخرى تحوى مجموعة من القصص الطريفة موضوعة أو مترجمة ، وكلها مزينة بالصور والرسوم المتقنة

٤ - الدنيا المصورة

مجلة البرائع والطرائف

هي المجلة التي يطالعها الجميع لما فيها من روعة وجاذبية ومبتكرات شائعة ، كل ما فيها يلفت النظر ويستوقف الفكر ، من حوادث رائعة وعادات غريبة ورحلات متنوعة الخ . . .

٥ - الكواكب

مجلة التمثيل الصامت والناظم

مجلة مسرحية سينائية تدور موضوعاتها حول هذين الفئتين الجليين . تمتاز بانقاف طبعها وجمال تنسيقها . وقد لقيت على حدائق عهدها اقبالا عظيما من الجمهور

٦ - " Images " الصور

مجلة اسبوعية تصدر باللغة الفرنسية

هذه مجلة فرنسية سدت فراغا في عالم الصحافة الاسبوعية في مصر وهي تعنى بتنوير اذهان الغربيين عن حقيقة ما يجري في مصر والعالم العربي وتصوير فكرة صحيحة للغرب عن تقدم الشرق ورفيقه . موضوعاتها كلها مبتكرة جذابة . وهي لا تقل في مظهرها واتقان طبعها عن ارقى المجلات الاوربية والامريكية

٧ - Ciné Images

مجلة سينائية باللغة الفرنسية . كل شيء فيها جذاب : مظهرها وموضوعاتها وصورها . مستقلة في آرائها لا تجامل أحداً ولا تحاي

القسم الثاني

١ - تطور العالم في ٤٠ سنة

٢ - نظرات الى المستقبل

تطور العالم في أربعين سنة

من سنة ١٨٩٢ الى سنة ١٩٣٢

مر على العالم أربعون سنة منذ ظهر الجزء الأول من الهلال الى الوجود ، وشهدت شعوب الأرض وحكوماتها في خلال ذلك انقلابات عظيمة ، ليس في عالم السياسة فقط بل في عالم العلم والاقتصاد والاجتماع أيضاً . ولا يستطيع الكاتب مهما أوتي من قوة البلاغة أن يبين ما كان لتطور العالم في تلك الفترة من الشأن الخطير ، ولو علم الناس في سنة ١٨٩٢ أنهم سيشهدون حرباً يدعى فيها ستون مليوناً من الرجال لحل السلاح ، أو لو قيل لهم يومئذ إنهم سيستطيعون اجتياز الانلاستيك على متن الرياح وسيخاطبون عن بعد الآلاف من الأميال ويتراسلون صور الاشخاص والحوادث على أجنحة الاثير - لو قيل لهم ذلك يومئذ لسعروا من القائل وحسوه فريسة الوهم والخيال في تلك السنة لم يكن العالم قد بدأ يفكر في شؤون السياسة عن طريق الاقتصاديات ، ولا أن يدرس أسباب رخاء العالم على ضوء مشاكل الإنتاج . بل لم يكن ليخطر ببال أحد وجهه من وجوه التطور الذي شمل جميع مناحي الحياة

لقد كانت فترة الأربعين سنة الماضية حافلة بجلال الحوادث التي قلبت الاجتماع رأساً على عقب . وسنحاول الآن أن نلقى نظرة موجزة على أهم وجوه التطور الذي نحن بصدد

اولا - في عالم السياسة

ففى ميدان السياسة شهد العالم في خلال الاربعين سنة الماضية تطوراً عظيماً . وأهم وجوه ذلك التطور نمو الشعور القومى وفكرة الامبريالزم والنظم التشريعية والاساليب الديمقراطية

نمو الشعور القومى

كان الشعور القومى فى سنة ١٨٩٢ - ليس فى مصر فقط بل فى جميع أنحاء العالم - ضعيفاً لانه كان فى أول أطوار نشوئه . ثم أخذ ذلك الشعور يقوى ويظهر فى صور شتى تلائم كل صورة منها البيئة التى هي فيها ونفسية الشعب الذى نبتت فى وسطه . وكانت مصر ما تزال تعتبر يومئذ عثمانية ، والسلطنة التركية تضم جانباً غير يسير من البلقان ، ودول اوربا تنظر الى الشرق نظرة ريبة وترقب استيقاظ الشعوب الشرقية بكثير من القلق والاضطراب

وكانت كل دولة من الدول تشعر يومئذ باقترابها من عصر متعانى فيه من المشاكل القومية ما لا قبل لها بمحله . وقد أيد تطور الحوادث فيما بعد صحة ما كانت تشعر به . فقدت تركيا جانباً من أملاكها .

وأفضت حروب الاربعين سنة الماضية - ولا سيما الحرب العظمى - الى تغيير خارطة العالم كله ، اذ نلت عروش وزال ممالك وأنشئ على انقاضها دول ودويلات جديدة ، وأضاع الكثيرون من الملوك تيجانهم حتى خيل الى الكثيرين في زمن من الأزمان أن دول الارض كلها مقبلة على نظام جمهورى عام ، ثم اتضح أن هذا الوهم ليس له موضع من الحقيقة

على أن العالم شهد بعد الحرب العظمى الماضية تطوراً مدهشاً في روح الشعور القومى ، وكان للنظريات الجديدة التى أعلنها الرئيس ويلسون في مؤتمر فرساي أعظم الاثر في تنبيه الشعور . وفى الواقع أن رجال السياسة في جميع أنحاء العالم أدركوا منذ ذلك الحين أن الاساليب السياسية العتيقة لا تصلح لهذا العصر لانها غير ملائمة لروح الاجتماع . وكان من جراء ذلك حصول ثورة فكرية في جميع بلاد العالم ولا سيما في الشرق الذى أخذ يستيقظ من رقاده . فظهر سعد زغلول في مصر . وسن يات سن في الصين . ومصطفى كمال في تركيا . وغاندى في الهند . وغير هؤلاء في أنحاء أخرى

فالروح القومية هى التى منحت غاندى سلطة واسعة في شؤون الهند . والروح القومية هى التى دفعت هاينى والفيلين والصين وفلسطين والعراق وسوريا وارلندا وغيرها للمطالبة بتغيير نظام الحكم واستبداله بما هو أكثر انطياقا على مقتضيات الكرامة القومية . وفي حالات كثيرة ادى هذا الاستيقاظ الى وقوع ثورات وحوادث دموية بل الى حروب اهلية ودولية

تأمل الثورة العربية ونهوض بلاد العرب وسوريا وفلسطين لكسر نير الاتراك الذى ظلت تلك الاقطار ترزح تحته بضعة قرون . ألم يكن الشعور القومى هو الذى دفعها الى الثورة وحرصها على حمل السلاح في وجه الاتراك ؟ . ألم يقع مثل ذلك في روسيا والصين وفي امريكا الجنوبية نفسها حيث تصادمت جمهوريات شيلى وبيرو من أجل منطقة قاحلة تدعى « تاكنا آريكا » . بل ألم تكن فتنة قبرس دليلا على استيقاظ الروح القومية في اصغر بلاد العالم وأقلها شأنًا ؟

ولا ريب في أن هذه الروح التى أخذت تستيقظ لن تعود الى النوم في المستقبل ، ولن تستطيع اية قوة مادية اخمادها . وقد قال ميرابو خطيب الثورة الفرنسية : « انك تستطيع أن تخمد ثورة السيف بالسيف . وأما ثورة الفكر فبماذا تخمدوها ؟ »

نحو فكرة الامبريالزم

والغريب انه في الوقت الذى استيقظت فيه روح القومية كانت روح الامبريالزم أيضاً تقوى وتشتد في بعض الانحاء . بل اغرب من ذلك ان اشتدادها كان نتيجة استيقاظ الروح القومية ومظراً من مظاهر إنكار تلك الروح في آن واحد . وقد يبدو هذا القول غريباً وغير مفهوم في أول الامر ، ولكنه حقيقة لا شك فيها كما سترى

في منتصف القرن التاسع عشر لم تكن روح الامبريالزم قد بلغت أوجها . فلم يكن لدول اوربا - اذا استثنينا بعضها - أية سلطة في آسيا . وكانت افريقيا - ما عدا مصر - قارة مجهولة لا يكاد يكون للاستعمار فيها الاثر قليل . ولكن لم يشرف ذلك القرن على العقد الاخير منه حتى كانت روح

الامبريالزم قد بلغت اوجها ، فاندفعت روسيا جنوباً وشرقاً نحو آسيا ، واتخذت لها في منشوريا وبلاد الخول واران مناطق نفوذ ، وضمت المانيا الى بلادها مليون ميل مربع من افريقيا والهند الشرقية ، ورسخت فرنسا قدمها في تونكين والجزائر وأضافت الى املاكها نحو مليون ميل وسبعائة الف ميل مربع من افريقيا وآسيا ، وازدادت الامبراطورية البريطانية في خلال تلك المدة اربعة ملايين ميل مربع ، وأخذت نشوة الاستعمار دولة اليابان ايضا فاستولت على فرموزا ومنشوريا وكوريا . واقتدت الولايات المتحدة أيضاً بدول الاستعمار فانزعزت من المكسيك المقاطعات التي تشمل اليوم أربعاً من الولايات الغربية الكبرى ، وفي سنة ١٨٩٨ استولت على جزائر هاواي وأرغمت اسبانيا على الانسحاب من بورتوريكو والفيلبين

ولا شك في ان رغبة التوسع في الملك هي التي تسببت في جميع تلك الحوادث ، بل ان هذه الرغبة هي التي دفعت الكثيرين الى القيام برحلات عظيمة بحجة الاستطلاع والاستكشاف

ولا شك في ان جميع الحروب التي نشبت في خلال الاربعة العقود الاخيرة كانت نتيجة السياسة الامبريالية ، كحرب الصين واليابان سنة ١٨٩٤ - ١٨٩٥ والحرب الاميركية الاسبانية سنة ١٨٩٨ وحرب الترانسفال سنة ١٨٩٩ والحرب الروسية اليابانية سنة ١٩٠٤ - ١٩٠٥ وحروب البلقان التي تقدمت الحرب العظمى الماضية ، بل هذه الحرب الاخيرة التي ما تزال جروحها دامية الى الآن

تنظيم العالم

ومع ان العالم شهد في خلال الاربعين سنة الماضية حروباً متوالية فقد شهد أيضاً جهوداً كثيرة وجهت الى غاية سامية هي إيجاد تشريع دولي أو وضع مجموعة من القوانين الدولية تكون أساساً لسلام دائم

وفي الواقع ان هذه الروح الجديدة بدأت بالظهور قبل سنة ١٨٩٢ في شكل اتفاقات ومعااهدات دولية كانت ترى الى الدفاع عن حقوق الدول (كحقوق الدول المحايدة في زمن الحرب وحقوق جمعيات الصليب الاحمر والمستشفيات في ميادين القتال) ولكن هذه الروح لم تتخذ شكلاً محسوساً إلا عند النشأ أول مؤتمر للسلام الدولي في مدينة الهاي . وكان ذلك سنة ١٨٩٩ بدعوة من نيقولا الثاني قيصر روسيا السابق . وفي سنة ١٩٠٧ عقد هذا المؤتمر مرة أخرى في مدينة الهاي بدعوة من المسنر روزفلت رئيس الولايات المتحدة في ذلك الوقت ، وبما يدل على ما كان لهذا المؤتمر من الشأن أن اربعاً وأربعين دولة كانت ممثلة فيه

وعقدت بعد ذلك مؤتمرات أخرى من هذا القبيل . ومع ان معظمها أصدر قرارات بقيت حبراً على ورق ، إلا أن تلك القرارات كان لها تأثير يذكر في تنقيح القانون الدولي العام . وكان من تأثيرها ان عدة دول من الدول الكبرى عقدت معاهدات واتفاقات تجارية وجركية كانت من أعظم العوامل المؤيدة للسلام

وكان ذلك كله بمنزلة تجارب تمهيدية للتعاون الدولي ، سواء أكان من الوجه الاقتصادي أم من

الوجه السياسي . وعلى أساس هذه التجارب أنشئت عصبة الأمم بعد الحرب العظمى الماضية . وهذه العصبة تضم اليوم أربعاً وخمسين دولة غربية وشرقية . وهي تبذل الجهود العظيمة في سبيل حل المشاكل التي عجزت عنها المؤتمرات السابقة ولا سيما مؤتمر الهاي الذين سبقت الاشارة اليهما والذين عجزا في الواقع عن الوصول الى اتفاق بين الدول بشأن التسليح

والى جانب عصبة الامم أنشئت محكمة العدل الدولية لفض المنازعات التي تقوم بين الدول ، والى جانب ذلك كله أنشئ أخيراً بنك التسويات الدولي في مدينة بال . وقد كان الغرض الاول من إنشائه التصرف بأموال التعويضات المطلوبة من المانيا لحساب بعض الدول وتوزيعها على المستحقين وفتح اعتمادات دولية في أحوال معينة

انتماسى الديمقراطية

ولعل أعظم التطورات السياسية التي وقعت في خلال الأربعين سنة الماضية هو تطور الروح الديمقراطية . ومن الطبيعي ان هذه الروح كانت منذ أول نشأتها مناقضة لروح الامبريالزم ، لأن هذه الروح كانت تأني منح أى شيء من الحقوق والحرية للشعوب المستعبدة . ومع ذلك كانت هذه الشعوب مصممة على الجهاد في سبيل نيل حقوقها وحريتها مهما اقتضى ذلك من جهود وتضحيات

وفي الواقع ان هذه الروح بدأت في الظهور منذ منتصف القرن الفائت ولكنها لم تشتد وتقو إلا في أواخر ذلك القرن . وقد أدى ذلك الى ثورات واطقلابات خطيرة أفضت في حالات كثيرة الى انهيار بعض العروش وضياع بعض التيجان - وما زوال الملكية في البرتوغال والمانيا وروسيا والنمسا والبرازيل وتركيا والصين واسبانيا سوى مظهر من مظاهر التطرف في حب الديمقراطية والتحن لها ولم تسلم الدول التي بقيت فيها الملكية من تطورات ذات شأن . ففى انجلترا نفسها ، وهي أم البلدان الديمقراطية ، أصبح مجلس النواب - منذ سنة ١٩١١ - صاحب السلطة المطلقة في شؤون الدولة المالية . بل وقعت مثل هذه التطورات في الدول الجمهورية أيضاً مما يدل على شدة تغلغل الروح الديمقراطية في نفسية الأمم . وفي الولايات المتحدة سنت عدة قوانين ترمي الى تقوية سلطة الامة ممثلة في الجمهور الناخب ، مع ان تلك القوانين خيبت الآمال في كثير من الاحوال . ومع ذلك فان إيمان الشعوب بالمبادئ الديمقراطية لا يزال يقوى ويشتد . وهذا ما أرغم بعض الممالك في خلال الأربعين سنة الماضية على منح شعوبها برلمانات ومجالس نائية مختلفة تحقيقاً للبول الديمقراطية ، كما حصل في روسيا في عهد القيصرية وفي اليابان وفي تركيا (في عهد السلطنة) وغيرها من البلاد

وما يزال الايمان بالديمقراطية قوياً الى هذا اليوم . إلا أنه قد أصيب في الأزمنة الاخيرة بصدمات شديدة بظهور الشيوعية في روسيا والفاشية في إيطاليا والديكتاتورية في بعض البلدان الاخرى . وجميع هذه النظم تدل في ظاهرها على إفلاس الديمقراطية وعلى ان أساليبها قد فضلت ولم تحقق آمال القائلين بها . وفي الواقع ان الكثيرين يعتقدون ان الفرق بين النظم النابية (الديمقراطية) والنظم المطلقة هي ان الاولى تمنح السلطة الاستبدادية للجماعات والثانية تمنحها للأفراد

ثانياً - في عالم الاقتصاد

لا جدال في ان معظم التطور الذى نشأ في عالم الاقتصاد كان نتيجة اختراع الآلات والاستماتة بها عن الايدى العاملة . ومع ان منشأ هذا التطور يرجع الى منتصف القرن الثامن إلا أنه لم يظهر بجلاء إلا في أواخر القرن الماضي . ومنذ ذلك الحين توالت الاكتشافات والاختراعات وكان جميعها تأثير مباشر أو غير مباشر في تعجيل التطور الاقتصادى . وكان آخر دور من أدوار ذلك التطور ما نراه الآن من غرائب الكيمياء واللاسلكية والطيران وغير ذلك مما أدى الى ترقية الآلات الخاصة بانتاج الثروة وتعميمها والتي قد عادت على الاجتماع بأفضل الخيرات وزادت في الرخاء

وغنى عن البيان ان لهذا التطور الاقتصادى علاقة وثيقة بالشؤون السياسية . فارتقاء الطباعة مثلاً (وهو نتيجة ارتقاء المطابع) آل الى نشر الدعوة للوطنية ، بل كثيراً ما آل الى نتائج خطيرة جداً . وكذلك قل في ارتقاء التلغراف والتلفون وغيره من الاختراعات . وكان من نتائج ارتقاء الآلات اشتداد التنابذ والاحتكاك بين الدول والتماسها موارد المواد الخام وبحثها عن الاسواق الجديدة

ومن الجهة الاخرى كان لارتقاء المواصلات البرية والبحرية والجرية اكبر تأثير في إزالة الحواجز التى تفصل بين بعض الدول وفي إخراج بعضها من عزلتها . وأوضح مثل على ذلك بدء انهماك الولايات المتحدة في الشؤون العالمية - وقد كانت حتى الآن تأتي أن تزج بنفسها في ميادين السياسة الدولية - ولعل الحرب العظمى الماضية التى اضطرتها الى خوض غمارها هي مبدأ طورها الجديد - أى طور خروجها من عزلتها ، وكان هذا الخروج بسبب الاعتماد الذى وقع عليها في تلك الحرب

تنظيم رموس الاموال

وما لا ريب فيه ان من أعظم التطورات الاقتصادية التى وقعت في العالم منذ العقد الاخير من القرن الثامن ، أى منذ نحو أربعين سنة ، تنظيم رموس الاموال العالمية على وجه جديد وعلى نطاق لم يسبق له مثيل في الاتساع . وقد كان هذا التطور نتيجة منطقية لانقلاب العظم الذى طرأ على نظم الصناعة في العالم . ففى الأزمنة القديمة كانت الفردية ، هي السائدة في المناحي الصناعية والاقتصادية . أى ان معظم الاعمال والمجهودات الصناعية والاقتصادية والمالية كان يقوم بها الافراد لا الجماعات . بل كثيراً ما كان أولئك الافراد يقومون بأعمالهم ومشروعاتهم تحت قناع الشركات . ولكن العهد الجديد أوجد تغييراً كبير الشأن إذ أحل الشركات محل الافراد . واتسع نطاق هذه الشركات بمرور الزمن ونطاق الاعمال التى تقوم بها فانضم بعضها الى بعض وظهرت إذ ذاك النقابات . وبظهور هذه النقابات زاد الانتاج واتسعت المتاجر وصار لرموس الاموال شأن غير الشأن الذى كان لها من قبل . بل صارت مراقبة هذه الاموال وادارتها والتصرف بها تجري على منوال جديد لم يكن يعرف قديماً وهذا التطور ظاهر في التاريخ الصناعى الاقتصادى لكل أمة من أمة العالم في خلال الأربعين سنة الماضية . فأينما أدرك طرفك اليوم ترى الشركات الكبيرة تحل محل المجهودات الفردية الضئيلة . بل

كثيراً ما تجدد تلك الشركات تبذل الجهود لقتل الجهود الفردية وإخراجها من الميدان ليخلو لها الجو . وقد اشتدت المنافسة في حالات كثيرة وأدت الى سحق جهود الافراد ، وأصبحت الشركات الكبيرة والقابلات - في بلاد كثيرة - صاحبة الأمر والنهي في كل ما له علاقة بالصناعة والتجارة . وإذا ذلك أصبحت رموس الاموال في يد الاقطاب والزعما ذات صبغة جديدة . واتخذت شكل حصص أو « اسهم » يزيد شأنها أو يقل في السوق المالية بنسبة كثرة تلك المبالغ وقتها

وما حدث في مصر منذ سنة ١٨٩٢ حدث في جميع بلاد العالم على نطاق أوسع ، فقد أعيد تنظيم رموس الاموال على أسس جديدة وكان لهذا التنظيم أثر في العلاقات الدولية السياسية ، لأن مستمري الاموال عادوا لا يكتفون بما تدره عليهم رموس أموالهم في مسقط رأسهم بل صاروا يوجهون جهودهم لاستثمار تلك الاموال في أنحاء أخرى من العالم ، فكان التنظيم الجديد أزال الحواجز الجغرافية التي تفصل بين الممالك وربطها معاً بروابط مالية اقتصادية ، فترى أصحاب المصانع في لشكشير يهتمون بزراعة القطن في مصر ، وترى تجار الكاوتشوك في لندن يعنون بتقليات أسعار هذه البضاعة في جميع أنحاء العالم . وما من دولة من الدول الا لها علاقات مالية تجارية مع غيرها . وقد بلغت الاموال الاميركية التي استثمرها الشعب الاميركي في الخارج خلال العقدين الاخيرين من السنين ، خمسة عشر بليوناً من الدولارات

والشبكة الصناعية الاقتصادية التي تم العالم اليوم هي كثيرة العقد والمشاكل . وكلما مر الزمن زادت عقداً ومشاكل . يدلك على ذلك انه لا يقع اليوم تطور مالى أو اقتصادى في أى ناحية من أنحاء العالم إلا كان له صدها في أقصى الانحاء الاخرى ، ولا تصدر نيويورك قراراً إلا ويبدو أثره جلياً في بكين

تنظيم العمل

وقد كان لنظام العمل أيضاً حظه من التطور في خلال الاربعين سنة الماضية . ولكن هذا التطور كان أقل من تطور تنظيم الاموال . ولعل اعظم مظهر من مظاهر بروز نقابات العمال الى الميدان ، حتى لقد بلغ أعضاء نقابة العمال الدولية في الوقت الحاضر اكثر من أربعة عشر مليوناً من الرجال والنساء مشتتين في سبعة وعشرين قطراً من أقطار العالم معظمها في أوروبا . هذا خلاف نقابة اتحاد العمال الاميركيين وهي تضم ثلاثة ملايين عضو ، وخلاف اتحاد العمال السوفيياتى ولا يعلم عدد أعضائه بالتمام ، وخلاف نقابة اتحاد العمال في أميركا اللاتينية وليس لدينا احصاء عنها

وفي حالات كثيرة كان نشوء نقابات العمال وتطورها مصحوبين بازدياد اشتراك العمال في ادارة شؤون الصناعات المختلفة . وأوضح مظهر من مظاهر هذا الاشتراك بروز الجمعيات التعاونية للبيدات ونشوء بنوك العمال وبنوك التوفير والاقتصاد وشركات التأمين الخاصة بالعمال ، سواء ما كان منها خاصاً بالتأمين على الحياة أم ضد الاصابات والبطالة وما الى ذلك . وقد نتج من ذلك سن قوانين كثيرة خاصة بالعمال وبنظم استخدامهم وأجورهم والعناية بهم في حالة الصحة والمرض وتأمين مستقبلهم الى غير ذلك من الامور التي يعنى بها اليوم مكتب العمل الدولى بجنيف

على ان هذه التداير والقوانين والأساليب لم تحل حتى الآن دون وقوع الازمات الاقتصادية الصناعية. وما الازمة الاقتصادية التي تحتاج العالم في ساعة كتابة هذه السطور سوى مثل من الامثلة الكثيرة الدالة على ان نظم العمل وأساليبه ما تزال في حاجة كبيرة الى التنقيح والتنوير على مقتضى الاختبار

ثالثاً - في عالم الاجتماع

واذا نظرنا الى عالم الاجتماع رأينا ان تطوراً عظيماً قد تناوله في جميع أنحاء العالم . فقد تغير مستوى المعيشة في كل مكان وبديء بتقصير أيام العمل وظهرت مشكلة اجتماعية جديدة وهي كيفية استخدام أوقات الفراغ على أفضل وجه . وقد رأينا في خلال الاربعة العقود الماضية كثيراً من الحواجز الاجتماعية التي كانت تفصل بين الأمم تهاز فيزيد انهارها في توثيق الروابط بين تلك الامم . والمجال لا يتسع للأسباب في التطورات التي طرأت على العالم الاجتماعي ، ولذلك نختصره فيما يلي بذكر أهمها

في نظم التعليم

ففي نظم التعليم مثلاً نجد تطوراً قلباً يضاهيه تطور في أية ناحية من نواحي الاجتماع . فبعد أن كانت ميزانيات التعليم في دول العالم لا تتجاوز بضعة ملايين من الجنيهات أصبحت تتناول مبالغ ما كان يحلم بها رجال المال منذ نصف قرن

وبعد أن كان عدد المدارس الابتدائية والثانوية والعالية في كل قطر محدوداً لا يتجاوز العشرات أو بضع المئات أصبح يعد بالآلاف وأصبح التلاميذ والطلبة يعدون بالملايين وتترى اليوم جانباً كبيراً من تلك المدارس مجانية والتعليم في كثير من البلدان الراميا ، والكليات والجامعات الاميرية والاهلية والمكاتب تعم الاقطار . وقد ساعد تطور فن الطباعة في نشر التعليم وتنوير أذهان العامة ، كما ساعد انتشار الراديو أيضاً في ذلك .. وكان قصب السبق في نشر التعليم للدول الغربية الكبرى . إلا ان الأمم الشرقية أيضاً استيقظت من رقادها وأخذت تطلب العلم حتى ان الاقبال على دور التعليم في الشرق لم يكن دون الاقبال في بلاد الغرب . على ان هنالك بلاداً شرقية ما يزال التعليم فيها متأخراً ولذلك ترى الروح القومية فيها ضعيفة

ولا شك في ان بين انتشار التعليم واستيقاظ الروح القومية علاقة كبيرة كما يمكن التثبت من ذلك في مصر، فان تاريخ الاقبال على التعليم فيها في خلال بضعة العقود الاخيرة كان مقروناً باستيقاظ الروح القومية ، ويظهر ان هذه العلاقة بين التعليم والعصية القومية هي العامل الذي أخاف وما يزال يخيف الدول المستعمرة ، فهي تخشى ان أذنت بنشر التعليم أن تستيقظ تلك الروح التي لا يهمها شئ . قدر السعي لتكثير أغلال الاستعباد

واذا كان يرجى للبلاد الشرقية أى نجاح فهو مرهون بانتشار دور العلم والمدارس فان العلم هو حجر الاساس في بناء الاستقلال

حالة المرأة الجديدة

وهناك تطور آخر طرأ على الاجتماع في خلال الاربعة العقود الاخيرة وهو حالة المرأة في جميع أقطار العالم وتحورها من ربة العادات والتقاليد والنظم التي كانت خاضعة لها منذ أقدم الازمنة . ولا يسعنا الآن أن نأتي على تاريخ مسهب لنهضة المرأة للطالبة بحقوقها في المصور الحديثة فانه تاريخ طويل يرجع الى منتصف القرن الفائت . ففى ذلك العهد شرعت بعض النساء الاميركيات في بث دعوة يراد منها حمل نساء الولايات المتحدة على المطالبة بحقوقهن السياسية والمدنية . وظلت تلك الدعوة تقوى وتمتد حتى وصلت الى أنحاء أخرى من عالم الغرب - في بريطانيا العظمى وفرنسا والمانيا والنمسا ودول أوروبا الوسطى والشرقية . في جميع هذه البلدان هبت المرأة تناضل عن بنات جنسها وتطالب بحقوق كانت محرومة إياها من قبل

وفي أواخر القرن الفائت بدأت تبشیر نجاح النهضة النسوية تلوح في أنحاء كثيرة . فلاح فجر القرن الحاضر حتى أصبحت تنافس الرجل في جميع مناحي العمل والحياة وتزاحم على أبواب الرزق . وفي الاحصاءات الرسمية الاميركية ان عدد النساء الاميركيات اللواتي كن في بدء القرن الحاضر يزاولن الاعمال الحرة والخدمة في المعامل والمتاجر وغيرها بلغ ٢٠٪ من عدد المتعلبات . وما زال هذا العدد في ازدياد مطرد حتى بلغ أقصاه في الحرب العظمى الماضية إذ سبق جميع الشبان - في جميع البلدان التي خاضت غمار تلك الحرب - الى ميادين القتال واستعاض عنهم في المعامل والمتاجر وغيرها بالنساء ولما وضعت الحرب أوزارها احتفظت النساء بوظائفهن وأعمالهن لعدة أسباب أهمها :

أولاً - ان الاجور التي يتقاضينها هي أقل من أجور الرجال
ثانياً - انهن أكثر انصرافاً لائقان أعمالهن وأشد محافظة على واجباتهن
ثالثاً - انهن أكثر جلداً وأوفر اتجاهاً لانهن لا ينصرفن في ساعات فراغهن للسهر والسكر والعريضة ولا ريب في ان منافسة المرأة اليوم للرجل هي من أهم أسباب البطالة التي تشكو منها بلدان كثيرة .

فقد حلت النساء في جهات كثيرة محل الرجال فكثير اذ ذلك العاطلون ولم تقتصر منافسة النساء على الوظائف والصناعات فقط بل تعدتها الى المهن الحرة أيضاً . فأنت ترى اليوم مدارس الطب والهندسة والحقوق وغيرها غاصة بالطالبات من الفتيات في جميع أنحاء العالم وحيثما سرت في أوروبا وأميركا وفي بعض بلدان الشرق تجد الطبييات والمحاميات والمهندسات والاديبات والشاعرات والمعلبات وخلافهن . وهذا ما شجعهن على المطالبة بحقوقهن السياسية أيضاً . ولا أدل على نجاحهن في هذا الميدان من أنك تجد اليوم بعض مناصب النبوة والكراسي النيابية تشغلها النساء في أميركا وإنجلترا وروسيا وأوروبا بوجه الاجمال

التطور في الطب

وكان التطور في الطب أيضاً عظيماً جداً في خلال الاربعين سنة الماضية . والدليل على ذلك ما أصابته الجراحة من التقدم ولا سيما في العشرين سنة الاخيرة حتى أصبح هذا العلم أشبه بالسحر . ولا يتسع

المجال لوصف تفاصيل هذا التطور فانه بما تضيق دونه المجلدات . ولكن جراحة الدماغ والاعصاب وغيرها قد كانت من أعظم وجوه النصر الذي أوتي العلم على الامراض . أضف الى ذلك تقدم علم الميكروبات والتعقيم وأساليب التغلب على جراثيم الامراض ، وأساليب التخدير في مكافحة الآفات التي كانت تعتبر حتى منتصف القرن الفائت مستعصية على العقل البشري . وقد كان لتقدم علم الطب والجراحة وارتقاء علم الصحة ودرس المواد الغذائية المختلفة اكبر الاثر في إطالة متوسط عمر الانسان وفي تقليل نسبة الوفيات ، وسيظل الامر كذلك ومتوسط عمر الانسان يزيد الى أن يبلغ حده الأقصى

هذه أهم المناحي التي شملها التطور في خلال الأربعين سنة الماضية بسطناها باعتبار ان ذلك التطور لم يكن موضعاً خاصاً بقطر من الاقطار بل كان شاملاً عاماً ظهرت آثاره ظهوراً واضحاً . وفي الواقع اننا اذا قابلنا حالة مصر في خلال الاربعة العقود الماضية بمآلاتها قبل ذلك رأينا آثار التطور فيها جلية واضحة . ففي ميدان السياسة نرى البلاد وقد تكبت بالاحتلال الانجليزي في أول الامر تسعى بكل ما فيها من قوة للخلاص من ذلك الاحتلال . وما هي إلا أن نشبت الحرب العظمى الماضية حتى نهضت تطالب باستقلالها . ولم تذهب جهودها عبثاً بل أثمرت بفضل حكمة زعمائها . فانتقلت من بلاد محتلّة بجنود أجنبية الى بلاد مشمولة بالحماية الى مملكة مستقلة ذات سيادة وهو آخر أدوار تطورها السياسي . نعم ما تزال هناك أمور معلقة بينها وبين بريطانيا العظمى ولكن قادتنا لن يعجزوا عن الوصول الى اتفاق متبادل على تلك الامور يحصون كرامة البلاد ويضمن سلامتها . وفي عالم الاقتصاد أيضاً كان تطورها عظيماً فقد اتسعت مواردها التجارية وكثرت مصانعها وزادت صادراتها ووارداتها وتضخم ميزانها التجاري وزادت عملتها وكثرت بنوكها ومصارفها والشركات المالية فيها ، نعم ان تقدمها الاقتصادي ما يزال مرهوناً بقيود دولية كثيرة ولكن البلاد قد استيقظت وأدركت ما للاستقلال الاقتصادي من الشأن فانبرى رجال المال المفكرون فيها لانشاء المصارف والشركات الوطنية ، وكانت النهضة مجيدة مباركة لأن الأمة كلها وقفت تعاضد المشروعات الاقتصادية وتؤيدها بكل ما فيها من قوة

وما يدعو الى الفخر والاعجاب ان بنك مصر والمشروعات المالية والاقتصادية التي قام بها في الستين الاخيرة انما هي مظهر من أجمل مظاهر التطور الاقتصادي الذي مر على مصر

وكذلك القول في الميدان الاجتماعي فان التطور فيه في خلال الأربعين سنة الماضية كان عظيماً جداً ، وقد كانت أجلى مظاهره بعد الحرب العظمى الماضية . ومن دواعي الأسف أن التطور في مصر في هذا الميدان لم يكن خالياً من الانتقاد . وأهم وجوه هذا الانتقاد الافراط في اقتباس بعض العادات الغربية بما لا تلائم الروح الشرقية . ويظهر أن روح التقليد شديدة فينا ، ونحن نقتبس العادات والتقاليد من دون تمييز بين صالحها وطلحها

عل أنه بازاء ذلك لايسعنا إلا إبداء الارتياح إلى وجوه التطور الاجتماعية الأخرى التى طرأت على مصر فى خلال الأربعين سنة الماضية والتي تدعو بالحقيقة الى الاعجاب . وفى مقدمة ذلك ترقية مستوى التعليم النسوى وإقبال الآباء على إرسال أولادهم وبناتهم إلى دور العلم ، وتنظيم قوانين الاحوال الشخصية ولا سيما ما يتعلق منها بالمرأة ، وقد كانت تلك القوانين لاتخلو من اسباب الانتقاد ولاسيما ماله صلة بأمور الزواج والطلاق والميراث . ولا ريب فى أن جانباً كبيراً من الفضل فى ذلك التطور يعود الى المساعى التى بذلتها ولا تزال تبديها المرأة المصرية . والآن فى مصر عدة جمعيات تعنى بشؤون المرأة وتسعى لتزقيتها وقد كان لها الفضل الاكبر فى كل ما أصاب المرأة فى مصر من رقى ومن دواعى الارتياح أن تطور مصر سياسياً واقتصادياً وعمرانياً قد كان عظيم التأثير فى البلاد المجاورة لمصر كسوريا وفلسطين والعراق وغيرها من البلاد التى تربطنا بها رابطة اللغة والعادات والتقاليد

* * *

والخلاصة أن مصر قد شهدت منذ ولادة مجلة الهلال تطوراً عظيماً فى جميع مناحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ولم يبلغ بعد هذا التطور غايته القصوى . ولذلك سستظل مصر تواصل جهودها فى جميع تلك الميادين . وستكون القدوة لجميع جاراتها والامم الشرقية التى تربطها بها روابط اللغة والعادات والتقاليد

نظرات الى المستقبل

الانسان

خلاصة مقالة لمكسيم جوركي

الكاتب الروسى الشهير

من أعظم تطورات الاجتماع أن الانسان بعد أن أخضع الجو وركب متن الهواء وقف لحذاء يفكر في عظمة عمله ويقول لنفسه : لقد أخضعت الهواء وغصت في الماء وحاكيت سرعة البرق واكتشفت الراديو وعرفت سر استعماله . وأنا أستطيع الآن أن أحاطب الناس في أقصى أنحاء الأرض بواسطة الكهرباء الأثيرية ، ويخيل إلى أنى سأكتشف عما قليل سر الحياة . فإذا ترى بقى مكتوماً عني ؟ ،
لاشك أن الإنسان سيظل يتدرج من حال الى حال إلى أن يدرك أنه لم يبق أمامه إلا أن يقف معجباً بقوته . وفي الواقع أنه لم يقف حتى الآن ليفكر في عظم قوة الابتداع التي هي من أهم مزاياه ، مع أن قوة عقله وتصوره لا تقل شيئاً عن قوة ابتداعه
ومن مدهشات الحياة بل من سخرية الأقدار أن يقف الانسان مدهوشاً من صنعة يديه معجباً بالجراموفون والسينما واللاتوموبيل وغيرها من الاختراعات مع أنه لا يسدى مثل ذلك الاعجاب بنفسه وبقوى عقله ومخيلته

وهو حسود غيور - وقد حمله حسده على منافسة طيور السماء وانتزاع ملكة الجو منها
وهو شهبانى بالطبع - وقد حملته شهوته على التغزل بالمرأة والسعى لغوايتها
وهو خداع كذاب - وقد حمله الكذب على ابتداع الاساطير والحرافات عن آلهة الخير والشر
وعن ابطال الروايات الخيالية كروبنسن كروزو وهملت وفوست وغيرهم
وهو شديد الطمع - وقد حمله طمعه على الاحتفاظ بقواه على أمل الوصول الى الكمال
وهو غفور شديد المباهاة - وقد حملته كبرياؤه على الاعجاب بنفسه وبكل ما هو من صنعة يديه
وهو كسول - وقد أقعده كسله عن السعى لاصلاح الحالة التي هو فيها وللقرار من عيشته الرتبة
بل الانسان سر مستغلق ومخلوق قد منح قوة التفكير فأوجدت فيه هذه القوة طموحاً الى الخلق والابتكار بل الى هدم كل ما تخلفه يده

وليس أسهل عليه من فعل الشر . وليس أصعب عليه من فعل الخير . وقد عانى من تقلبات الزمان ما أكسبه خبرة في كل شيء وجعله عظيماً في كل شيء . ولكن اختباره يملأه غروراً ، وهو على أشده

غروراً بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين من العمر إذ يظن يومئذ أنه نايعة عبقري ، ولكنه أشبه في ذلك الدور بخص مجرد من الثمر - فهو مرتفع أبدأ إلى العلاء بخلاف الغصن المتقل بالثمر فإنه منحني أبدأ نحو الأرض

ويعتقد الانسان أن له الحق في إتلاف كل شيء وفي إهلاك كل حي . وأشد الناس شقاء هم الذين يتلفون كل شيء ولا يستطيعون خلق شيء.

ولقد أظهر الانسان جرأة عظيمة فغزا مملكة العالم المنظور وابتكر أشياء كثيرة لم تكن معروفة على الأرض وصنع المعجزات العلية وغزا مملكة السحر وحاول اخضاع قوى الطبيعة

في مارس سنة ١٩٢٧ احتفل العالم بمرور مائتي سنة على وفاة نيوتن الذي كان من أعظم نوابغ التاريخ . وقد نقشت العبارة التالية على قبره في وستمنستر وهي : « ليختبئ البشر لأنه وجد في العالم من كان زينة لهم »

ولا بدع فالانسان هو زينة العالم وله الحق أن يقف أمام المرأة ليعجب بنفسه

عصر المفاجآت

خلاصة مقالة للدكتور جيمس روبنسن

استاذ التاريخ بجامعة كولومبيا

كان الانسان في جميع أزمنة التاريخ يطلب المعجزات . ومعجزات الزمن القديم تختلف عن معجزات هذا العصر ، فقد كانت تلك تتم بقوة غامضة غير منظورة تعزى الى الله او الى الآلهة ، حالة أن هذه هي نتاج العقل البشري وثمره الفكر الانساني

وصانع المعجزات اليوم يعترف بضعفه أمام الطبيعة . وكلما اكتشف سراً من أسرار الكون شعر بأنه ما يزال ضعيفاً عاجزاً

ولهذا الكائن العجيب قوة ايمان وصبر لا ينضب . وكلما صادفه ما يبطئ العزم ازداد قوة ونشاطاً وكثيراً ما يضطر الى التضحية بصحته وبحياته والى الاستشهاد في سبيل ارادته . ولكنه شديد الثقة بنتيجة عمله ولا تستطيع العقبات ان تثنيه عما يريد

تراه كثير الرغبة في معرفة كل شيء وفي توسيع دائرة علمه والعلم بفضل بحثه سريع التطور كثير المفاجآت . فلا يظهر كتاب علمي إلا ويغير النظريات العلية التي تقدمته ، بل لا يكاد ذلك الكتاب يصدر من المكتبة حتى يفاجأ الناس بأراء علمية جديدة . وما تزال الطبيعة سرا مستغلقا وهو يسعى

لاستجلائها . ومع احترامه لمن تقدمه من العلماء يعتبر انهم كانوا يسرون في الظلام . ولذلك تراه يغير ويرمم مابناه نيون ولافوازيه ودالتون وفرادى وداروين وباستور وغيرهم ولا ريب في أن المصنفات التي ظهرت في خلال الاربعين سنة الاخيرة تشرح حقيقة الطبيعة الانسانية أكثر من ملايين الكتب التي ظهرت قبل ذلك . ففيها وصف جهود الانسان وعواطفه ونفسيته واعماله وحروبه وفضله وانتصاراته وأفراحه وأتراحه وكل ما يحق به في هذه الحياة في أثناء تطوره وتسلفه سلم الكمال . وقد أتيج له في خلال هذه المدة ان يتحكم في قوى الطبيعة ويسخرها لأرادته فاستخدم « شرر زفس (١) » واستعان بها على قضاء حاجاته وشؤونه حتى المنزلية منها كالطبخ والسكى والغسيل والاضامة . واستعان بجميع ما في الطبيعة لضمان سعادته ورفائه . ثم ضاق به البر والبحر فعمد الى مملكة الجو وأخضع أطرافها الثابتة

ان الذين كتبوا قديماً عن الانسان لم يعنوا بتاريخه لانهم كانوا يحلون ما وقع له قبل أزمنة التاريخ لذلك اكتفوا بما جاء عنه في الادب ان المنزلة من أن الخالق أوجده في جنة عدن قبل المسيح بأربعة آلاف سنة . ولكن الاربعين سنة الاخيرة قد كشفت لنا التقاب عن جانب من تاريخ الانسان الصحيح واثبتت لنا ان الانسان وجد على وجه الارض منذ مليون سنة أو أكثر وأنه كان منذ تلك الحقب يسير على مؤخرته كما يفعل ويتدرج في العلم والمعرفة طبقاً لبيته وللنواميس التي كانت ولا تزال تتحكم فيه . وتدل الجاهم التي عثر عليها العلماء على ان الانسان في أوائل عهد نشوئه كانت أقرب الى الحيوان منه الى الانسان ولكنه كان مجهزاً بقوة دفعته الى الامام . وهي حب الاطلاع وتوسيع دائرة المعرفة وإجادة التقليد

وغنى عن البيان أن الانسان شديد الشبه في شكله ووظائفه الفسيولوجية بالقردة العليا . فهو يبدأ حياته جنيناً في بطن أمه ، وفي مدة اقامته هنالك تبدو عليه آثار تدل على أنه من أصل حيوان مائي . وتراه يحتفظ مدى حياته بأعضاء أثرية تدل على الاصل الذي نشأ منه . ولا شك أن الاغلاط التي يرتكبها في الحياة والنقاوس التي تبدو منه هي دليل على أنه عند ارتكابه تلك الاغلاط إنما يرجع إلى طبيعته الحيوانية يوم كانت قوة الإرادة فيه ضعيفة

وهناك أدلة لا تحصى على ان الانسان قد قضى ٩٩ في المائة من الوقت الذي وجد فيه على الارض وهو أقرب الى الحيوانات منه الى حالته الحاضرة وأنه كان في أوائل عهده جميعاً يعيش على القمص والصيد ولا يعلم ما هو مستور له في شيايا المستقبل من عوامل التطور . وبمرور الزمن تعلم كيف يصنع النار والأدوات الحجرية ثم رفه جسمه ، فآخذ يشعر بالبرد ، فاكتفى بجلود الحيوانات وقضى مئات الألوف من السنين وهو في حالة فاضحة من الهمجية يحول على هذه الارض كالحيوان . ولم تعلم صناعة الغزل والنسيج والزراعة ورعاية المواشى إلا منذ نحو اثني عشر ألف سنة فقط . أما القراءة والكتابة فلم يتعلما الا بعد ذلك بكثير ، أى منذ بضعة آلاف من السنين

(١) إشارة ميتولوجية استمارها الكاتب للدلالة على الكهربية

فند نحو ستة آلاف سنة كان وادى النيل غاصاً بطائفة من البشر بلغت حضارتهم بالنسبة الى غيرهم من شعوب الأرض شأواً بعيداً . فكانت هذه الطائفة قد بدأت تقرأ وتكتب وتبنى البيوت والمعابد وتقيم الأضرحة وتصنع الأدوات المعدنية بدلاً من الأدوات الحجرية ، وتكفن موتاهم بالكثبان الناعم وتصنع التماثيل والآنية الخزفية وتشغل بالسحر والعرافة والتنجيم والفلسفة . وما زال القوم يتقدمون ويتطورون حتى بلغوا منزلة سامية من الرقي

على أن الطبيعة الحيوانية ما تزال آثارها ظاهرة في الجنس البشرى بوجه الاجمال . وما يزال كل امرئ يجرى الى هذا العالم يبدو في طفولته أقرب في عقله الى الحيوان منه الى الانسان . وهو يجمع في خلال طفولته وحدائمه طائفة من الاختبارات توسع دائرة مداركه وتدفعه في سبيل المدنية . ولا شك أن العقل هو الحد الفاصل بينه وبين الحيوان

العقل والجسد

والعقل هو مجد الانسان الأعظم ، والآلة التي يستعين بها على انجاز جميع معجزات الحضارة وما من حيوان يستطيع أن يفكر كالانسان ومزية تفكيره هذه هي التي دفعته الى استنباط ديانات ونظم هي في الحقيقة نتاج الجمع بين الدين والفلسفة . بل هي التي أكسبته العلم بأحوال العالم وسأكنه ومكنته من اختراع أشياء كثيرة لضمان طعامه وكسوته وزينته ووقايته وتوفير أسباب غبطته على وجه لم يكن معروفاً عند أجداده . فما أعظم العقل وما ألزمه للانسان ! ومع ذلك يحاول بعض العلماء إنكار وجوده . وإذا اتفق العقل فكيف نحل سلوك الانسان وسيره في هذا العالم وقيامه بمهام الحياة بما ينطبق على المنطق ؟ أو ليس من الطبيعي أن نفرض وجود قوة مفكرة عاقلة ترسم لنا الخطط التي يجب أن تسير عليها لإرادتنا وميولنا ، وتستخلص لنا العبر والنتائج من اختبارات الزمن السالف لنسترشد بها في حياتنا المقبلة ؟ حقاً أن من ينكر وجود العقل يجب أن يكون مجرداً من العقل

وقد كتب الفلاسفة الاقدمون عن العقل ، فاثبت معظمهم وجوده وعرفه جون ستوارت مل بقوله : إنه قوة غامضة تشعر وتفكر . ولعل هذا التعريف برضى سواد المفكرين

وما يجدر بالذكر أن طائفة من علماء البسيكولوجيا قاموا في بضع السنوات الاخيرة بمباحث واسعة النطاق خاصة بطبائع الحيوانات وسلوكها . فثبت من هذه المباحث أن الحيوانات ، ولا سيما العليا منها غير مجردة تماماً من قوة التفكير كما كان الناس يمتدحون حتى عهد قريب ، وأن تفكير الاطفال ليس أرقى من تفكير تلك الحيوانات . وهذا وحده دليل على أن العقل - تلك القوة الغامضة التي تشعر وتفكر - يتطور بمرور الزمن وهو خاضع للعوامل التي تؤثر في ناموس النشوء والارتقاء ولكن ليرجع الى تلك المخلوقات الميكروسكوبية الدقيقة التي تتناسل بسرعة وترى في سلوكها جميع علامات التفكير . إنها تتناول من الغذاء مثلاً ما يلائم طبيعتها وترفض ما سواه وكل جهودها منصرفة الى الدفاع عن حياتها والى ضمان غذائها . فهل هي مدفوعة بقوة عاقلة ؟

هذا ما قد عجز العلم عن حله حتى الآن . نعم انهم يعملون ذلك السلوك بالفرية ، ولكن ما هي الفرية ؟ وما حدودها ؟ وأين مقرها ؟ وما منشأها ؟
وهناك مشكلة أخرى وهي تحليل العلاقة بين المادة وغير المادة . فإرادة الانسان مثلا تحرك أعضاء جسمه في اتجاهات معينة . وما من حركة يأتيها الانسان إلا وهي نتيجة إرادته ، سواء أكانت إرادة وجدانية مصحوبة بشعور تام ، أم باطنية غير مصحوبة بذلك الشعور . ولكن الإرادة هي قوة غير مادية ، حالة أن أعضاء الجسم هي أشياء مادية . فكيف تفهم هذه الأشياء المادية (كاليد والرجل والعين وما أشبه) تلك الإرادة غير المادية ؟
وبعبارة أخرى - إن الفكرة الشائعة والتي كانت سائدة حتى الآن هي أن المادة شيء ميت غير ذي وجدان ولا شعور ولا حركة فكيف تؤثر فيها قوة الإرادة وهي غير مادية ؟
هذه مشكلة لم يوفق العلماء الى حلها حتى الآن فلا يبعث على الارتياح . إلا أن تقدم العلم منذ بدء القرن الحاضر قد بدأ يلقي ضوءاً عليها ، إذ تدل المباحث العلمية الحديثة على أن المادة ليست في الحقيقة شيئاً ميتاً كما يعتقد سواد الناس بل هي تتألف من دقائق (Molecules) وهذه الدقائق تتألف من جواهر فردة (Atoms) والجواهر الفردة تتألف من كهارب أو اليكترونات (Electrons) وهذه الكهارب ليست ميتة لا حراك فيها بل هي ومضات كهربائية ذات حركة دائمة وهي تدور بسرعة لا تدرکہا الابصار وتحاول دائماً أن تتحد بمواد أو عناصر أخرى . ومن هذا الاتحاد تنشأ العناصر المختلفة
فاذا ثبت أن المادة غير ميتة ولا جامدة ، أفليس من المحتمل أن يكون بينها وبين قوة الإرادة علاقة تعاون أو تفاهم حتى تقوم المادة بتنفيذ ما تطلبه الإرادة ؟

عصر الاضطراب

خلاصة مقالة لجويليمو فرورو

المؤرخ الايطالى الشهير

العالم اليوم في اضطراب عظيم لأنه لا يعرف الى أين هو سائر ولا ما هو الحد الذي سينتهى اليه أدرك طرفه الى كل جهة ، ماهى حقيقة حالة اوربا وأمريكا في هذا العصر ؟ تجد شعوب هاتين القارتين في جهد مستمر يسعون للارتواء من ينابيع المعرفة ولضمان الغنى والسلطان وهم مهتمون بروح المادية كأنهم قد جملوا المال غايتهم القصوى ومثلهم الأعلى في هذه الحياة . وفي الواقع انهم يسعون وراء المال ، فاذا جمعه لم يعرفوا كيف يتمتعون به ، اذ ليست لهم غاية أخرى وراءه ، ولا هم يعلمون لماذا يجمعونه . وما من فرد او شعب يستطيع أن يتصور ثروة أو سلطة تجلب

السعادة للانسان . ومع ذلك فان الجميع يسعون سعياً حثيثاً في سبيل الثروة والسلطة وينفقون الأيام والليالي في سبيل استنباط المشروعات وابتكار الوسائل المؤدية الى تلك الغاية وكلما زاد الغنى والسلطان زاد السعى للاكثار منهما . وحالة الانسان وهو في هذا السعى أشبه بحالة المحكوم لا يهدأ له بال ولا يعرف السكون ، لأنه لا يعرف حقيقة الغاية التي يسعى اليها ولا سبيل الوصول اليها

وليس من يعلم متى يقف الانسان ويقول كفى ! مع انه كان من المعقول أن يكون لرغباته وميوله وأهوائه ومطامعه حد يقف عنده

ترى ما هي حاجات الانسان المشروعة وأين تنتهى وأين تبدأ الحاجات الكالية ؟ اتنا في أشد الحاجة الى ما نستطيع أن نفرق به بين الجهد اللازم والجهد الضائع ، بين الاقتصاد والتبذير ، بل نحن في حاجة الى حد فاصل يبدلنا على السكينة التي يحق لنا امتلاكها أو استهلاكها أو التمتع بها ولكن واأسفاه ! لقد جاوزنا كل حد . ورغبة الانسان تسير في اتجاه غير معلوم ، وفي حين لا حدود له

ان عالمنا في هذا العصر يمتاز بالعظمة والقوة والغنى والحسنة . والناس يباهون بكون هذا العالم مسرحاً لأفضل حضارة شهدها التاريخ وأشدّها انطباقاً على مقتضيات الانسانية ، ومع القناص الكثيرة التي نستطيع ان نؤاخذ بها انفسنا فانه ما من عصر من عصور التاريخ كانت فيه علاقات الافراد أكثر انطباقاً على مقتضيات العدل والحنان والانصاف . واذا كانت قسوة الانسان قد ظهرت على أشدها في الحرب العظمى الماضية ، فان تلك القسوة ليست في خلق الافراد ولا في نفوسهم ، بل في آلات الهلاك والدمار التي استبطنها الانسان وأطلق عقاها والتي ليس له عليها سلطة الآن . ذلك لأن تلك الآلات قد أصبحت سيد الانسان وأصبح الانسان مستعبداً لها من دون أن يشعر

وفي الواقع ان العيب الاكبر في مدنيتنا الحاضرة ليس في كونها مادية ، بل في كونها لا تدرى أين تقف وعند أى حد تستقر . فسواء في انتاج المتاجر أو المصنوعات أو الذخائر أو الاسلحة أو الثروة أو عدد السكان أو ما الى ذلك تراها عاجزة عن الوقوف عند حد ، بل هي تعجز عن الوقوف عند حد في بحثها عن الحقيقة أو الجمال . فما من نتيجة تكتفي بها ، وما من كية تقنعها ، لذلك تراها دائماً مندفعة الى الامام ، كأنها تحاول الوصول الى أفق لا يمكن الوصول اليه ، وهذا هو سبب عدم اكتفائها أو قناعتها ، وهي كلما زادت نجاحاً زادت مطالع

على ان سيرها في السبيل المجهول ، واتجاهها نحو الأفق الذي لا يمكن الوصول اليه ، ليسا بالمسبين الوحيدين للاضطراب الذي يسود هذا العصر . فهناك عامل آخر يعطل هذا الاضطراب وهو الصراع الباطني بين مبدأي الحرية والانقياد للنظام ، وقد بدأ هذا الصراع يدخل في دوره الختامي ، ولعله أعتقد المشاكل التي تستشغل عقول أهل الجيل القادم

ان القرن التاسع عشر ورث عن الحضارات السابقة عدة مبادئ أدبية وعقلى وسياسية ، وكلها تؤيد وجوب الانقياد الى النظام . نعم ان تلك المبادئ كانت في بعض الحالات في صراع شديد مع المبادئ

الجديدة التي ظهرت مع تطور الحوادث ، ولكن مبدأ الانقياد للنظام بوجه عام كان ولا يزال بمنزلة « فرملة » أو لجام لكبح جماح المندفعين في كل شيء على غير هدى ، الذين كان روح الاضطراب السائد على العصر يدفعهم في تيارات مختلفة . ولا حاجة الى القول انه كان من جملة نتائج ذلك الصراع فساد مناح كثيرة من مناحى الاجتماع والحضارة . وقد أثر هذا الفساد أسوأ الاثر في حضارتى أوربا وأميركا في أثناء القرن التاسع عشر ، ولم يفلح في اصلاح ذلك الفساد ما بلغته الحضارة من نجاح ورقى وما يجدر بالذكر ان الحرب العظمى الماضية زعزعت أركان الحضارة على وجه يصعب تصوير حقيقته . فقد سقطت عدة عروش على أثر تلك الحرب أو بسببها ، وكان يظن انها باقية الى الابد . وأثر عصر الاضطراب في النظم السياسية والعمرانية وفي التقاليد والعادات القومية اذ قضى على الكثير منها وذهبت فريسة للاهواء والاضطرابات . وكان من جراء ذلك أن تزعزع نظام الأسرة نفسه ، فليست الأسرة اليوم مدرسة لتعليم النظم كما كانت من قبل . وليس للآباء على الاولاد في هذا العصر ما كان لهم من السلطة في العصور السابقة . أضف الى ذلك ان العقيدة الدينية قد ضعفت ولم يبق لها على النفوس ما كان لها قديماً من سلطان . كل ذلك لأن ميول البشر أصبحت منهمكة بشئ المقاصد والاغراض

ولا شك في انه لا شيء أصعب من إنشاء النظام وتوطيد أركانه ، ولا سيما في هذا العصر - عصر الاضطراب الفكرى والمادى - واتنا في أشد الحاجة الى نظام دينى أدبى على اقتصادى لكي ينتهى الاضطراب الذى نحن فيه

مستقبل الاكتشافات العلمية

خلاصة مقالة للدكتور آبوت

العالم الاميركى المشهور

منذ عهد غير بعيد قام الدكتور جورج هايل - أحد كبار علماء الفلك الاميركيين - بدعوة قومه للاشتراك في مشروع على عظيم وهو الاكتتاب بمبلغ مليوني جنيه لصنع اكبر تلسكوب في العالم ، يكون قطر مرآته العاكسة مائتي بوصة ، ويستطيع رصد ما يوازي أربعة أضعاف الاجرام الفلكية التي يرصدها تلسكوب مرصد مونت ويلسون الذى هو أعظم تلسكوبات الدنيا في الوقت الحاضر . ومتى تم هذا التلسكوب فستجلى لنا عظمة هذا الكون إذ نستطيع إذ ذاك رصد ثلاثين بليوناً من الشموس التي لا تقل في حجمها عن شمسنا وكلها ضمن نظامنا وتشغل حيزاً من الفضاء لا يقل قطره عن الف مليون تريليون من الاميال . ومع ذلك فإن في الفضاء مئات الألوف من النظم الاخرى تضم

ملايين الأجرام الفلكية وجميعها في أدوار مختلفة من أدوار التطور وعلى درجات من الحرارة تبلغ في بعضها عشرات الملايين ، وبعاذل الضغط الواقع عليها من الجو أضعاف ملايين الضغط الواقع على الكرة الأرضية من الجو المحيط بها

وليس الفضاء السحيق وحده هو الذى ينتظر أن تتم فيه الاكتشافات العظيمة بل هنالك - في الجهة المقابلة - مملكة الخلائق الميكروسكوبية الواقعة تحت أبصارنا والتي ما تزال عجوبة بأستار النموض والاهام . ومن ذلك الخلايا الميكروسكوبية التى تنشأ الحياة من اتحادها ، والخلايا الأخرى التى هى سبب ما يمتاز به الإنسان من صفات الخير والشر والذكاء والخول وما إلى ذلك . والخلايا التى هى سبب الوراثة والفريزة وهلم جرا

وإذا نظرنا إلى تركيب المادة نجد أن تلك الخلايا ليست شيئاً بذكر بالنسبة إلى الكهارب أو الأيلكترونات التى يتألف منها الجوهر الفرد . وقد أفضى اكتشافنا للأيلكترونات ومعرفتنا ببعض خواصها إلى اختراع التلفون اللاسلكى . والمتنظر أن يسع نطاق الاختراعات فى المستقبل بالتساع نطاق معرفتنا عن كهارب المادة ودقائقها الميكروسكوبية

ولا حاجة إلى القول أن الاكتشافات لا تتم بلا جهود . وإنا واقنون بأنه لن ينقضى النصف الأخير من هذا القرن حتى نكون قد اطلعنا على الكثير من أسرار الطبيعة التى ما تزال تجهلها ، ومن أسرار المادة المتناهية فى العظم والمتناهية فى الدقة . وسيبذل الناس جهودهم فى بضعة العقود المقبلة لاستجلاء أسرار الطبيعة الغامضة

ولن نقف الجهود عند هذا الحد بل ستمتد إلى جهات أخرى . ولا يخفى أن الدول - وفى مقدمتها الولايات المتحدة - تنفق الملايين الكثيرة من الأموال فى سبيل البحث والاختراع والاكتشاف . ولما كان ميدان البحث واسعاً لا حد له فستزداد الأموال التى ستنفق فى تلك السبيل فى السنين المقبلة زيادة هائلة

ففى كل منحنى من مناحى العلم والاكتشاف تجد آثاراً بادية لجهود الإنسان . وإنا نعيش اليوم فى عصر نجد فيه من الاختراعات ما لم تقطر ببال آبائنا ، وما لو ذكرت لأحد منذ مائة عام لظننا خرافة لا يمكن تصديقها . ومع ذلك فن الذى يشك اليوم فى وجود التلغراف والراديو والتلفون اللاسلكى وما إلى ذلك ؟ ومن ذا الذى يستطيع أن يكذب ما يسمعه من أخبار الاختراعات والاكتشافات ولكن هل وصلنا إلى غاية الاختراعات فى مسائل النقل والانتقال والمواصلات مثلاً ؟ أو ليس من الممكن أن تتطور طرق النقل والانتقال وتجاوز الحيز المادى - حيز اللاسلكية ؟

لقد كان الاعتقاد شائعاً منذ أقدم الأزمنة بإمكان انتقال الفكر من إنسان إلى آخر ولكن العلم لم يوفق حتى الآن إلى تحليل هذه الظاهرة المدهشة . ومع ذلك فالأمل قوى جداً بأن يتمكن الإنسان فى المستقبل من جلاء هذا الغامض

وهناك منحنى آخر من مناحى النقل والانتقال ، ونعنى به الطيران . والمعروف أن هذا الفن ما يزال فى أول عهده . وإن الإنسان ما يزال حتى الآن عاجزاً عن مجاوزة حد معين من الارتفاع . على أننا نقرأ

من وقت الى آخر أخباراً من مصادر أوربية وأميركية تدل على بعض ما يبذل من الجهود لترقية وسيلة جديدة من وسائل الطيران ونعني بها التغذية الطائرة ، والغرض منها بلوغ الطبقات المستغلة من الجو فوق الطبقات التي تستطيع المناطيد والطائرات الوصول إليها . بل لقد أثبت بعضهم بطريقة نظرية أن في الامكان إرسال قذيفة تظل سائرة في الجو الى أن تستقر على القمر . وليس غرضنا الآن مضاعفة الجهود في هذا السبيل بقصد الوصول الى الافلاك العلوية ، وإنما همنا من مراقبة تطور الطيران بواسطة القذيفة أن تتمكن من اختراق الجو صعوداً والوصول الى طبقات الجو النائية حيث نستطيع فحص الضغط وتركيب الجو واستجلاء غوامض الأشعة التي وراء البفسجية ومعرفة أسباب التقلبات الجوية وما الى ذلك من المعلومات

وهناك ميدان آخر غير طبقات الجو يرقبه العلماء ويحاولون استجلاء غوامضه وهو اغوار البحار حيث تقيم ملايين المخلوقات الحية التي لا نعرف عنها إلا النزر اليسير . وقد بذلت كلتا بريطانيا العظمى والولايات المتحدة جهوداً كبيرة في هذا السبيل ، كما قامت المعاهد العلمية المختلفة بجهود أخرى . ولكن مجال العمل لا يزال فسيحاً

وهناك ميادين أخرى ينتظر تقدم العلوم والاختراعات فيها تقدماً عظيماً في المستقبل . فهناك ميدان الطب ، وما يزال الأطباء يبذلون فيه جهود الجبارة للتغلب على الامراض المستعصية كالسل والسرطان والأوربة الوافدة

وهناك أيضاً ميدان الكيمياء حيث يسعى العلماء لا ماطة اللثام عن طبيعة العناصر البسيطة والمواد المركبة ولا سيما التي لها علاقة بظاهرة الحياة في النبات والانسان وهناك الميادين التي يخوضها علماء الطبيعة والهندسة والارصاد الجوية ، وكل منهم يسعى في دائرته لكشف غوامض العلم واستجلاء أسرار المستقبل والخلاصة ان العلم يتقدم في جميع الميادين . والعلماء يتوقعون أن يكون تطوره في بضعة العقود المقبلة عظيماً جداً

مستقبل الطيران

خلاصة مقالة للأدميرال بيرد

الرحالة الاميركي المشهور

لما طار بليريو الفرنسي في سنة ١٩٠٩ فوق خليج المانش صار الخيرون بشئون الطيران يتوقعون اجتياز الانلاتليك بواسطة السفن الجرية ، والانلاتليك أعرض من خليج المانش بخمسة وستين ضعفاً .

ولم ينقض على طيران بليريو سوى عشرة اعوام حتى تمكن الكوماندور ريد الاميركي واثان آخران من الاميركيين من اجتياز الاطلانتيك بغارب طيار . ثم جاء بعدهم لندبرج الطيار الاميركي فاجتاز الاطلانتيك بطيارة بمفرده

وقد احتفل في شهر ديسمبر الماضي بعيد ميلاد الطيران الثامن والعشرين . وقد كان مدى تقدم هذا الفن في خلال الثلث الاول من هذا القرن عظيماً جداً ، مع ان الطيران لم يكن منذ خمسين عاماً سوى حلم خيالي

ولكن الانسان أغار على مملكته الجوية فافتحها عنوة ، وما لبث أن اجتاز الباسفيك والاطلانتيك على متن الهواء ، ثم اتجه شمالاً حتى بلغ القطب الشمالي ، وكان بعد ذلك أن امتلأ الجو بأزيز الطيارات في كل مكان

ولقد شهد العالم أعمال الطيارين الباهرة وكل منهم يحاول أن ييز من تقدمه ويحزق قصب السبق عليه . ولذلك ترى صانعي العدد والآلات الجوية والمهندسين يتسابقون في سبيل إلتقان الطيارة حتى يستطيع المرء أن يطير كيف يشاء . وكان من آثار تلك المنافسة أن استطاع المرء التحليق في الجو الى ارتفاع عشرة أميال ، كما استطاع أيضاً أن يطير مسافات شاسعة ويجتاز أكثر من سدس محيط الكرة الارضية في رحلة واحدة من دون أن ينزل على الارض . ويقول المهندسون ان الانسان سيستطيع الطيران في المستقبل بسرعة هائلة لا تقل عما متوسطه خمسة أميال في الدقيقة !

وفي الواقع انه ما من وسيلة من وسائل الانتقال تطورت في خلال السنوات الاخيرة كالطيارات على اختلاف أنواعها ، ولا شك ان هذا التطور سيسير في المستقبل بسرعة عظيمة . فورا الطيارين جمهور عظيم من الصناع والمهندسين والعامل يصلون آتاء الليل بأطراف النهار ويحاولون ترقية الطيران واتقانه وتأمينه وتوسيع نطاقه

ولسنا نبالغ اذا قلنا ان الاموال التي تنفق الآن على الطيران لا تقل عن عشرين مليون جنيه في العام . وكيفما أدركت الطرف تجد « أسهم » شركات الطيران في ارتفاع . وبعد ان كان الناس يخشون السفر بطريق الجو أصبح مئات الالوف يركبون متن الرياح كل عام . وقد بلغ مجموع ثقل البريد الجوي في السنة الماضية فقط مليوناً ونصف مليون من الارطال

وأنت ترى الخطوط الجوية تفتح في انحاء العالم المختلفة كل يوم ، فقد أصبح الطيران مأموراً والمواقب وصار الناس يدركون لذته ومزاياه . وبلغ من اقبال الناس عليه أن شركات الطيران أصبحت مضطرة الى قبول طالبي السفر بالدور !

فترى اذن أن الطيارة قد أصبحت أهم آلات القرن العشرين ، وان الطيران قد أصبح من اساس الحضارة الحاضرة . ولم تقتصر الرحلات الجوية على أغراض الزهرة فقط بل تعدتها الى الاغراض التجارية أيضاً ، اذ أدرك التجار ما في نقل السلع والبضائع بالطيارات من مزايا عظيمة ، لاسيما بعد أن أصبحت السرعة عاملاً من عوامل النجاح

وليس من السهل ان نتكهن بماذا سيكون مستقبل الطيران ، واتما نقول ان هذا الاختراع قد يكون

في آن واحد عاملا من عوامل الحرب كما قد يكون ايضا عاملا من عوامل السلام . فبعض الناس يرون أن الطائرة ستزيد حروب المستقبل فظاعة وشرورا . وبعضهم يرون انها ستعمل على ازالة الحواجز الجغرافية بين الدول فيزيد ذلك في اتصال الناس وتقربهم بعضهم من بعض .

وبعض العلماء والمهندسون في الوقت الحاضر بتأمين الطيران وابعاد جميع عوامل الخطر عنه . وجميع القرائن تدل على أن جهودهم سوف تكفل بالنجاح . بل لقد اصبحت الطائرة الآن وسيلة مأمونة من وسائل الانتقال ، وان يكن ثمة مجال واسع للتحسين ، فان الطيران لم يبلغ بعد حد الاتقان .

ولا يزال المهندسون يسعون ايضا لتكبير حجم الطائرات حتى تستطيع أن تنقل اكبر عدد ممكن من الركاب . كما انهم يسعون ايضا لصنع طائرات تستطيع الارتفاع والهبوط عموديا في الجو من دون أن تضطر الى الدوران طويلا .

والمعروف ان الالمان وغيرهم يسعون لصنع طائرة من نوع القذيفة والزمن وحده كفيل باظهار مزايا هذه الطائرة اذا وفق العلم الى استنباطها . وعلى كل فان التقدم لابد أن يجرى بالتدرج إذ لاخير في الطفرة أو في السرعة . وفي الواقع ان معظم نكبات الطيران - ان لم نقل كلها - هي وليدة السرعة وعدم أخذ الاهبة الكافية .

وهناك طائفة من الاختراعات يجري العمل الآن لتحسينها بقصد ترقية الطيران وتأمينه . ومن تلك الاختراعات أجهزة الرصد الجوي والمحاطبات اللاسلكية والمناورات التي تهتدي بها الطائرات في الظلام وما الى ذلك من الاختراعات التي اذا بلغت حد الاتقان بلغ الطيران بفضلها حد الكمال .

ولا ننسى المناطيد الضخمة الهائلة التي يعتقد البعض انها ستحل مشكلة الطيران في المستقبل . وبعض الدول تعنى بهذه الطائفة من السفن الجوية عناية خاصة نظرا الى ما يرجى منها من القيام بالرحلات الجوية البعيدة مع نقل اكبر عدد ممكن من الركاب .

وعلى كل فان تطور الحوادث سيتحكم بسفينة الجو في المستقبل وستنشأ هذه السفينة نشوءا تدريجيا الى ان تبلغ حدا من الاتقان يصح الوقوف عنده .

القسم الثالث

مختارات من مجلدات الهلال في أربعين سنة

معيشة غلاستون في بيته

عثرنا في بعض جرائد انكلترا على مقالة في هذا المعنى فأثرنا تلخيصها تفكهة لحضرات القراء وقدره لمن أراد . قال الراوى :

« ان معيشة هذا الرجل في بيته مثال البساطة والترتيب ، وأساس أعمالها كلها المحافظة على الوقت ، فهو يعتبر الوقت أثمن كل شئ . فلا تمر دقيقة بغير ان يعمل بها عملاً ، حتى انه اذا سار الى زهرة يترك رفاقه وينزوى الى مكان منفرد يطالع أو يفكر ولا ينتبه إلا اذا نبه أحد . والمبدأ الاساسى عنده قوله :
« لا تمسك بغير عمل قط ،

« يذهب الى فراشه نحو نصف الليل ولا يستيقظ إلا اذا أبغظوه لأنه يميل الى الراحة ، ولكنه على كل حال لا تأتى الساعة الثامنة حتى يكون خارجاً من منزله قاصداً الكنيسة على مسافة ثلاثة أرباع الميل من بيته لاستماع الصلاة ، ولا يحول دون مسيره هذا في كل صباح شئ . فلا يبالي بالأمطار أو الثلوج أو العواصف التى تتوالى كثيراً في تلك البلاد

« فاذا عاد من الصلاة تناول طعام الصباح ثم جلس لقراءة ما يرد اليه من المراسلات وهى لاتصل اليه كلها . وانما ينتخبون المراسلات المهمة وهى لا تبلغ عشر ما يرد باسمه منها لأن ما يرد باسمه كل يوم من الجرائد والكتب يحتاج الى ساعات في فضه فما بالك بقراءته ؟ فيضنون الكتب والجرائد الواردة اليه في الخزائن أو الصناديق الى أن يطلبها . وأما ما يصل من المراسلات المهمة فلا يجيب على اكثر من نصفها ويعمل النصف الباقي

« ويتناول الغداء في الساعة الثانية بعد الظهر . وكان في مدة اعتزاله الوزارة يقضى ما بعد الظهر في ترتيب كتب مكتبته وفيها نحو عشرين ألف مجلد ، فيضع كل كتاب في مكانه ويعتني بذلك اعتناء تاماً لأنه يعتبر الكتب شيئاً مقدساً أو هي بمنزلة الاحياء عنده فزيادة عددها تقوم لديه مقام زيادة تعداد الالهالى . واذا رأى أحداً يمتن كتاباً أو يسى استعماله فانه يشق عليه ذلك وقد يهيج غضبه . ويخرج قبل الغروب في عربته للزهرة ثم يعود للعشاء ، ويقضى وقت السهر من الليل في غرفة مدفأة يقرأ فيه الى ميعاد الرقاد

« أما يوم الأحد فهو يوم مقدس عنده لا يعمل فيه عملاً قط ، فاذا دخلت منزله في ذلك اليوم رأيت السكينة والهدوء والراحة مستولية عليه ، ولا ترى من الكتب إلا ما هو مخصص بذلك اليوم ، وقد قال محدثاً عن نفسه : « لولا محافظتى على الراحة في يوم الأحد ما وصلت الى ما وصلت اليه ،

« وهو يحافظ محافظة تامة على مواعيد الصلاة كما قدمنا ولا سيما في أيام الاحاد
« أما طريقته في مطالعة الكتب فقد لا تنطبق على سائر اخلافة لأنه بطيء في مطالعتها جداً ولكنه لا يحتاج الى كبير إمعان حتى يحكم في صلاحية ذلك الكتاب للمطالعة أو عدمها . ومن كتب الفكاهة التى يطالعها مؤلفات سكوت فهو لديه في المقام الاول بين مؤلفى الروايات (عن المجلد الاول)

البريطانيون الاصيلون الى الفتح الرومانى

إن أحوال الامم قبل الحضارة كلها مجهولات ولا شئ أصعب على المؤرخ من معرفة حقيقتها . إلا أن كتابات قيصر وسترابو وغيرهما من الكتبة الرومانيين قد رفعت عن انكثرا القديمة بعض الحجاب أما أصل الشعب الانكليزى فيقال انه متصل بجورن بن يافث وإن جورن قد جاء تلك الجزيرة عند تليل الالسنه وأقام فيها وجاء الشعب البريطانى من نسله

هذا ما يدعيه بعضهم أما الممول عليه عند علماء التاريخ فهو أن سائر أمم أوروبا من نسل يافث كما أن أهل آسيا من نسل سام وأهل أفريقيا من نسل حام . أما نوع حكومتهم فيغلب على الظن أنه كان على مثال حكومات سائر الامم في أول نشأتها أى مؤلفة من أحزاب يرأس كلا منها شيخ أو كبير عائلة مستقل بأحكامه عن غيره ثم تحولت من هذه الحالة الى الملكية أو ما يشبهها

أما الاراضى فكان معظمها مكسوآ بأجاص ومستنقعات ، أما عدد السكان فلم يمكن معرفته بالتدقيق ولكن يقال انه كان ثمانمائة الف وقال آخرون نصف ذلك

ويظهر من حكاية الفتح الرومانى أن الملك كان فيها وراثياً وكانت قيادة الجيوش منوطة بالملك وعليه أن يتقدمها في مواقع القتال

وقد كان في انكثرا كما كان في غيرها إذ ذاك نوع من الكهنة يقال لهم درويد كانت في يدهم أزمة الاحكام ومقاييل السياسة فلا يصدر حكم إلا بمصادقتهم أو بإعازمهم ولم يكن الملك إلا آلة في أيديهم . وسبب ذلك أنهم كانوا من فئة العلماء في تلك العصر وقد حصروا العلم في جمعيتهم وكانت تعاليمهم سرية ووضعوا جميع العلوم في قالب شعري ولم يكن ذلك خاصاً بالبريطانيين لأن اليونانيين والجرمانيين القدماء كانوا يفعلون ذلك

أما الشرائع فلم تكن مكتوبة ولكنها كانت مكنونة في صدور هؤلاء الكهنة يدعون بها الوحي والتوسط بين الآلهة والناس

أما ديانة البريطانيين إذ ذاك فكانت في أيدي أولئك الكهنة أيضاً وتنسب اليهم فتدعى الدرويدية وهي (كثيرها من الاديان المعاصرة أو السابقة في الهند والصين والفرس ومصر وغيرها) على نوعين نوع محصور في صدور الكهنة وهو الحقيقى ، ونوع متداول بين العامة وهو الظاهرى . أما الدين الحقيقى عندهم فهو الدين الحقيقى عند كهنة الهند وسحرة الفرس وكوتقوشيو الصين وكهنة المصريين وغيرهم . وأساسه الاعتقاد باله واحد قادر على كل شئ ، ويخلود النفس والحشر ، إلا أن هذه التعاليم لم تكن تتجاوز الكهنة ولم يكونوا يعلمونها إلا لاشخاص يتخبونهم من الشعب بعد التحرى الدقيق ليحققوا استحقاقهم تلك النعمة

أما الشعب فكانوا غارقين في بحر الجهالة لكنهم لم ينحتوا تمثالاً وإنما كانت آلهتهم متعددة وفي جملتها الاجرام السماوية حتى الانهر والاشجار والجبال ، وبعد حين ألهموا بعض الذين اشتهروا بالفضل بينهم

وقد اقاموا لهذه العبادات هياكل غريبة الشكل يعجب منها الناظر وما يزال بعض هذه الابنية باقياً الى هذه الغاية في البراري وبعض الاماكن المهجورة ، فمن ذلك هيكل واقع بالغرب من ولتن في سهل يقال له سهل سالسبورى ويدعى هيكل ستوننج ، وهو مؤلف من حجارة ضخمة مستطيلة قائمة على اطرافها عمودية ومربطة على شكل مستدير في داخله شكل آخر قائم على مشاله ، وعلى رموس هذه الاحجار احجار اخرى موضوعة وضعاً عرضياً لتقوم مقام السقف وما تزال هذه الآثار موضوع بحوث علماء الانكلز وغيرهم الى هذه الايام

وكان الكهنة البريطانيون على ثلاث رتب يرأسها الكاهن الاعظم ينتخب من الكهنة العظام بأكثرية الاصوات . اما الرتب فهي :

- (١) « البردية » وهم شعراؤهم وناظمو الترانيل والقصائد للآلهة والابطال ولغايات أخرى
 - (٢) « الرواية » وهم الذين يرتلون ويضربون الموسيقى في الاحتفالات الدينية
 - (٣) « الدرويدية » وهم كهنة الغابات المقدسة الذين يذبحون الذبائح للآلهة ويضعون الشرائع وسائر سنن الدولة ، وهم بالحقيقة القابضون على أزمة البلاد وكانوا يسكنون جزيرة « مونا »
- ومن أمثال استبدادهم في الشعب أنهم كانوا إذا غضبت آلهتهم على زعمهم يقدمون لها ذبائح أو محرقات من الشعب حتى أنهم كانوا أحياناً ينتخبون عشرات أو مئات من أجل الناس يجعلونهم في مكان يضرمون فيه النار تسكيناً لغضب الآلهة .

وما زالت سلطة هؤلاء الكهنة في البريطانيين على ما تقدم حتى الفتح الروماني فرأى الرومانيون أن سلطتهم لا تتأيد إلا بآبادتهم فعمدوا على الكيد بهم وفي سنة ١٦ م هاجمهم في جزيرة مونا وأبادهم عن آخرهم

أما ملابس البريطانيين القدماء ففي غاية البساطة مقتصرة على رداء قصير من منسوجاتهم الخشنة أو بغير رداء ، وكانوا ينقشون أجسادهم برسوم مختلفة بينها خيالات وهمة كالشياطين والتنانين أو نحوها أو رسوم الاجرام السماوية ، وكانوا يرسمون كل ذلك بمادة زرقاء يستخرجونها من نبات يعرف عندهم باسم « وود » وكانوا يحملون في أصابعهم خواتم وفي أعناقهم قلائد من الفضة والذهب ويتقلدون الأسلحة المختصة بالامم البدوية كالقوس والنباب والرمح ، وإذا نظرت الى رسم مثل لحالة البريطانيين القدماء وعاداتهم من اللباس لرأيت على أجسادهم الاشكال المختلفة من النقوش التي كانوا ينقشونها بالمادة الزرقاء مثلما يفعل سائر الامم المتوحشة الآن كما ترى في الشكل فانه رسم رجل بريطاني أثناء الفتح الروماني . أما منازلهم فكانت اشبه شيء

بالأكواخ التي بينها بعض فقراء الارياك . وهاك رسم منازل بعض البريطانيين كما هي تماماً

(عن المجلد الثاني)



تاريخ مدينة القاهرة

القاهرة عاصمة القطر المصري ومقر الجناح العالي الخديوى ومركز حكمته . مركزها الجغرافى عند رأس الدلتا فاصلة بين الوجهين البحرى والقبلى . وقد تداولت عاصمة الديار المصرية من قديم أزمانها إلى الآن فى أماكن مختلفة . فكانت فى أيام الفراعنة بمدينة منفيس أو منف (سقارة) وهى أول عاصمة بناها ملوك الفراعنة منذ آلاف من السنين ، ثم انتقلت منها إلى طيبة (لقصر) واصوان وغيرهما من مدن الوجه القبلى والبحرى ، حتى جاء اسكندر الاعظم سنة ٣٣٢ ق م واختط مدينة الاسكندرية وجعلها عاصمة القطر المصرى دون سواها ، وقد دُعيت باسمه . وما زالت الاسكندرية مقر الحكومة المركزية إلى الفتح الاسلامى فبنى عمرو بن العاص مدينة الفسطاط فى سفح المقطم وجعلها مركز الامارة ، حتى اذا انقضت الدولة الاموية سنة ١٣٣ هـ وقدم عسكر بنى العباس مصر نزلوا ظاهر الفسطاط من جهة الشمال وبنوا بعد ذلك ما عرف بالعسكر

وفى مكان الفسطاط الآن آكام من الاتربة وهى أطلال بالية على أثر خراب عمارات الفسطاط وحرقها المرات المتعددة واقعة بين مصر القاهرة وقناطر السباع . أما العسكر فقد خرب أيضاً ومكانه شمالي الفسطاط فى جنوبى ما يعرف اليوم ببركة البغالة بجوار جامع زين العابدين

وما زال العسكر مقر الامراء حتى بنى ابن طولون القصور التى دعاهما بالقطائع سنة ٢٥٤ هـ وقد بليت وكانت على الارتفاع الذى يعرف بجبل يشكر فيما يعرف الآن بجهات الصليبة بجوار جامع ابن طولون . وما زالت القطائع منازل الامراء والحكام إلى الفتح الفاطمى وبناء القاهرة

وقد بنى العسكر والقطائع والقاهرة منازل للامراء والحكام وليس للعامة لان الفسطاط بقيت مجتمع الاهلين ومزدحم التجار والصناع إلى ما بعد بناء القاهرة بازمان وانما كان الامراء يبنون لهم قصوراً خارج الفسطاط يدعونها بأسماء مختلفة كما تقدم نزهة عن الازدحام ، وهكذا فعل الفاطميون فان القائد جوهر لما قدم هذه الديار وافتتح الفسطاط باسم الخليفة المعز لدين الله الفاطمى بنى القاهرة خارج الفسطاط لتكون منزلاً للخليفة ورجال دولته

والفاطيون دولة مغربية نشأت فى بلاد الغرب وعاصمتها القيروان . وفى زمن الخليفة المعز لدين الله كان من قوادها قائد اسود اللون يقال له جوهر الكاتب ، وكان مقرباً من الخليفة مقدماً فى الحروب افتتح له مدناً كثيرة فبمته لافتتاح مصر ، وكانت تحت رعاية الدولة العباسية ، فافتتحها فى ١٢ شعبان سنة ٣٥٨ هـ ودخل الفسطاط باحتفال عظيم وخطب للفاطمين ، وفى السنة التالية شرع فى بناء مكان لاقامة مولاه الخليفة عند قدومه فرأى أن يجعل ذلك فى المكان الذى أنشأ فيه جماله يوم قدومه لافتتاح الفسطاط تبركاً بتلك الساعة فامر ببحر الاساس ثم بنى القصرين الشيرين الكبير والصغير أو الشرقى والغربى وآثارها الآن فى المكان المعروف ببيت القاضي أو المحكمة الشرعية بجوار التحاسين وكانت القاهرة عند ما بناها القائد جوهر أصغر كثيراً مما هى عليه الآن تكاد تنحصر فيها هوجات الجالية

والجامع الازهر والجزاوى أو أقل من ذلك . وبني القائد جوهر أيضاً الجامع الازهر الذى ما يزال باقياً الى هذه الغاية

أما سبب تسمية المدينة بالقاهرة فان ذلك القائد لما أراد بناها احضر الاساس وامر البنائين أن يكونوا متأهبين لوضع الحجارة عند أول إشارة يديها لهم وجعل حول الاساس جبلا على فيه اجراساً حتى اذا اراد ان يبدأ البناء يهر الجبل فتدق الاجراس فيشروعون فى البناء . وجلس ليله يرصد الكواكب ليرى طالعاً سعيداً يبني المدينة فيه ، وفيما هو كذلك والبنائون حول السور فى انتظار دق الاجراس إذ وقف على الجبل غراب ميم طار فاهتز الجبل فدقت الاجراس فرمى البنائون الاحجار فشقق ذلك على جوهر إلا أنه نظر الى القبة الزرقاء فاذا بالنجم الذى كان متسلطاً يدعى القاهر باصطلاحهم فقال انموا البناء على خيرة الله ودعاها القاهرة وتم بناؤها سنة ٣٦٢ هـ وفيها القصران المتقدم ذكرهما . وفى تلك السنة قدم الخليفة المعز لدين الله من القيروان بحاشيته ورجاله ومعه من الاموال والاحمال ما لا يحصيه عد ولا حساب فنزل القصرين وجاء بمبحث اجداده فدفنها بجوار القصرين فيها هو الآن خان الخليل

وبلغت القاهرة فى ايام الدولة الفاطمية منزلة من البذخ والعمارة جديرة بالاعتبار وكان الجامع الازهر فيها مركزاً للعلم ومرجعاً لطلبة تلقى العلوم على انواعها وفيها علوم اللغة والفقه والمنطق والطب والفلك والرياضيات والتاريخ والحديث . وكانت تتقاطر اليه الطلبة من سائر بلاد المشرق وابعدها كالشام والعراق والحجاز والهند ومن بلاد المغرب أيضاً ، ومعدل عدد الطلبة فيه ١٢ ألفاً يأكل قراؤهم ويشربون ويكتسون على نفقة مدرسة الجامع

وما زالت القاهرة مقاماً للخليفة وحرمة وجنده وخواصه ومقلاً يتحصن فيه وملتجأ اليه حتى تدهورت الدولة الفاطمية فتهقرت المدينة وانحط شأنها وصارت تسكنها الاعيان من الناس حتى انقرضت الدولة الفاطمية وتولى الديار المصرية البطال الشير والشهم المفضل السلطان صلاح الدين الايوبي وصارت بعده للدولة الايوبية لجمعها مبتذلة يسكنها العامة وغيرهم كما كانت الفسطاط فكثرت عمارتها ولكن قلت قيمتها ، وجعل القصرين منزلاً ينزل فيهما الأمراء الذين يقدمون الديار المصرية لمهمة أو ضيافة . أما هو فبنى فى سفح المقطم حصناً منيعاً دحاها قلعة الجبل وهى قلعة القاهرة الباقية الى الآن فى سفح المقطم وفيها جامع محمد على باشا ، وجعل القلعة مقاماً له . وهكذا فعل من جاء بعده من السلاطين . وكان بعض اسوار القاهرة قد تهدم فاعاد السلطان بناها وزاد فيها حتى اتسعت المدينة لتكاثر السكان فيها . وفى الجبل السابع للهجرة لما اغار جنكزخان التترى على العراق وتكل فى أهله قدم منهم اقوام وسكنوا القاهرة وعمرها حاقى الخليج وحول بركة القليل وعمرت جهات الحسينية . وما زالت العبارات تزداد وتتسع فى القاهرة حتى استبد الأمراء المالكى فى الديار المصرية قال الناس الى المهاجرة فرأوا من الظلم فانقطعت العبارات واختلت الاحوال حتى كادت تذهب الى البوار لو لم يتبع الله لهذه البلاد ساكن الجنان المغفور له محمد على باشا مؤسس العائلة الحديوية ايدها الله . فانه قد أحيا هذه المدينة بل أحيا سائر القطر المصرى وعمره وجعله جنة يانة حتى تقاطر اليه التجار والصناع من سائر الاقطار فسكنوه وعمره واتسعت القاهرة واستحدثت فيها الاحياء والشوارع وما زال الولاة الحديويون

يزيدون في عمارتها وتوسعتها وخصوصاً الخديوي الأسبق اسماعيل باشا حتى بلغت ما هي عليه الآن .
وقد حدث فيها عدة شوارع وأحياء كاحياء العباسية وشبرا والاسماعيلية والأزبكية والتوفيقية وغيرها
وبنيت المدارس والقصور وسائر حاجات المدينة مما لا حاجة بنا الى ذكره (عن المجلد الثاني)

لغات العالم

تقسم لغات العالم إلى قسمين عظيمين (مرتقية) و (غير مرتقية) وهذه الأخيرة تشمل أدنى
اللغات وفيها اللغات الزنجية وهي التي يتفاهم بها سكان جنوبي أفريقيا . والامريكانية وهي لغة هنود أمريكا
واللغات الصينية وغيرها من اللغات المؤلفة من مقطع واحد ولا فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف
أما المرتقية فتقسم إلى ثلاث طوائف كبيرة وهي السامية والآرية والطورانية

أما الطورانية فتشتمل على اللغات المنغولية والتتقاسية والاغروانية وتسمى أيضاً لغات غير متصرفة
أي أن الفاظها غير قابلة التصريف وإنما يحصل الاشتقاق فيها بإضافة زوائد على أصل مادة الفعل
وأرقى لغات هذه الطائفة اللغة التركية

أما الطائفة الآرية فتشتمل على لغات أوروبا والهند وفارس وكردستان ، وتسمى أيضاً اللغات
الباقية لأن أغلب المتكلمين بها من نسل يافث ، وهي تقسم إلى قسمين عظيمين : جنوبية وشمالية فالجنوبية
لغات جنوبي آسيا . وهي السنسكريتية وفروعها الهندية والفارسية والافغانية والكردية والبخارية
والارمنية واللاوسية . والشمالية تشمل على لغات أوروبا وتقسم إلى خمسة أقسام (١) السكتية وفيها
لغات جزائر بريطانيا إلا انكلترا (٢) الإيطالية وفيها اللاتينية وفروعها وهي لغات فرنسا وإيطاليا
واسبانيا والبرتغال (٣) الهيلينية أو اليونانية ومنها اليوناني القديم والحديث (٤) الوندية ومنها لغات
روسيا وبلغاريا وبوهيميا (٥) التبتوتية ومنها لغات انكلترا وأجرمانيا وهولندا والدانمارك وإيسلاندا
ومن الصفات المميزة للطائفة الآرية كونها مؤلفة من اصول قابلة التصريف ادراجاً وإن الاشتقاق
يقوم فيها بإضافة أدوات معظمها ذات معنى في نفسها . وهذه الأدوات يلحق معظمها في آخر الاصل
وبعضها في أوله . مثال ذلك في الانكليزية « thank » شكر منها « thankful » متشكر أو شكور أو كثير
الشكر ثم « unthankful » غير متشكر أو غير شاكر ثم « unthankfulness » عدم تشكر أو عدم
شكر ومثلها « capable » كاف أو قادر و « incapable » غير كاف أو غير قادر و « incapability »
عدم كفاة وهكذا في سائر التصاريف وعليه تجري سائر اللغات الآرية

أما الطائفة السامية فسميت كذلك نسبة إلى سام بن نوح وإشارة إلى كون القسم الاعظم من
المتكلمين بها هم من نسله وتضمن ماهر معروف باللغات الشرقية ، وهي بوجود اللغة العربية بينها تعد
من أرقى اللغات بياناً وأوسمها نطاقاً وأغناها الفاظاً وأدقها تعبيراً وتمايزت بكونها الحافظة لأقدم التواريخ

أعنى التوراة مكتوبة بالعبرانية. ومن المعلوم أن التمدن نشأ أولاً بين المتكلمين بها كالبابليين والاشوريين والفينيقيين وغيرهم وهي تقسم الى ثلاثة أقسام :

﴿الاول﴾ اللغة الآرامية وفرادها السريانية والكلدانية . فالآرامية هي لغة بابل القديمة الباقية آثارها مكتوبة نقشا على بقايا بابل وآشور بالأحرف الاسفينية . والآرامية . والكلدانية هي هذه بعد ان لعبت بها أيدي الزمن فغيرت بعض الفاظها ، وقد كتب بها بعض أسفار العهد القديم كسفر دانيال وغيره ، وقد دعت هناك بالآرامية تساهلاً على ما ارى لان بينها وبين الآرامية الاصلية فرقاً واضحاً لفظاً ومعنى . ولغة آشور ابعد عن هذه من لغة بابل . اما ما يدعى بين السريانيين في هذه الايام باللغة الكلدانية ليس إلا السريانية نفسها مع بعض التغيير في الحركات ، والسريانية هي الكلدانية المشار اليها مع تغيير في الفاظها ودلالاتها تبعاً لما اقتضته الاحوال ، فكان اللغة البابلية القديمة دعت في اول امرها آرامية ثم تغيرت قليلاً فدعت كلدانية ثم وقع فيها تغيير آخر فدعت سريانية وحصل في هذه بعض التنوع في حركاتها فحسبت لغتين سريانية غربية وسريانية شرقية

وقد حفظت اللغة الآرامية الاصلية بعض التواريخ المتعبة منقوشة على بقايا بابل وآشور . والسريانية حفظت الكتاب المقدس الذي ترجم اليها في الجيل الثاني بعد المسيح الترجمة المعروفة بالترجمة البسيطة ،

﴿الثاني﴾ العبرانية . قد امتازت هذه بحفظها التاريخ القديم كما سبقت الاشارة وبكون الناطقين بها هم اوضح الاسم منشأ واللغة التي يتكلم بها الاسرائيليون اليوم ليست العبرانية صرفاً بل قد خالطها بعض الالفاظ الآرامية او الكلدانية أثناء استئثارهم عند البابليين . ومحور جميع ما ألف في هذه اللغة إنما هو العهد القديم . ويتفرع عنها الفينيقية والقرطاجية وكلتاها مائتان

﴿الثالث﴾ العربية . وهي اسمى اللغات السامية ومعرفتها ضرورية لانتشار الى ان ملأت الحافقين بسبب محصورة في شبه جزيرة العرب حتى الاسلام ومن ثم أخذت في الانتشار الى ان ملأت الحافقين بسبب الافتتاح الاسلامي المشهور فكانت يوماً ممتدة من الشرق الى الغرب بين اواسط الهند وبوغاز جبل طارق ، ومن الشمال الى الجنوب بين البحر الاسود وبحر العرب . وبالجملة يقال انها عمت جميع العالم المتمدن في ذلك الحين . والحروف العربية المستعملة عند الاعاجم منهم هي من جملة الآثار الدائمة . ويتفرع من العربية لغة بلاد الحبشة الحالية وفروع أخرى تعد مائة . ولا يخفى ان لغتنا لولا القرآن العزيز لتعددت فروعها قياساً على سواها

واوضح صفات اللغات السامية كونها مؤلفة من اصول ثلاثية الأحرف ثابتة في الاشتقاق أي انه لا يفعل على احرفها بل هو يقوم فيها بتغيير الحركات التي يتوقف عليها نوع الدلالة ، مثاله في العربية « قتل » وهو أصل يتضمن معنى القتل فتغيير الحركات فيه يحصل مشتقات عدة افعال أو أسماء أو نعوت تبعاً لنوع ذلك التغيير فنه « قتل » فعل ماضٍ معلوم و « قتل » فعل ماضٍ مجهول و « قتل » مصدر و « قتل » بمعنى العدو والمقاتل و « قتل » جمع قول وكذلك « قتل » وقد تمد احدى هذه الحركات فيقال « قاتل » و « قاتل » و « قاتل » و « قاتل » و « قاتل » و « قاتل » الخ .

أما قابليتها للاشتقاق عن طريق الالحاق فتشارك الطائفة الآرية فيها لكنها تمتاز بمحصل معظم الاشتقاق بواسطة تغيير الحركات وبأنها لا تقبل الأدوات الملحقة اذا كانت ذات معنى في نفسها
 اما افصح اللغات وأوسعها مجالا وادقها تعبيراً فهي اللغة العربية وتقاربها اللغة اليونانية واللاتينية ثم اللغة الجرمانية، ولكن العربية الآن تحتاج الى إعادة نظر ووضع أوضاع للسميات الحديثة كالاعتراعات والاكتشافات وغيرها ولولا ذلك لما ترددنا لحظة في الحكم بأنها ادق لغات العالم تعبيراً وأوسعها مجالا، ولكن اللغة الفرنسية بعد تنقيح الأكاديمية لها أصبحت ادق تعبيراً من سائر اللغات ولا سيما في الامور السياسية والمخابرات الدولية ولذلك اتخذتها الدول الآن لغتها الرسمية التي تتخاير بها رسمياً
 (عن المجلد الثاني)

ما هو الأدب؟

(رد على سؤال)

الأدب لغة الظرف وحسن التناول وما يحترز به من جميع أنواع الخطأ. وقال ابو زيد الانصاري: «الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضائل، جميعها آداب. وتقع الآداب على العلوم والمعارف أو المستظرف منها، وهذا المعنى حدث فيها بعد الاسلام بمحدث أنواع العلوم، وهو راجع في المعنى الى اصله لانهم دعوا العلوم «آداباً» لأنها ما «يحترز به من الخطأ» ثم قسموا الآداب الى أقسام، منها أدب القاضي وهو التزامه لما ندب اليه الشرع من بسط العدل ورفع الظلم وترك الميل. وأدب الشاعر صناعة يستفيد منها النظم. وآداب البحث صناعة نظرية يستفيد منها الانسان كيفية المناظرة وشرائطها. وعلم الادب علم العربية وهو علم يحترز به من الخلل في كلام العرب لفظاً وكتابة

أما تسميتهم قرض الشعر أدباً وهو يحتوى على المجون والهجاء فليس فيها مخالفة لتعريفهم كما رأيت ولكنها تخالف ما تفهمه نحن من معنى الأدب وهو التأدب في المخاطبة والمجانسة بتجنب البذاء والجلوس بهيمة تدل على الاحترام، وهو من المعاني التي تولدت حديثاً فالمجون والهجاء بهذا الاعتبار لا يصح نعتها بالآداب، وأما لدى العلماء في صدر الاسلام فليس كذلك لان الادب عندهم الظرف وحسن التناول كما قدمنا وليس في الهجاء والمجون ما يخالف ذلك

وعلى فرض أن الأدب عندهم كان يدل على تجنب البذاء ايضاً استنتاجاً من قول الانصاري فذلك لا يمنع إطلاقه على صناعة الشعر وهي أولى من سواها بهذا الاسم لما هو جدير بأعجابها من الظرف والتأدب في الخطاب وتجنب البذاء لانهم كانوا جلساء الملوك، وزد على ذلك ان صناعة الشعر ككل والهجاء والمجون جزء منها وما ينطبق على الكل قد لا ينطبق على كل جزء منه ولكن لا يعترض على تسمية الكل به
 (عن المجلد الثاني)

العمل وطول العمر

من أهم ما يبحث عنه العلماء والحكماء الأسباب المؤدية الى طول الحياة بل هي أهم بحوثهم وقد خاض هذا الباب الفلاسفة والاطباء من قديم الزمان وارتأوا لذلك آراء متنوعة متضاربة. وقد اهتمت بعض الجرائد الطبية في أميركا مؤخراً بالنظر في ذلك فتوصلت الى نتائج ذكرتها وأشارت باتخاذها. ومن الغريب انها أسهل الطرق وأقلها نفقة ويجمعها قولك « العمل » قال السير اندرو كلارك وهو من نخبة علماء الانكليين : « العمل قوام الحياة وخصوصاً لنجفاء الاجسام حتى المرضى فان العمل أحسن لهم من البطالة على شرط أن يكون على قدر الطاقة وفي دائرة الامكان ». قال ان « العمل » قوام الحياة ولم يقل « التعب أو المشقة » فان تحميل الاعضاء عملاً فوق طاقتها موجب لانحطاطها وتشويش وظائفها ، وقد يتخذ بعضهم المقويات أو المنبهات لتساعده على زيادة العمل فلا يشعر بالتعب ، ولكن ذلك ليس طبعياً ولا يحسب من قبيل العمل المتعدل . فالعمل الذي قلنا انه قوام الحياة انما هو ما يقوم به العضو في حالته الطبيعية بغير تنبيه ولا استحثاث مع الاعتدال في كل شيء من حاجات العيش وملاذ الحياة جسدياً وعقلياً

(من الجلد الثالث)

طعام الامم القديمة

كان المصريون يأكلون السمك نيئاً مجففاً بالشمس أو منقوعاً في الماء المالح ويتعاطون كثيراً من اللحوم نيئة كالتسلى والبط وبعض انواع الطيور بعد تمليحها وبعضهم كانوا يأكلون السمك مجففاً بحجارة الشمس فقط

وكانوا يتناولون طعامهم على انغام الموسيقى ويجعلون على موائدهم تماثيل صغيرة تمثل أجساماً مخنطة كأنهم يريدون بذلك كبح جماح الشهوات بتذكير أصحاب المائدة ان نعيم الدنيا زائل . وقد يطوفون بشمال جثة مخنطة حول المنزل يئنون الأغاني ويقولون : كل واشرب وتمتع بملاذ الدنيا قبل أن يدركك الموت . وكانوا يبسطون موائدهم على الطرق ذكر ذلك هيرودوتس ، وقال انهم يحتجون عن ذلك بأن الامور المعية اذا كان لا بد من عملها فلتعمل سراً أما غير المعية فجهاراً . وما ذكره هذا الرحالة الشهير الذي زار مصر في القرن الخامس قبل الميلاد قوله وقد أراد المقابلة بين عوائد المصريين وعوائد الامم المعاصرة لهم : « وسائر الامم يأكلون في محل لا تكون فيه بهائمهم ، وأما المصريون فيأكلون مع بهائمهم . وفي كل البلاد يقتات الناس بالخنطة والشعير ، وأما في مصر فالذي يأكلها يحسب نجساً وهم يأكلون الخنطة الجراء (الخندقوقي) ويعجنون الدقيق بأرجلهم لكنهم يرفضون الوحل

والزبل بأيديهم ، ثم تكلم عن طعام الكهنة فقال : « ولكل منهم نصيب خاص من اللحم المطبوخ المقدس وكل يوم يوزعون عليهم كيات كثيرة من لحم البقر والأرز وكانوا يعطونهم من الخنوخر العنب ولكن لا يسمح لهم أن يأكلوا السمك . والمصريون لا يزرعون الفول في أرضهم وإذا ورد منه شيء من الخارج لا يأكلونه لا نيئاً ولا مطبوخاً . والكهنة لا يطيقون أن يروه لأنهم يعتقدون أنه بقل نجس

والباليون ومن قطن بين النهرين كانوا المصريين في الاكثار من اكل الاسماك ، ولكنهم كانوا يزيدون على المصريين أنهم يجففون السمك جيداً ويدقونه بالهاون ثم ينخلونه بقباش ناعم ويصنعونه أفراساً ويخبزونه كالخبز ويتناولونه

والفرس كانوا يأكلون قليلاً من اللحم ويتناولون الإثمار كيات قليلة على دفعات متعددة وكان من أمثالهم « أن الاغريقي (اليوناني) يأكل ليسد جوعه لأنه لو قدم له ما طاب أكله بعد الطعام وقد انقطع عن الأكل لا كلة ، وكانوا يكثرون من شرب الخمر

وكان اليونان في أقدم أزمانهم يقتاتون على ثمر الأرض ويشربون الماء القراح ولم يعتادوا تناول اللحوم إلا في أوائل تمدنهم ثم أخذوا يتوسعون في الترف والتأنيق بتوسع سلطانهم وانتشار نفوذهم . على أن كثيرين من فقراهم كانوا يقتاتون على الجنادب والفراس وأطراف أوراق الشجر . أما أغنيائهم فكانوا منغمسين في الترف مكثرين من تناول اللحوم

وهكذا كان الرومانيون في أول أيامهم فأنهم كانوا يقتاتون على ألبان الماشية والبقول ونوع من الحلوى يصنعونه من الدقيق والماء . فلما قامت دولتهم واتسعت سلطتهم تأقنوا في المأكول والمشارب وأكثروا من أكل اللحوم وأنواع المطبوخات والمعجنات وبالغوا في أيام جمهوريتهم في الاكثار من أكل الطيور وكان بعض أغنيائهم وولاء أمورهم لا يرضون بالمائدة إلا إذا كان عليها شيء كثير من رموس الببغاء وأدمغة بعض الطيور الصغيرة النادرة الوجود

وكان العرب في جاهليتهم على جانب من شظف العيش لقحولة بلادهم . وقد ذكر ابن خلدون أنهم كانوا يأكلون المقارب والخنافس ويفاخرونها بأكل العلز وهو وبر الابل يوهونه بالحجارة ويطبخونه في الدم . أما طعامهم الاعتيادي بالاجمال فهو اللبن والتمر وبعض أنواع الحبوب وكثيراً ما كانوا يطبخون دقيق الحنطة أو الذرة باللبن أو اللحم أو ما شاكل فيصطنعون من ذلك أنواعاً من الاطعمة تعد عندهم بالمشرات . وأنواع الحلوى تصنع عادة من الدقيق والعسل أو البسمن والعسل أو الحليب والسمن والعسل وما شاكل ذلك (من المجلد الرابع)

أقدم أنواع اللباس

وجد الانسان عادياً رقيق البشرة يتأثر لعوامل الحر والبرد وكان على القفظة لا يعرف شيئاً من صناعة الحياكة ولا كان في أول أمره يستطيع القبض على الحيوان ليسلخ جلده ويكتسى به . فالغالب انه لما شعر باحتياجه الى الكساء عمد الى ما تصل يده اليه من مواد الارض وأقرب تلك المواد التراب ، فلعله جبل شيئاً من التراب بالماء ومرح به جلده ، ولا غرابة في ذلك فان بعض القبائل المتوحشة الآن لا تعرف من أنواع الكساء إلا الطين تمزجه ببعض المواد الملونة أو بالشحم وتكسى به جلودها ، فان سكان جزائر الاندما ان يستخدمون هذا الكساء للوقاية من الحر ولسمع البعوض (التاموس) وبعضهم يتفنن في ثوبه هذا فيزينه بخطوط طويلة أو عرضية يصطنعها خياطهم بجر أصابعه على الطين قبل أن يجف ، وأغرب من ذلك ان بعضهم اذا كسا وجهه طيناً صبغ نصفه باللون الاحمر والنصف الآخر باللون الاخضر وجعل بين اللونين خطاً طويلاً يمتد على صدره الى أسفل بطنه . ومن آثار هذه العادة عند اسلافنا الاقدمين الوشم فانه يدل على ميل الانسان الى تغطية جسمه إما للكساء أو للزينة وبعض القبائل تتخذ الوشم وحده كساء ، وفي بعض الكهوف بأوروبا حفر استدلوا على انها كانت أجراً نادقون بها المفرة وهي ضرب من الطين يمزجونه بالمواد الملونة . وقد يقال انهم انما يريدون بذلك مجرد الزينة ولكن الحقيقة انه يغنيهم عن الكساء . والوشم منتشر الآن في سائر أقطار الدنيا ، والناس بين مكثف منه برسم على زنده أو خط على خده أو علامة على صدره ، وبين متخذ الوشم لباساً فيرسم على جلده الخطوط والزوايا والاشكال والصور على طرق شتى

وبل ذلك الكساء الترابي الذي تخلف الوشم عنه كساء من النبات ، وأبسط أنواع ذلك الكساء ان يقطع الرجل غصناً بأوراقه فيغطي به عورته أو يستظل به أو اذا عثر على شجرة كبيرة الاوراق كاللوز أو ما شاكله اتخذ ورقة أو بضع أوراق لغطاها بعضها ببعض بحسك نباتي أو شدها بعضها الى بعض برباط من قشور الاغصان الدقيقة ولنا في حكاية آدم مثال على ذلك

وبعض القبائل المتوحشة الآن يتخذون قشور الشجر كساء . وفي البرازيل شجرة يقال لها « شجرة القميص » تتخذ منها بعض البرازيليين كساء كالقميص . وكيفية ذلك انهم يقطعون من جذع تلك الشجرة أو من بعض أغصانها الغليظة قطعة طولها أربع أقدام أو خمس مجردون قشرها قطعة واحدة على شكل اسطوانة فيلونها ويطرقونها حتى تابلن وتوسع ثم يعملون بها ثقبين على الجانبين العلويين لادخال الذراعين بهما . فاذا كان الثوب قصيراً لا يغطي الجسم كله جعلوه كساء سفلياً فيشدونه عند الخصر كما يفعلون بالتورة (الجونيلا)

وما يدل على ان هذا الكساء النباتي كان مستخدماً عند اسلافنا الاقدمين ان التقاليد الدينية المدونة في شرائع مانو بالهند وهي كتب قديمة المهد تفرض على البرهمي اذا شاخ وأحب الاعتزال لقضاء بقية حياته في العبادة والتسك أن يتخذ لباساً من الجلد أو قشر الشجر . وفي أقصى الشرق جزيرة يقال لها « جزيرة برونو » واقعة بين بحر الصين وبحر جافا أهلها يتقلدون الحذن الافرنجي فيلبسون الأفتنة

الافرنجية ، أما اذا فقدوا عزيزاً فعلامه الحداد عندهم العدول عن الالقشة المنسوجة الى قشور الاشجار على ان بعض الأمم قد تفننت في هذا النوع من الكساء حتى جعلته قسماً من صناعاتها وتجارتها فان في بولونيسيا معامل يقال لها « معامل تابا » يعالجون فيها قشر نوع من التوت يقال له توت الورق . وكيفية ذلك ان نساءهم يطرqn القشر بنباييت مخددة حتى يلين فيشبه بقوامه وشكله اللباد ثم يرينه بعض الاصباغ الملونة . وعما يحكى عن هؤلاء الأقوام انهم لما رأوا الورق وكانوا لا يعرفونه قبلا ظنوه صنفاً متقناً من التابا فخطوا منه أردية ولكنهم ما لبثوا أن عرفوا خطأهم لما أمطرت سماءهم وابتلت ثيابهم فاذا هى تتساقط متهترة قطعاً قطعاً . وفي بعض جهات الهند والسودان يحكون اوراق النبات نسيجاً يتخلون منه بعض أنواع اللباس ، ولكن في مدراس جماعات يخلعون ثيابهم في يوم من أيام السنة معين ويستترون بالأغصان ، ولا ريب ان هذه العوائد تشف عن عادة أسلافنا الاقدمين في الارتداء بالأغصان أو القشور

ثم ما لبث الانسان أن اخترع بعض الادوات الحادة وتغلب على الحيوان فافترسه وتناول لحمه طعاماً واتخذ جلده كساء . والارتداء بالجلود أسهل تناولا وأدفع للغوائل وأقوى على الاحتمال ، ولذلك فانه شاع كثيراً في الأمم القديمة وخصوصاً بين الذين لم تظلم الحضارة كأهل اثيوبيا وأواسط افريقيا فانهم كانوا يأثرون بالجلود حتى بعد اكتشاف النسيج فان القماش المنسوج لم يكن يلبسه إلا كبارهم وبقىت الجلود لباساً للعامة



وفي الشكل المنشور هنا صورة اربعة من الزوج مغلولي الايدى والاعناق تقلا عن الآثار المصرية القديمة فرى أحدهم مؤثراً نسيجاً والآخرين جلوداً . والاكتساء بالجلود كثير الانتشار في سائر أقطار العالم الآن فان أهل المكسيك مايزالون يلبسون أثواباً كلها من الجلد ، ولكن العالم المتقدم قد استبدله بالالقشة الناعمة . على ان الناس مجمعون تقريباً على كساء أقدامهم بالجلد إذ لا يقوم القماش مقامه إلا نادراً ، على ان آثار اللباس الجلدى لا تزال ظاهرة على بعض ملابسنا وبعضها يتفاخر به الملوك كالفرس وما شاكله (عن الجلد الرابع)

اختراع المنظار

ان خاصة التقريب والتكبير في المنظار ترجع الى البلورة العدسية وهي زجاجة مستديرة ذات سطحين محدبين ، ولا يعرف بالتدقيق من هو أول مخترع لهذه العدسية ، ولكن المعلوم المقرر انها كانت مستعملة منذ ستة قرون لاعانة البصر على تمييز المراتب الصغيرة . وأول من وصفها على ما نعلمه راهب انكليزي اسمه روجر باكون ولد سنة ١٢١٤ وتوفي سنة ١٢٩٤ وكان عالماً كبيراً وفيلسوفاً عظيماً ألف كتباً كثيرة وقد أشار اليها في كتابه « المؤلف الاكبر »

أما استعمال العدسيات في أنابيب مستطيلة لرؤية الأشباح البعيدة « التلسكوب » فيظهر انه بدأ في أواسط القرن السادس عشر ، ويطنون ان أول من فعل ذلك رجل اسمه ليونار ديجس المتوفى سنة ١٥٧٣ ، ولكن المقرر عند جمهور العلماء ان شرف اختراع التلسكوب على مثل ما هو عليه الآن يرجع الى أهل هولندا يتنازع اثنان منهم أحدهما حنا ليرشم كان يصنع النظارات في ميدلبرج ، والثاني يعقوب ادر يانس ويسمى أيضاً ماتبوس من مدينة السكار . وسبب هذا التنازع ان الاول عرض على حكومته في اكتوبر سنة ١٦٠٨ ثلاث آلات لرؤية الاشباح البعيدة والتمس جائزة الحصر أو ما يشبهها . وبعد بضعة ايام قدم الثاني آلات كالألات الاولى وطلب نفس الطلب وقال انه اصطنع مثل هذه الآلات قبل ذلك بستين . هذا أول اختراع التلسكوب ثم أخذ يتقدم ويتحسن بمرور الأيام

(عن المجلد الرابع)

الشاي : منافعه ومضاره

الشاي أوراق تجمع من نبات ينبت في الصين والهند . فتجمع الاوراق في السنة الرابعة من غرس النبات ، ويجعد الغرس غالباً كل عشر سنين أو اثنتي عشرة سنة ولهم في قطف الورق عناية عظيمة ، فالذين يقطفونه يلبسون القفاز (الكفوف) ويعتنون بتنظيف ايديهم ولباسهم عناية شديدة وتجنبون الأطعمة ذات الرائحة القوية وكل ما يسبب البخر . والشاي أنواع يختلف بعضها عن بعض باختلاف نوع التربة المغروس فيها والكيفية التي يجمعونها بها ، فالشاي الاسود يمتاز عن الانواع الاخرى بأن أوراقه اخضرت قليلاً قبل تجفيفها . والشاي الاخضر النقي يصنع من تلك الاوراق من غير اختصار ، أما الشاي الاخضر التجاري فهو على الغالب شاي أسود ملون بالون المعروف بالازرق البروسياني والشاي منه منعتش فاذا أخذ بكمياته الاعتيادية نه الدماغ ونشط القوي ، فهو لذلك كثير الفائدة لأصحاب الاعمال العقلية الشاقة ولكنه من الجهة الاخرى يسكن الجهاز الهضمي ، لذلك فهو مفيد في الامراض الالتهابية ويشفي ألم الرأس . اما اذا أخذ بكميات كبيرة فينقلب نفعه الى ضرر وخصوصاً

الشاي الأخضر القوى فانه اذا أخذ بكميات كبيرة أثر على الاعضاء تأثراً ساماً فيهما كثيراً ، وقد يحدث في بعض الأبنية ارتعاشاً عصبياً وأعراضاً أخرى خفيفة وفي الحيوانات الضعيفة يحدث شللاً . وبناء على فعله المنبه فهو يفيد في معالجة الحمول الناتج عن التسمم بالافيون أو المسكرات الروحية ولكن ذلك الحمول قد يتحول بالعلاج الى حمى

منقوع الشاي

ان ما يتناوله الناس من الشاي هو منقوعه ولا بد في استحضاره من ملاحظة أمرين مهمين وهما :
(١) ألا تضع الشاي في الماء إلا وهو يغلي ولا يكفى أزيزه بل يجب أن ترى غليانه فان المواد النافعة في الشاي لا تذوب في الماء إلا اذا كان على درجة الغليان ولذلك لا يستحسن غلي الماء في وعاء وصبه في وعاء آخر بارد قبل وضع الشاي فيه لأن صبه يخفض حرارته ، فاما أن تضع الشاي في الوعاء الذي غليت الماء فيه أو أن تدفء الوعاء الآخر قبل صب الماء فيه (٢) أن تتناول المنقوع حال استحضاره لأن نكهته تتوقف على زيت عطري سريع الطيران ، فاذا لبث المنقوع مدة طار الزيت وزد على ذلك ان مكك الشاي في الماء مدة طويلة يذوب من مواده مواد مرة تغير طعم المنقوع فيصير مضراً للهضم وأهم أعراض ضرره الشعور بالخوف

والشاي قديم الاستعمال في العالم ولم في أصله حكاية خرافية لا بأس من ذكرها قالوا : د ان دارما أحد أمراء الهند رحل الى الصين في أوائل القرن السادس للبلاد في مهمة دينية فاضطر لتنفيذ مهمته وتقوية نفوذه أن يطوى النهار ويحيي الليل في الصلاة ففضى زمناً طويلاً لا ينام ثم غلب عليه التعب فنام رغباً عنه فلما أفاق اغتاظ لنفسه فقطع أجفانه ورمى بها الارض لكيلا يعود الى ذلك مرة أخرى فعاد في اليوم الثاني الى غرفته فرأى الاجفان قد صارت نباتاً يحمل أوراقاً لم يعرفها قبلاً فأكل بعض الورق فشمع بانتعاش ونشاط فصبح لتلامذته أن يستعملوها ففزع استعمالها ، وهذه القصة على كونها خرافية فهي تدل على قدم عهد الشاي

والشاي في أوربا كثير الاستعمال وخصوصاً عند الانكليز وعلى الاخص عند نسائهم فهو عندهن بمنزلة التبغ عند الرجال فانه ينشط القوى ويسهل تناول الطعام ويساعد على هضمه وقد يقوم مقامه وخصوصاً اذا قدت شهوة الطعام لمرض أو حزن أو هم ، فالشاي إذ ذاك أسلم الأطعمة عاقبة وأفيدها . وقد حللوا الشاي فاذا هو مركب من المواد الآتية على هذه النسبة :

ماء	٥٥٠٠	صنغ	١٨٠٠	حامض عصصيك	٢٦٠٢٥
شاين	٣٠٠٠	دهن	٤٠٠	فيبرين	٢٠٠٠
كاسين (أو جبنه)	١٥٠٠	سكر	٣٠٠	مواد معدنية	٥٥٠٠
زيت عطري	٥٠٠٧٥				

(من الجلد الخامس)

الطريقة الطبيعية لاختراع الكتابة

خلق الله الانسان بين عاملين هما اصل الاختراع والاكتشاف : أولها الضرورة التي تسوقه الى البحث ، وثانيها النور الطبيعي الذي يدلّه على أسرار الطبيعة ويهديه الى ما يساعده في حفظ ذاته ودوام نوعه . ولو تتبعنا سائر اختراعات الناس من النار التي لم يدرك التاريخ زمن اختراعها الى التصوير الباطني الذي سمعنا عنه بالأمس لرأيت الدافع اليها كلها الضرورة على حد قولهم : « الحاجة أم الاختراع »

ففضى الانسان قروناً متطاولة يأكل ويشرب ويلبس وينام ويتكلم ولكنه لا يكتب فإلبت أن تكاثر وتآلف واتسعت علاقاته وعكف على الأسفار التماساً للرزق حتى اضطر الى الكتابة لخبرة جاره أو تدوين حوادث أمسه أو تقييد ملاحظاته وآثاره

فلنفرض قبيلة من قبائل البشر في أول عهد العمران يقتات أهلها على الأعشاب واقتناص الحيوان ويأوون الى الكهوف والمغارات ألم بها مصاب أهمها أمره فأجبت تدوينه ، نحو أن أسداً وثب على شيخها فافترسه فما ظنك في الطريقة التي يفترعونها لتدوين تلك الحادثة . لا أظنك ترى وسيلة غير التصوير لما بالرسم أو بالنقش على ما تقتضيه حالهم من الصناعة فيرسون أسداً وثباً على رجل ينشه بمخالبه أو نحو ذلك . وهي أول خطوة يخطوها الانسان نحو الكتابة ونسميها « الدور الصوري الذاتي » وهو أبسط أدوارها لأنه مقصور على تصوير الحادثة كما وقعت تماماً ، ولا فائدة منه إلا في الحوادث المؤلفة مما يقبل التصوير ، ولكن هناك معاني لا صورة لها في الخارج كالحب والبغض وكقولك اليوم والصبح والمساء وما يماثله فضلاً عن المعاني الكلية فهذه كلها يضطر فيها الى الرموز فقد يرمز عن المحبة مثلاً بالحمامة وعن البغض بالحية وعن اليوم برسم الشمس في أعلى دائرة . فلنفرض أناساً جاءوا تلك القبيلة بجرأ وبعد مسيرهم ثلاثة أيام نزلوا الشاطئ ليلاً وكان شيخ القبيلة غائباً فأراد ابنه أو أحد أتباعه إبلاغه ذلك كتابة ، فلا نظنه بعد إعمال فكرته يمتدى الى طريقة يصور بها تلك الحادثة على غير هذه الصورة



فيغير عن العدو برسم رجل مسلح ويريد بالنقط الكثيرة ان الأعداء عديدون ، وبصورة السفينة انهم نزلوا البحر ، وبالقوس وفي أعلامها الدائرة وهما خط الهاجرة والشمس في أعلاه يريده اليوم ، وبالحلوط الثلاثة انهم ساروا في البحر ثلاثة أيام ، وبالشجرة البر والقوس وفيها رسم الهلال وشيء

يشبه النجوم ان الاعداء نزولوا الشاطئ ليلا . وهذه خطوة ثانية نحو الكتابة وفيها صور رمزية فضلا عن الذاتية ونسبها الدور الصوري الرمزي ، ويمكن التعبير به عن أكثر حاجيات الانسان

ثم لا يلشون بتوال الأجيال أن يهتدوا الى اتخاذ صورة شيء للدلالة على أول مقطع من اسمه كاستخدام صورة العدو للدلالة على أول مقطع من (عدو) وهو العين مفتوحة واستخدام رسم السفينة للدلالة على السين مفتوحة والشجرة على الشين مفتوحة وقس عليه ، وهو أهم خطوة في اختراع الكتابة لأن بها تتحول الاشكال الصورية من الدلالة على أسماها كاملة الى الدلالة على أول مقطع من مقاطعها وهو ما نسميه بالدور المقطعي

ولكن في رسم صور الحيوان والنبات وغيرها مشقة تحول دون انتشار هذه الكتابة وتداولها ، على ان يد الانسان ميلة الى التنوع التماساً للسرعة واقتصاداً للوقت فلا يلبث رسم الرجل المسلح المتقدم ذكره حتى يتحول الى شكل يشبه ثم يبعد الشبه كثيراً حتى لا يعرف لذلك الشكل شبه مع بقاء دلالاته الاصلية ، فلا يعرف الناس إلا ان ذلك الشكل يدل على العدو أو على مقطع (عا) ولا يرون علاقة بينهما

ثم لا يلبث الانسان أن يهتدى الى اختراع الحركات فبدلاً من ان يدل الشكل على المقطع وهو حرف وحركة معاً يدل على الحرف فقط ويخترع له علامة تدل على الحركة أو ما يقوم مقامها ، فالشكل الذي كان يدل على العين مفتوحة يدل على العين بدون حركة وهكذا فيما بقي ، فبدلاً من أن يكون الشكل الدال على مقطع (عا) مثلاً محصوراً في الكلمات الداخلة فيها العين مفتوحة أو مكسورة يستعمل للدلالة على العين مطلقاً ويعبر عن الفتح أو الضم أو الكسر بعلامة تضاف اليها ، وفي ذلك من التسهيل والاقتصاد ما لا يخفى ، وهذا هو الدور الهجائي . فالادوار التي تمر بها الكتابة قبل وصولها الى ما هي عليه الآن أربعة (١) الدور الصوري الذاتي وتدل الصور فيه على المعاني الذاتية وهو قاصر لا يمكن التعبير به إلا عن أبسط الحوادث (٢) الدور الصوري الرمزي وفيه فضلاً عن الصور الذاتية صور رمزية تدل على المعاني المعنوية التي لا صورة لها في الخارج ، وفي هذا الدور يمكن التعبير عن أكثر ما يمر بذهن الانسان من المعاني على اختلاف أنواعها ، ولكن يقتضي ذلك مئات بل ألوفاً من الصور وفيه من المشقة ما فيه (٣) الدور المقطعي وتدل الصورة فيه على أول مقطع من اسمها وهو خطوة كبرى في اختراع الكتابة فيبين ان اللغة في الدور السابق لا يتم التعبير عن معانيها إلا بألف من الصور يكفيها في هذا الدور بضع مئات فقط (٤) الدور الهجائي وفيه تصبح تلك المقاطع حروفاً وهو آخر خطوة بلغت اليها الكتابة فانك يوضع عشرات من هذه الحروف تعبر عن كل ألفاظ اللغة مهما تعددت وتنوعت (عن المجلد الخامس)

مخترع عيدان الكبريت

ان النار من أهم ما يحتاج اليه الانسان في أحوال حياته لاننا بدونها لا نقدر على عمل ومع ذلك فقد قل من بحث عن أصل اختراعها أو عن مخترعها ، على ان الذين بحثوا في ذلك لم يستطيعوا الوقوف على خبر الاختراع ، ولكنهم علموا ان الانسان توصل الى إشعال النار أولا بواسطة الفرك ، إذ علم بالاختبار البسيط ان الفرك يولد الحرارة فما زال يتدرج حتى توصل الى إيقاد النار به ، وما يزال بعض الأمم المتوحشة يولدون النار بالفرك الى الآن . ثم توصل الانسان الى توليد الشرر بالزناد بضرب الفولاذ على الصوان فيقول من تلك الصدمة شرارة تشعل بعض المواد السريعة الاشتعال كالصوفان أو نحوه . والزناد مستعمل عند أهل البادية الى اليوم . وقد اتخذ الانسان أساليب أخرى من هذا القبيل ترجع الى مبدأ واحد

أما عيدان الكبريت فهي حديثة العهد اخترعها رجل اسمه **دوكر** من أهل ستوكتن في انكلترا سنة ١٨٢٩ ولكنها لم تستعمل إلا سنة ١٨٣٤ ، وأول معمل تأسس لاصطناعها أسسه روبين بارترج سنة ١٨٤٢ في انكلترا . وفي سنة ١٨٤٥ تأسس معمل آخر في فينا (النمسا) . وطريقة اصطناع هذه العيدان في غاية البساطة لأنها مقصورة على تقطيع الخشب الى عيدان رفيعة وغمس أطرافها في سائل من مواد قابلة للاشتعال بالفرك القليل أهمها الفسفور . ومعامل هذه الصناعة كثيرة في أوروبا يشغل بها الأحداث بأجور قليلة ولذلك فهي تباع بأثمان بخسة (من المجلد الخامس)

دلالة الاحداق على الاخلاق

اشتغل الناس منذ القدم في قراءة اخلاق الناس واستطلاع ضمائرهم من النظر الى وجوههم ومراقبة حركاتهم او اشكال عيونهم او انوفهم او افواههم ، وهو علم الفراسة . واستدل آخرون على الاخلاق من النظر الى بطن الكف وما فيه من الاشكال والخطوط والرسوم ، ويسمى علم الكف . ومن علوم الفراسة الجديدة علم يعرفون به اخلاق المرء من شكل خطه . فيستدلون مثلا على بخل الكاتب من صغر كتاباته وتكاثفها ، وعلى اقدامه من تصاعد سطوره ، وعلى خموله من انحدارها . ولم في شكل كل حرف على حدة كلام طويل عريض

ومن ضروب الفراسة قراءة الاخلاق على الاحداق . ويلوح لنا انها أقرب سائر الفراسات الى الصواب ، لان العيون مرآة الاخلاق ولسان حال القلوب ، فقلبا يبدو الحب او البغض وبها يعبر عن الغضب او الرضى . وقد تدل على مقاصد واغراض يقصر عن أدائها اللسان والقلم ولا نظن قارئاً من قراء الهلال لم يلاحظ علاقة الاخلاق بالاحداق من تلقاء نفسه . فاذا رأى رجلاً

شريراً عرف أول وهلة من النظر الى عينيه انه شرير ، او سليم القلب رأى في عينيه ما يدل على ذلك . وقد تقول ان عيني فلان تتقدان ذكاء وحدة او تدلان على مكر ودهاء او نحو ذلك بما لا يقع تحت حصر ولا يستطاع وصفه بالكتابة . واما التصوير فلا يؤدي الا الى بعض المراتلان في العيون ملاحظ لا تظهر على زجاجة التصوير ولا تستطيع رسمها أفلام المصورين ولكن الناظر اليها قد يتوسم فيها خلقاً من الأخلاق أو قوة من القوى . ولما كانت المرأة أدق إحساساً وأسرع تأثراً من الرجل كانت أخلاقها أكثر ظهوراً في عينها وأقرب الى الوصف . وقد عني بعض كتاب الانكليز بدراسة هذا الفن في النساء فوصل إلى نتيجة لا تخلو بسطها من فائدة ، وعلى القراء أن يتوسعوا في هذا الموضوع من تلقاء أنفسهم لان استقراء أشكال العيون وملاحظة أخلاق أصحابها بما يتيسر لكل انسان الوقوف عليه ، فستعين بذلك على درس أخلاق أصدقائنا ومعرفة درجات ذكاتهم وأنواع واهمهم

فالشكل الأول من أشكال العيون السبعة المرسومة أمامك يدل على ميل الى الموسيقى والشعر وسائر الفنون الجميلة مع ذكاء وحدة ، وقد تكون أجفانها مطبقة أحياناً كما في الشكل الثاني ولكن الثقاتها الى فوق على ما في الشكل الاول يدل دلالة واضحة على ميل تلك الفتاة الى الفنون الجميلة . وترى في الشكلين الثالث والرابع مشابهة من بعض الوجوه فالأخلاق فيهما متشابهة . وتدل تلك العيون على ميل صاحبها الى الدلال والترف والقصف إلا أن صاحبة الشكل الثالث تحاول إخفاء أميالها والتلبس بالحشمة والزينة والحق ظاهر من وراء ذلك



ويدل الشكل الخامس على عيني فتاة يغلب

الجد على طباعها فتأفف من المزاح وتبعد عن المجون فهي غير صالحة للزواج لانها لا ترضى زوجها ولا هو يرضيها ولو كان أغنى من قارون وأحكم من سليمان بل هي أصلح للتمريض في المستشفيات أو التدريس في المدارس . وأما عينا الشكل السادس فإخلاق صاحبتها كإخلاق الكهلات العذريات اللواتي يدركن الكهولة ولا يتزوجن وإن تكن هي في إبان الشباب . وأوضح الأدلة على هذا الخلق تقوس الحاجب كما في هذا الشكل

أما الشكل السابع وهو الأخير فبيناه عينا فتاة تصالح للزوجية وخصوصاً لمن كثرت أشغاله وبعدت مطامح أغراضه فكان اعتدال حاجبها يدل على اعتدال أخلاقها واقتصادها وتديريها هذا وقد يهتم الأعزاب في هذا الموضوع أكثر من المتزوجين لانهم يستعينون به على اختيار الزوجات

فلْيَتَصَرَّوا لثَلَا يَخْلُطُوا بَيْنَ الْأَشْكَالِ أَوْ يَحْسِبُوا هَذِهِ الْقَوَاعِدُ بَلَا اسْتِثْنَاءَ فَضْلاً عَمَّا تُؤْثِرُهُ التَّرْبِيَةُ وَالتَّعْلِيمُ
بِمَا قَدْ يَاقُومُ مَقَامَ خَلْقٍ جَدِيدٍ . أَمَّا إِذَا ثَارَتْ ثَائِرَةُ الْغَضَبِ أَوْ انْقَدَتْ شَمْلَةُ الْخُدَّةِ فَيَجْعَلُ كُلُّ خَلْقٍ إِلَى أَصْلِهِ
(عَنِ الْمَجْلَدِ السَّادِسِ)

لفظ جنيه

هو مأخوذ من جينيا أو غينيا ، Guinea ، اسم بلاد واقعة على سواحل أفريقيا الغربية اكتشفها
البرتغاليون سنة ١٤٤٦ م . وفي سنة ١٥٨٨ تالفت شركة تجارية إنجليزية سارت إليها للتجارة وأخذت
ترسل إلى أنكلترا من خيرات تلك البلاد ومحصولاتها وفي جملة ذلك معدن الذهب . فضربت الحكومة
الانكليزية من هذا الذهب دنانير سمتها باسم تلك البلاد ، ولم تكن ضربت الليرات الانكليزية المتداولة
الآن . وأقدم تلك الجنيهات ضرب سنة ١٦٦٣ وقد نقش عليه صورة الفيل إشارة إلى أن ذهبه أفريقي .
وكانت قيمة الجنيه الواحد عشرين شلناً ثم ارتفعت سنة ١٦٩٥ إلى ثلاثين شلناً ثم مازالت ترتفع
وتهبط حتى صارت سنة ١٧١٧ واحداً وعشرين شلناً ، وبيعت الجنيهات الانكليزية سنة ١٨١٠ باثنين
وعشرين شلناً ونصف شلين ، ثم صعدت قيمتها إلى ٢٧ وفي سنة ١٨١١ أصدرت الحكومة الانكليزية
أمراً يقضي بتحديد ثمن الجنيه الانكليزي ٢١ شلناً . وفي سنة ١٨١٧ ضربت الليرة الانكليزية وبإبطال
ضرب الجنيهات المتقدم ذكرها

وكانت النقود المصرية إلى ولاية محمد علي اختلاطاً من النقود الأفريقية تختلف أثمانها ويعسر تحويل
قيمها بعضها إلى بعض ، فوضع محمد علي نظام العملة الجارية وضرب نقوداً ذهبية قيمها مائة ، وخمسون ،
وعشرون ، وعشرة . ولما كانت المائة من الغرش المصري تساوي قيمة الجنيه الانكليزي القديم تقريباً
أطلق عليه اسمه فقيل جنيه مصري

(عَنِ الْمَجْلَدِ السَّادِسِ)

دلالة الأزياء على الأخلاق

لا نظن أحداً يخالفنا في انطباع أخلاق المرء على كل عمل يعمل حسياً كان أو معنوياً . ولا نريد
بالأزياء أشكال الالبسة وضروب هندامها كما يتبادر إلى الأذهان من معنى هذه اللفظة لأن الناس في
هذا العصر متفقون رجالاً ونساء على ضروب متشابهة من الأزياء لا يكادون يختلفون في جزء من
أجزائها ، وخصوصاً الرجال ، فهم في بلادنا فئات قليلة بعضهم يلبس اللباس العربي القديم من الجبة
والقفطان والعمامة وبعضهم يلبس اللباس الأفريقي من السترة والبطلون والطربوش وقمصة تلبس

السراويل والكبران . ولكننا نريد حال تلك الملابس من النظافة والترتيب واللون والقصر والطول فهم يختلفون في ذلك باختلاف أخلاقهم وأطوارهم ، واليك البيان :

هندام الثوب

إذا رأيت شاباً حسن الهندام نظيف الثياب ثمينها ، لا تشك في أنه كريم محب للترتيب ويكون في الغالب مواظباً على عمله ثابتاً في مبادئه . وإذا كان ممن يفضلون من ألوان اللبسة داكنها كالأسود وفروعه فاعلم أنه من أهل الرزانة . أما إذا كان مبالغاً في وقاية ثيابه من الأوساخ والغبار حرصاً على الهندام حتى يمنع نفسه من الذهاب أو المجيء خوفاً على حسن زيّه فهو محب لذاته قليل العناية في أحوال ذويه وأصدقائه لا يكثر بمساعدتهم أو النظر في شؤونهم . وإذا رأيته مع مبالغته في النظافة الخارجية قليل العناية في نظافة مآخذه من الألبسة البيضاء مهملاً تنظيف جسمه فيغلب فيه الرياء والمداهنة فهو يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب . وبالعكس ذلك إذا رأيته كثير العناية في نظافة جسمه وترتيب أثوابه الداخلية دون الخارجية فاعلم أنه سليم الطوية مخلص ينظر إلى حقائق الأشياء ولا يعتد بظواهرها ولا يهجم مدحه الناس أو ذممه ولكنه لا يصبر على سوء يرتكبه سهواً كان أم عمداً ، ويكون في الغالب دقيق الأحساس حي الضمير يعطي كل ذي حق حقه

ومن كان ثوبه نظيفاً غير مرتب يغلب في طباعه الاسراف والكسل . وإذا شاهدت ترتيباً في بعض أجزاء ثوبه دون البعض الآخر فهو محب للعمل ولكنه لجوج قليل الصبر . وإذا رأيت تفاوتاً بين تلك الأجزاء كأن يكون بعضها ثميناً والبعض الآخر رخيصاً أو بعضها ضيقاً والبعض الآخر واسعاً أو البعض قصيراً والبعض طويلاً أو رأيته ثوبه جديداً وطريوشه أو حذاه قديماً فاعلم يقيناً أنه ضعيف الرأي قصير النظر في الأمور لا يصلح أن يكون مديراً في عمل من الأعمال

والثوب الواسع المرتب النظيف دليل على صبر صاحبه ومواظبته وترويه واعتدال مشربه . فإذا كان مع سعة ثوبه قليل العناية بنظافته فيغلب أن يكون مهملاً كسولاً . وهكذا إذا شاهدت نقصاً في حاجات ثوبه كأن تكون صدرته ناقصة الأزرار أو أن يخرج بلا مندبل في جيبيه أو نحو ذلك . وإذا لقيت صاحباً لك من ذوى اليسار وشملت من أثوابه رائحة البزير أو زيت التربيننا فاعلم أنه بخيل وقد نظف ثوبه من النكت لئلا يحتاج إلى شراء ثوب جديد . وإذا رأيته في أثوابه رقماً أو رثياً فهو شديد البخل طماع . أما إذا فعل ذلك مدفوعاً بضيق ذات يده فهو مقتصد مدبر

الطربوش

للمشاهدة أن وسخ الطربوش يدل على الإهمال أكثر مما يدل على البخل . وأما إذا رأيته عليه آثار التنظيف العنيف كالغسل أو نحوه فاعلم أن صاحبه شديد الحرص . ومن يلبس طربوشه مائلاً إلى الآمام حتى تبلغ حافته أعلى الحاجبين فهو معجب بمجاليه أو قوته والغالب أنه يقدر نفسه أكثر مما هي . وإذا رأيته مع ذلك يرسل أهداب طربوشه (الزر أو الشراية) إلى الآمام فهو لا يحفل من الله . ومن يضع طربوشه وضعاً ألقياً كان معتدل المزاج محتكاً . وإذا أرسله إلى الوراء فهو كثير الاهتمام حازم

متبصر ، إلا إذا كان إرساله على هذه الصورة لظهور شعره المدهون . وأما وضعه مائلا الى أحد الجانبين فدليل على الإعجاب مع الخفة والاستسلام الى الشهوات

الشعر

إن قص الشعر قصيراً حتى لا يحتاج الى المشط في تسريحه يدل على اقدام صاحبه ونشاطه وانقطاعه الى العمل . وأما قصه طويلاً وتمشيطه على أشكال هندسية وشدة العناية في ترتيبه فدليل على الميل الى التشبيب والمغازلة ، ويندر أن يكون صاحب هذا الشعر مقدماً نشيطاً ، وإرسال الشعر طويلاً وعدم العناية في تمشيطه وترتيبه من اكبر ادلة الكسل والاهمال ، على انها قد تكون دليلاً على الاجتهاد لانصراف ذهن صاحبه الى أعمال اخرى هامة تستغرق كل وقته وهذا نادر

هذه امثلة قليلة من دلالة الأزياء على الأخلاق ننشرها مثالا لما قد يتفرع عن هذا الموضوع مما لايفي بتفصيله غير المجلدات ، على اننا لانجهل مخالفة بعض القواعد التي ذكرناها لما قد يتفق من النوادر ولكل قاعدة شواذ . وزد على ذلك ان بعض الناس لا يتولون هندام اثوابهم بأنفسهم او انهم اذا تولوه جروا في هندامهم انقياداً لعادة نشأوا عليها منذ الصغر حتى اصبحت ملكة فيهم ، فهم انما يفعلون ذلك اعتباطاً ولا دخل فيه لأذواقهم او اخلاقهم ، فكأنهم آلة تتحرك بمامل العادة او الملكة فقد يكون في ظاهر هندامهم ما يخالف حقيقة اخلاقهم فاعتبر هذا ، واعلم انه لا بد من النظر والتروى قبل الحكم على اخلاق الناس بالنظر الى ازيائهم (من للجلد السادس)

كيف تتحمل المصائب

(رد على سؤال)

لقد خلق الانسان من عجل وهو لضعفه يستكبر الصغائر فتعظم عليه وتعب على احتماله ولورقة حقيقة حاله همان عليه الصعب وسخر بالدهر وحوادثه . فكيف يستكبر حادثاً وقد خلق في أرض تخلفت عن سديم وتكونت جبالها وأوديتها بالزلازل والبراكين لا يطلع نباتها إلا بالامطار والاوراح ولا يعيش حيوانها إلا بالجهد والقتال . صنع انسانها من ماء وطين فارتكب المعصية فطرده الله من جنة النعيم ، فخرج يلتمس طعامه بمعالجة التراب ومعايشة الدواب وقد احدثت به النوايب من كل جانب إذا أصبح لا يعرف مصير يومه ، وإذا نام غفل عن عواقب نومه ، يخبط في دنياه خبط عشواء في ليلة ليلاء ، يدافع جندا من طوارق الحدثنان وعبثاء مغمضتان ويده مغلولتان ، فيسير مثلبساً متعسفاً يتلبس النجاة من عدو سد جوته المنافذ ، فتلاعب به الحوادث تلاعب الطفل بكرات الحصى ، لاعت روية ونظر ولكن الوجود سلسلة اسباب يتصل اولها بالازل وينتهي آخرها بالابد . والمرء بين ذلك كريمة تتقاذفها الرياح لا يعرف له مقرأ ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً

فاذا علمت ذلك وأنت عالمه لاحالة هان عليك ماتلقاه في فسحة هذه الحياة . ولا يصبر الانسان على اذى إلا اذا جاءه على غير انتظار . فاصحب الزمان واحذر غائلة غدره ، واعلم أنك لاتتقوى على دفعه ولا تنهض في صباحك الا وانت تتوقع شراً فاذا قضيت يومك سالماً تمت شاكرًا حامداً وان نابتك نائمة كنت في انتظارها فتحملها صابراً
(عن المجلد السادس)

تاريخ الرقص

الرقص عادة قديمة جداً لم تختل أمة من الأمم القديمة من تعودها . والظاهر أن حركات الرقص فطرية فيمن يتأثر من الفرح الشديد ، ويلوح لنا أن الانسان رقص قبل أن تكلم أى أن الرقص سابق للغة ولا سبيل لنا الى اثبات ذلك غير القياس العقلي . أما التاريخ فثبت شيوع الرقص عند كل الامم من أقدم الازمان وكان عند بعضها فرضاً دينياً يؤدونه للآلهة . وفي التوراة أن اليهود كانوا يسبحون الله بالرقص . واتقن اليونان القدماء الرقص حتى جعلوا لكل حالة من حالات النفس رقصة تميزها وتدل عليها كالفرح والحزن والغضب ونحوها . وقد عد أرسطو الرقص في جملة الفنون الجميلة للجمله والشعر صنوين ، وكان أهل سبارطة يودون أطفالهم الرقص وهم في الخامسة من سنهم وكان آبائهم وأساتذتهم يرقصونهم وهم يشدون

ويقسم القدماء الرقص الى ثلاث رتب (١) الرقص العسكري ويريدون به التمرين العضلي (٢) الرقص المنزلي ويريدون به مجرد اللهو والتسلية (٣) الرقص الديني وهو ما كانوا يأتونه أثناء العبادة أو ذبح الذبائح أو تقديم القرابين . والمفنون أن المسيحيين كانوا يرقصون في بادى أمرهم في أثناء اجتماعاتهم الدينية . وفي الهند أجواق من البنات يرقصن في الاحتفالات العمومية

أما العرب فلم يخرجوا في عادة الرقص عن سائر أمم الأرض وربما كانوا يرقصون في بعض الاحتفالات الوثنية في جاهليتهم كما كان يفعل سواهم من الامم

وأما الرقص عندنا اليوم فيراد به مجرد اللهو والقصف . وأما في بلاد الأفرنج فقد يريدون به الرياضة الجسدية ايضاً حتى جعلوه علماً قائماً بنفسه له روابط وقوانين . ولا يستكف من الرقص عندهم أحد خلافاً لنا فاننا نعد الرقص خلاعة ، وبأى أهل الادب منا أن يشهدوا حفلة رقص فضلاً عن أن يكونوا في جملة الراقصين ، إلا من تخلفوا بأخلاق الأفرنج بطول العشرة او حكم التزينة ولا جدال في ذلك فان لكل امرئ من دهره ما تعود . على أن الفرق بين الشرق والغربي في اعتبار الرقص كالفرق بينهما في كثير من العادات المتعلقة بالحجاب أو الحشمة او نحوها ، فالشرق أكثر غيرة على عوراته من الغربي فان العبرانيين قد استغرقوا في الرقص واتخذوه ذريعة الى استرضاء الله ، ولكنهم لم يخلطوا الرجال منهم بالنساء الا مرة اقتضتها الحال فرقص الجنسان معا وكل منهما على حدة . فاعتبر ذلك وقس عليه كل مايرض لك من هذا القليل . . .
(عن المجلد السابع)

يأجوج ومأجوج هم التتر والمغول

يأجوج ومأجوج أمثال ذكرتا في القرآن الشريف في سورة الكهف وسورة الانبياء قال تعالى في الاولى في مساق قصة ذى القرنين : « قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض ، وقال في سورة الانبياء : « حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، واقترب الوعد الحق » الآية فلنجمل هاتين الآيتين موضوع بحثنا ضارين صفحاً عن وجوه التفسير التي ليس لها مساس به ولننحصره في خمسة مباحث :

البحث الاول في معنى لفظ يأجوج ومأجوج وأصلهم وجغرافية بلادهم

البحث الثاني في افسادهم في الارض ويستلزم ذكر تاريخهم

البحث الثالث في معنى « فتحت يأجوج ومأجوج » وذكر خروجهم وتعين زمنه وما يشهد له من الاحاديث واقوال العلماء ومكاتبات الملوك

البحث الرابع في ذكر معنى الحدب لغة ومقارنته بكلام المؤرخين

البحث الخامس اقتراب الوعد الحق

البحث الاول : اصل يأجوج ومأجوج من اولاد يافث بن نوح مأخوذان من ابيجج النار وهو ضرؤها وشررها شهبوا به لكثرتهم وشدتهم . وذكر بعض المدققين في البحث عن تأصيلهم ان اصل المغول والتتر من رجل واحد يقال له ترك وهو نفس الذي سماه أبو الفداء باسم مأجوج فيظهر من هذا أن المغول والتتر هم المقصودون يياجوج ومأجوج وهم كانوا يشغلون الجزء الشمالي من آسيا وتمتد بلادهم من التبت والصين الى المحيط المتجمد الشمالي وتنشئ غرباً بما يلي بلاد التركستان

البحث الثاني : الكلام على افسادهم في الارض . وقد ذكر المؤرخون وفيهم الافرنج ان هذه الامم كانت تغير قديماً في أزمنة مختلفة على الامم المجاورة لها فكم أفسدوا وقلبوا الامم قلباً قبل زمن النبوة ودمروا العالم تدميراً وجعلوا عاليه سافله ، فهم مفسدون في الارض بنص القرآن وشهادة التاريخ . فقد ذكر ان منهم الامم المتوحشة والسيول الجارحة التي انحدرت من الهضبات المرتفعة من آسيا الوسطى وذهبت الى اوربا في قديم العهد . فنهج امة السبت والسمرين والمسيحيين والهن ، وكما اغاروا على بلاد الصين وعلى امم آسيا الغربية ودوخوهم حتى اقام اهل الصين سداً فيما بينهم وبين هؤلاء آثاره باقية الى الآن واقام سد آخر فيما بينهم وبين امم آسيا الغربية التي كانت مقرا لانبياء والمسلمين ، وقد عثروا على آثاره من قبل جهات ارمينيا واذريجان . ويظهر ان الانبياء كانوا يحذرون قومهم من هؤلاء الامم قديماً قبل نزول القرآن ، وكذلك ورد ذكرهم في القرآن كما تقدم وفي بعض الاحاديث ايضا . ثم لانهم لم يزالوا في حدود بلادهم لا يتجاوزونها بعد زمن النبوة الى ان ظهرت الداهية الدنياء والنارة الشعواء من تلك الامم المتوحشة الرحالة إذ ظهر منهم رجل يسمى تموجين لقب نفسه جنكيزخان ، وقال مؤرخو

الافرنج ان معناه بلغة المغول ملك العالم ولقد ملك من بعده مشارق الأرض ومغاربها إذ أعد نفسه فاتحاً لكل العالم، وكان خروجه هو وقومه من الحضبات المرتفعة والجبال الشاهقة التي في آسيا الوسطى في أوائل القرن السابع من الهجرة . فانه بعد ان جمع امة التاتار تحت حكمه أخضع الصين الشمالية أولاً ثم ذهب الى بلاد الاسلام فأخضع السلطان قطب الدين محمد بن تكش علاء الدين بن ارسلان بن محمد من الملوك السلجوقية ملك خوارزم لاسباب سنذكرها ، وكان يمتد ملكه على بلاد التركستان والفرس وقد دافع ابنه جلال الدين مدافعة الابطال لرد هجماتهم فلم يرد شيئاً وسقطت الدولة بعد حرب مكثت عشر سنين ، ولقد فعلوا بهذه الدولة من المنكرات والفظائع ما لم يسمع مثله في تاريخ فلم يبقوا على رجل ولا امرأة ولا صبي ولا صبية فقتلوا الرجال وسبوا النساء وارتكبوا الفواحش انواعاً ، ولقد حسروا القتل في مدينة خوارزم وحدها فلقى كل واحد من جموع جنكيزخان التي لا تحصى عدداً أربعة وعشرون قتيلاً . وأحرقوا المدينة وهدموا أسوارها وأجروا بها الدماء أنهاراً فضلاً عما فعلوه بسمرقند وبخارى وغيرهما، وقتلوا بأهل نيسابور وأخوهم عن آخرهم حتى الاطفال والحيات كالقطط والكلاب وأحرقوا البلد وقد عدت القتلى في واقعة مرو فكانوا مليوناً وثلثمائة وثلاثين ألفاً هذا ما أمكن ضبطه منهم وهذه نبذة يسيرة بل فطرة من بحر فظائعهم . راجع دائرة المعارف في مادة تتر ، وابن خلدون وابن الاثير وفاكهة الخلفاء وقس على ما ذكرناه جميع البلاد التي سنذكرها فلقد أخضعوا بلاد الهند ومات جنكيزخان بعد قتوله من غزوها . ولما ملك بعده ابنه اقطاي اغار ابن أخيه المدعو باتو على الروس سنة ٦٢٢ هـ ودمروا بلونيا وبلاد المجر وأحرقوا وخربوا ومات اقطاي بقتلهم مقامه جابوك خراب ملك الروم وألجأه الى دفع الجزية ثم مات جابوك وقام مقامه ابن أخيه منجر فكلف أخويه كبلان وهولاكو ان يسترا في طريق الفتح فيفتح الاول الى بلاد الصين والثاني الى الممالك الاسلامية وقد فعل كل منهما ما أمر به فأخضع كبلان بلاد الصين وزحف هولاكو على الممالك الاسلامية ومقر الخلافة العباسية وكان الخليفة إذ ذاك المستعصم بالله فاراد أن يدخل الى هؤلاء الباغين من طريق المداورات فلم يفلح وأخذت بغداد عنوة في أواسط القرن السابع من الهجرة واسلبت للسلب والنهب سبعة أيام سالت فيها الدماء أنهاراً ، وهو أمر معلوم مشهور وطرحوا كتب العلم في دجلة وجعلوها جسراً يمشون عليه بنحويهم . وهذا الخليفة بعدما اضطر لتسليم ما لديه من الكنوز التي لا تحصى والتي ورثها عن أجداده ذبح وعلقت جثته في ذنب حصان وساروا بها بين أسوار مدينة بغداد وبه انتهت الخلافة العباسية ببغداد . ولما استولت ذرية جنكيزخان على آسيا كلها وأوروبا الشرقية اقتسموا بينهم المفتوحات وأنشأوا منها أربع ممالك منفصلة . فاختصت اسرة كبلان بالصين والمغول ، وملك جاقاتاي اخر اقطاي بتركستان ، وملك ذرية باتلوخان البلاد التي على شواطئ نهر فلجا وصارت الروسية تدفع الجزية اليها زمناً طويلاً ، وانضمت بلاد الفرس الى هولاكو الذي دمر بغداد ، وقد استمرت فتوحات المغول الى بلاد الشام وهددت مصر إلا أنها لم تقو على مقاومة الممالك الذين أعقبوا الدولة الايوبية.

البحث الثالث : قوله تعالى : « حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج ، على حذف مضاف أي فتحت جهنم على أحد تفسيرين ولقد انفتحت تلك الجبة في أوائل القرن السابع من الهجرة كما ذكرنا في التاريخ وخرج جنكيزخان وجنوده وملكوا مشارق الأرض ومغاربها كما أوضحناه . وقد ورد في بعض الاحاديث ما يشير الى ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم : « اتركوا الترك ما تركوكم فان أول من يسلب أمتي ملكهم بنو قطوراء » أي الترك مع ملاحظة ما ذكرناه أولاً من أن الترك ومأجوج جنس واحد ولقد ظهر بما ذكرنا في التاريخ أنه لم يسلب الأمة الاسلامية ملكها إلا هؤلاء .

وقد ورد أيضاً في حديث يأجوج ومأجوج : ان مقدمتهم تكون بالشام وساقتهم بخراسان . فهذه إشارة الى اتجاههم وطريق سيرهم ومنتهى ملكهم اذ لم يتجاوزوا الشام الى مصر ولا بقية افريقيا . وورد أيضاً : أن يأجوج ومأجوج لا يدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس ، ومن العجيب أن جنكيزخان وقومه وذريته طافوا الأرض شرقاً وغرباً ولم نثر فيها اطلعنا عليه في أنهم دخلوا أحد هذه الاماكن الثلاثة فما أجلها من معجزة ظاهرة . ثم ان جنكيزخان هذا هو المراد بحديث « يخرج في آخر الزمان رجل يسمى أمير العصب أصحابه محسورون مخفرون مقصودون عن أبواب السلطان يأتيونه من كل فج عريق كأنه فزع الطريق يورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها ، وقد حله بعض العلماء قديماً على جنكيزخان المذكور . وسبب خروجه وحصده الأرواح أن سلطان خوارزم المتقدم ذكره في التاريخ قتل رسل جنكيزخان والتجار المسلمين من بلاده وسلب أموالهم وأغار على أطراف بلاده فاغتاظ جنكيزخان وكتب اليه كتاباً يهول فيه ويشنع على السلطان قال فيه ما معناه « كيف تجرأتم على أصحابي ورجالي وأخذتم تجارتني ومالي وهل ورد في دينكم أو جاز في اعتقادكم ودينكم أن تروا دم الأبرياء أو تستحلوا أموال الأتقياء أو تعادوا من لم يعادكم وتكذبوا صفو عيش من صادقكم وصافاً ، اتمركون الفتنة القائمة أو تنهون الشرور الكامنة . أما جاءكم عن نبيكم سريكم وعليكم أن تمنعوا عن السفاهة غويكم وعن ظلم الضعيف قويكم ، أو ما أخبركم غيروكم وبلغكم عنه مرشدوكم ونباكم محدثوكم ، اتركوا الترك ما تركوكم ، وكيف تؤذون الجار وتسيئون الجوار ونبيكم قد أوصى به مع انكم ما ذقمتم طعم شهده اوصابه (ألا إن الفتنة قائمة فلا توقفوها) وهذه وصايا اليكم فعملوها واحفظوها وتلافوها هذا التلف قبل أن ينهض داعي الانتقام وتقوم سوق الفتنة ويظهر من الشر ما بطن ويروج بحر البلاد ويموج وينفتح عليكم سد يأجوج ومأجوج فلترون من جراء افعالكم العجب (وليسأنب عليكم يأجوج ومأجوج من كل حدب) » انتهى المقصود من عبارات كتاب جنكيزخان . وانظر كيف كان صريحاً بجميع مايراد من هذه المقالة بأوفى بيان . والأعجب من ذلك والاغرب انه كان بين بلاد جنكيزخان وملكة خوارزم ملكة تسمى ازارا كأنها حد فاصل بين الدولتين أو سد معنوي بين الامتين فزاهم الملك السلجوقي واستعبد أجنادهم فارفع الحاجز من بين الامتين وزال السد فسرت السرائر وابتهمت القلوب بهذا الفتح . وكان اذ ذلك في نيسابور عالمان فاضلان فأقاما العزاء على الاسلام وبكيا حتى ارويا الارض بدموعهما فستلا عن موجب هذا البكاء والناس فرحون بنصر الله فقالا : « اتم

تعدون هذا الخلم فتحاً وتتصورون هذا الفساد صلحاً (وإنما هو مبدأ الخروج وتبسيط العروج وفتح سد يأجوج ومأجوج) ونحن نقيم الغزاء على الاسلام والمسلمين وما يحدث من هذا الفتح من الحيف على قواعد الدين ولتعلن نبأه بعد حين . فهذا تصريح من هذين العالمين بما اردناه ونص في خرواه ولا ضرورة لخروج كلاهما عن ظاهره . وانظر كيف ظهر صدق كلاهما في حينه كما قدمنا وظهور التترافأنا الاسلام وماج الناس بعضهم في بعض ، فلقد اضطرب اهل آسيا وأخذوا يرتحلون من منازلهم فراراً منهم وكذلك اهل اوربا

البحث الرابع : قوله تعالى : « من كل حذب ينسلون » الحذب ما ارتفع من الارض وينسلون أى يسرعون في النزول من الآكام والتلال المرتفعة وهذه الحال منطقاً تماماً على قوم جنكيزخان المتقدمين فانهم باجماع مؤرخى الافرنج والعرب كان خروجهم من هضبات آسيا الوسطى وحدها كما ذكرناه في التاريخ فليتأمل

البحث الخامس : قوله تعالى : « واقترب الوعد الحق » اى القيامة ويؤخذ منه ومن سورة الكهف قوله تعالى : « ونفخ في الصور لجمعناهم جمعا » في مساق قصة يأجوج ومأجوج ان خروجهم قرب الساعة ولكن هذا لا يدلنا على انه لا فاصل بينهم وبين الساعة الا ترى قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » وقوله صلى الله عليه وسلم : « بشت انا والساعة كهاتين » وأشار الى السبابة والوسطى . ومع ذلك فقد مضى ثلثمائة الف سنة ونيف فهكذا قال في آية يأجوج ومأجوج « واقترب الوعد الحق » فكلاهما اقتراب ورب قائل يقول أين الاقتراب في الموضوعين ؟ قلنا معلوم ان ما مضى من الزمان لا يتناوله الاحصاء وما بقى من عمر الارض الطيعى نزر يسير جداً بالنسبة لذلك ونحن لقصر حياتنا نعد ذلك بعداً ويعدده الله الباقي الدائم قريباً . قال تعالى : « انهم يرونه بعيدا ونراه قريباً » الآية فتألف السنين لا تنافى القرب مهما امتدت وطالت بنسبتها الى الزمن كله إذ من البدهى ان الآلاف لا تذكر في جانب الملايين ولذلك ورد في حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج » فهذا دليل على ان الناس يستبدلون من بعد خوفهم أمناً ويعبدون الله عز وجل . واما صفاتهم المشهورة في القصص وبعض الآثار فكثير منها لا أصل له أو ضعيف الرواية وليؤول الصحيح منها ان خالف حقيقة هذه الامم على قاعدة وجوب تأويل الدليل الثقلى ليوافق العقل الذى قطع بدهانه ، فان صح ان الارض اكتشفت بتأملها وان الربع الشبلى لم يبق فيه احتمال لوجود امة مجهولة وجب المصير الى ما قلناه في هذا البحث او نحوه . هذا ما عنى على قلة بضاعتى وكثرة اشغالى والسلام

لطفاوى جوهري

مدرس بمدرسة الجيزة الاميرية (عن المجلد السابع)

احفظ شبابك والكهولة تحفظ نفسها

احفظ شبابك وأنت في إبان الشباب . احفظ به انه ذخر الكهولة وزاد الشيخوخة . اقتصد بما تنفقه من شبابك ولا تحسبه يبنوعاً دائماً . انه ينبع الى حين فإذا انقضى تطلبه فلا تجده فتندم ولات ساعة مندم

وقد تسألني : كيف أحفظه وهو زائل من طبعه والتماس بقائه محال ؟ أقول احفظ شبابك لا بالطعام فانك انما تستبقي به الحياة . ولا بالنوم فانك تستريح به من تعب النهار . وأما شبابك فأحفظه بالعفاف والاعتدال واحذر من الاسراف فانه ذاهب بالحياة وأنت لا تشعر إلا اذا مالت شمك الى الزوال

اذا اقيت شيخاً طاعناً في السن شاب شعره وسقطت أسنانه وتجمد وجهه وغارت عيناه وهو مع ذلك منتصب القامة براق العينين صحيح البنية سريع الحركة نشيط يهضم طعامه جيداً ويعمل أعمال الشباب جسماً وعقلاً فاعلم انه قضى شبابه عفيفاً معتدلاً فلقى ثمرة ما ادخره من القوة في شبابه

واذا رأيت شاباً في مقتبل العمر وريمان الشباب وقد أشرق وجهه بماء الشبيبة ، فلا يفرك منه ذلك الاشراق ولا يسرك انتفاخ وجهه وكثرة طعامه ولا تمأ بما يظهر عليه من سمات الصحة والعافية وهو اذا مشى تعب ، واذا صعد سلباً لهث ، واذا كلفته عملاً عقلياً مل وضجر ، واذا حدثته عن خطر خاف وارعد ، واذا قيل له ان فلاناً أصيب بجمل خاف أن يصاب بمثله ، وتراه لا يجسر على عمل ولا يقدم على مشروع ، فاعلم انه غافل عن شبابه وقد أسرف فيه وأضاعه ، لأن الشاب اذا عف غل ثابت الجأش قوى الجنان صبوراً على تقلبات الايام ولا يزال كذلك الى آخر أيامه

فالمرء بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين أو الثلاثين في حال يحتاج فيها الى يقظة وانتباه . فاما ان يحفظ شبابه فيعيش عمره صحيحاً معافى ، وإما أن يضيعه فيقضى على نفسه بالتمس والخسران وقد حدا بنا الى كتابة هذه السطور ما نراه في شبابنا من الانتماس في ملاهى الشبيبة وهم لا يدركون عاقبة ما يجرونه على اجسادهم وعقولهم من البلا . فيقضون الليل سهارى في اماكن اللهو وما أدراك ما وراء ذلك من مهابى الضلال ودركات الفحشاء بما يميم عواطفهم ويوهن قواهم ويضعف عقولهم ويذهب بحياتهم وبلس المصير

ولا يقتصر ضياع الشبيبة على هذا السيل فان بين الادياء البعيدين عن تلك الملاهى من يحمل قيمة الشباب فيسرف في سيل يحسبه غير ضار وهو لا يرى ضرره وله عذر في ذلك اذا جيل العاقبة . أما وقد علم انه انما يقتل نفسه عمداً فهو ملوم في ذلك الاسراف

أرأيت اذا احمرت وجنتاك وأبرقت عيناك وانتفخ وجهك وأنت مع ذلك اذا أجهدت نفسك في عمل خاتتك قواك واستولى عليك الملل فانت إلا عليل . والعلة ليست في العضل ولا في الذهن بل هي في القلب والدماغ لأن الافراط انما يضعف هذين العضوين فيصبح الشاب شيخاً

ومن ظواهر تلك الحال كل العقل وضعف القلب فيخفق لأقل المؤثرات ويضرب لأخف الأسباب وقد يستولى عليه الوسواس والحدة فيخاف مما لا يدعو الى الخوف ويغضب بما لا يدعو الى الغضب . والبلية العظمى ان حالته هذه قد تسوقه الى زيادة الانغماس في سبب تلك العلة فيزيد الطين بلة فاحتفظ بشبابك ولو تكلفت في بادئ الرأي كظماً . احتفظ به انه زاد الشيخوخة . وإذا أنفقت في مقبل العمر أمسيت بلا زاد وخير الزاد التقوى

إذا قرأت ترجمة رجل عظيم أنهض نفسه من دركات النذل والفقر الى مراقي المجد والسؤدد بمجده واجتهاده ، فاعلم انه انما اكتسب ذلك بالنشاط والاقدام والصبر على مضض الايام ، وذلك لا يكون إلا مع العفاف . وأشهر من حاد عن تلك الخطوة من مشاهير الرجال انما هو الشيخ الرئيس (ابن سينا) ولكنه مات قبل أوانه وترك لنا وصية نظماً في يتين من الشعر يمتعنا تداول الهلال بين أيدي الجنسين من إرادهما ولكنهما مشهوران

وكم من شبان دلت أوائل شببتهم على مواهب سامية كنا نرجو لهم بها مستقبلاً عظيماً فأضاعوها بأسرافهم وابتاتوا يتقلبون على بساط الخمول أو المرض ومعظمهم ماتوا قبل ادراك الكهولة . ولو بحثت عن ذلك لرأيت سببه متصلاً بأحوالهم المريعة

احفظ الشبهة وأما الكهولة فهي تحفظ نفسها . اذ تضعف العواطف ويتسلط العقل ، والعقل اذا تسلط لا يدل إلا على الخير والسلام (عن المجلد الثامن)

أصل الوسامات (النياشين)

ان الوسامات على ما هي عليه الآن لا نظن تاريخها يتجاوز القرن الثاني عشر للميلاد . ولكن الفرنسيين يزعمون ان وسام « القديس أمبول » وضعه الملك كلوفيس في القرن الخامس للميلاد . أما اذا بحثنا في الاصل الذي تخلفت عنه الوسامات فزاه قديماً . لأن الاصل في الوسام اكليل كان القديماً يمنحونه لمن يمتاز بينهم بعمل خاص . كذلك كان يفعل الآثينيون في أقدم أزمانهم ، فاذا امتاز أحدهم في حرب أو سباق جعلوا على رأسه اكليلاً أو تاجاً من الزهور أو الفضة أو الذهب . وانتقلت هذه العادة الى الرومانيين ومن عاصرهم أو أخذ عنهم . ولم يكن ملوكهم يلبسون التيجان ولكنهم كانوا يخلعونها على الممتازين في خدمة بلادهم . وأول ملك لبس التاج منهم للرمز عن الملك ايسكندر المقدوني وخلفاؤه (وأما في مصر فالتاج الملوك قديم) ثم أصبح التاج شارة الملك خاصة . فلما استأثر الملوك بالتاج لأنفسهم صاروا يكرمون الممتازين من رجالهم بوسامات من الذهب أو الفضة بين مرصع وغير مرصع

وكانت القروسية في أوائل النصرانية مكرسة تقريباً للدفاع الديني على ما هو معلوم من سلطة الكنيسة على المملكة في ذلك العهد. فكانت الوسامات في أول امرها دينية في أشكالها وأسمائها أي إما أن تكون على شكل صليب أو عليها نقش بعض القديسين أو بعض العبارات الدينية أو نحو ذلك، كأنهم يقصدون بخلعها أن يكون حاملها محروساً بعناية صاحب الصليب أو القديس الموسوم به ذلك الوسام

ولذلك كان أكثر الوسامات وخصوصاً القديمة على أسماء القديسين أو ما جرى مجرى ذلك من الرموز الدينية، مثل وسامات القديس لمازرو والقديس غائيل والروح القدس عند فرنسا، ووسامات القديس جاورجيوس والقديسة كاترينة والقديس ولاديمير عند روسيا، ووسام القديس اسطفانوس عند أستراليا، ووسام الصليب الحديدي عند بروسيا، ووسام المسيح عند البرتغال. وقد يكون على أسماء عظماء الملوك وذلك غالب في وسامات الدولة العلية كالنیشان السمان والنيشان المجيدي ونحو ذلك أما ما تنفقه كل دولة على وساماتها كل عام فما لا يمكن الوقوف عليه إلا بمراجعة سجلاتها الخصوصية لأنهم لا يذكرون ذلك في الميزانيات العمومية على حدة

وأما وسامات الدولة العلية فانها تصنع في الاستانة يصنعها الصاغة هناك وتعين أثمانها بالمساومة. أو المناقصة
(عن المجلد الثامن)

العرب واختراع البارود

(رد على سؤال)

المشهور عن البارود عند كعبة الافرنج أن مخترعه رجل الماني اسمه يوحنا شوارتز سنة ١٣٢٠ (٧١٩ هـ). ويظهر من مراجعة تاريخ الشرق القديم أن الصينيين كان عندهم شيء يشبه البارود بانفلاقه وانفداعه وفرقته. وقد أشار راهب إنكليزي من أهل القرن الثالث عشر اسمه روجر باكن إلى مزيج من هذا النوع كان معروفاً قبل أيامه. ولكن يؤخذ من مطالعة تاريخ الاسلام أن العرب أسبق أهل الارض إلى استخدام البارود وإذا لم يكونوا هم الذين اخترعوه فلا أقل من أنهم أوصلوه إلى ما عرف به في الاجيال الوسطى

ويان ذلك - أن تاريخ التمدن الآسيوي القديم يدل على أن المشاركة القدماء كانوا يستخدمون في حروبهم مزيجاً سريع الاشتعال لم يعرفه أهل أوروبا إلا في القرن السابع لليلاد. والمطلون أن رجلاً من أهل الشام اسمه كالينكوس نقله إليهم. وكان الروم يؤخذ في إبان حاجتهم إليه ليردوا به هجمات العرب عن القسطنطينية وغيرها من مدنها في أوروبا وآسيا وقد فازوا بفرضه منه، فأن العرب حاصروا

القسططنطينية مراراً ولم يستطيعوا فتحها . وبالع الروم في كتمان أسماء المواد التي يتألف منها ذلك المزيج وكان يعرف يومئذ بالنار اليونانية . فظل أمر هذه النار مكتوماً حتى اطلع العرب عليها فأذا هي مزيج من الكبريت وبعض الراتنجات والادهان في شكل سائل يطلقونه من اسطوانة نحاسية مستطيلة كانوا يشدون بها في مقدم السفينة فيقذفون منها السائل مشتعلأ أو يلقونه بشكل كرات مشتعلة أو قطع من الكتان المتلوث بالنفط فيقع على السفن أو البيوت فيحرقها . والظاهر ان المقذوفات التي احترقت بها الكعبة في حصار الحسين بن نمير لعبد الله بن الزبير سنة ٦٤ هـ إنما كانت من هذه النار وما هي من البارود في شيء . ولكن العرب لما توسعوا في العلوم الطبية واتقنوا فن الكيمياء تفتنوا في تركيب هذه المواد حتى أصبحت على مثل ما نعرفه عن البارود . وذكر بعض الباحثين من الافرنج أن الصليبيين كشفوا ملح البارود واستخدموه لبعض الالاعاب . وأما العرب فهم الذين أضافوا اليه بقية مواده واستخدموه لرمي التنازل والمقذوفات - فهم مخترعو الاسلحة النارية دون سواهم . وذكر كوندی المستشرق الاسباني المتوفى سنة ١٨٢٠ م ان أهل مراکش استخدموا الاسلحة النارية في محاربتهم سرقوسة سنة ١١٩٨ للميلاد

وزد على ذلك ان تواريخ العرب تشير الى استخدام هذه الاسلحة في القرن الثالث عشر للميلاد في حرب المسلمين بالمغرب . وترى ذلك صريحاً فيما ذكره ابن خلدون عن قدوم أبي يوسف سلطات مراکش لفتح سجلماسة واستخراجها من بني عبد الواد سنة ٦٧٢ هـ (١٢٧٣ م) قال :

« ولما فتح السلطان ابو يوسف بلاد المغرب واتظمت امصاره ومعاقله في طاعته وغلب بني عبد المؤمن على دار خلافتهم ومحا رسمهم وافتتح طنجة وطور سبتة مرعاً الجواز الى العدو وثغر المغرب - ساء أمله الى بلاد القبله فرجه عزمه الى افتتاح سجلماسة من أيدي بني عبد الواد المتغلبين عليها وإدالة دعوته فيها من دعوتهم فهض اليها في العساكر والحشود في رجب من سنة اثنتين وسبعين فنازلها وقندشد اليها اهل المغرب اجمع من زناتة والعرب والبربر وكافة الجنود والعساكر ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزنة أمام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد الأفعال الى قدرة بارئها . فأقام عليها حولاً كريماً يفاذيها القتال ويراعها الى أن سقطت ذات يوم على حين غفلة طائفة من سورها بالحاح الحجارة من المنجنيق عليها . فبادروا الى اقتحام البلد فدخلوها عنوة من تلك الفرجة » (راجع تاريخ ابن خلدون الجزء السابع صفحة ١٨٨)

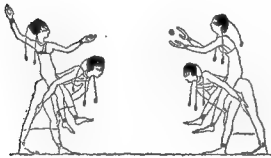
وفي هذا القول شاهد صريح على أن البارود كان معروفاً عند العرب وكانوا يستخدمونه في حروبهم قبل الزمن الذي يقول الافرنج ان شوارتر اكتشفه فيه نحو نصف قرن . وقد وصف العرب تركيب البارود في أواخر القرن الثالث عشر للميلاد بما يشبه تركيبه الآن (عن اللجل الماشر)

الرياضة البدنية عند قدماء المصريين

لا نكاد نجد أمة تمدنت إلا كانت الرياضة البدنية من لوازم عاداتها ومن ألعاب ملوكها وسائر رجالها . فقد كانت شائعة عند كل الأمم التي تمدنت قديماً في العراق وفارس وفينيقية ومصر . والألعاب اليونان والرومان الرياضة أشهر من أن تذكر . وكذلك شأن الدول الحديثة كبرها وصغيرها ، بل ترى أسبقها في ميدان المدنية أكثرها عناية بتلك الألعاب

وقد أنشأنا المقالات الضافية في هذا الموضوع غير مرة وحرصنا المشاركة على الرياضة البدنية لأنهم في حاجة إليها لما فيها من إلهاض الهمم وترويح النفوس مما يساعد الناس على القيام بأعمالهم العقلية والبدنية . وقد جئناهم اليوم بدليل آخر على أهمية هذه الرياضة بأن المصريين القدماء كانوا في إبان مجدهم أكثر الناس عناية بها رجالاً ونساء ، ولولم نجد رسوم تلك الألعاب منقوشة على آثارهم لشككنا فيها لما نراه من الاختلاف بينهم وبين خلفائهم في وادي النيل من هذا القبيل . مع أن الألعاب الرياضية كانت ولا تزال من ألزم لوازم المدنية ، ولذلك فإن الحكومات المتقدمة جعلتها فرضاً من الفروض الواجبة على المدارس . والمدارس تمنح الجوائز للمجدين فيها

والألعاب الرياضية عند المصريين القدماء أنواع منها : الركض والوثب ولعب الكرة بأنواعه والحل والنشل والمصارعة والمسابقة ولعب السيف والحكم . وكان الرجال والنساء سواء في أكثر هذه الألعاب واليك أشهرها :



ش ١ - لعب الكرة عند المصريين القدماء

(لعب الكرة) كان لعب الكرة شائعاً في وادي النيل منذ ثلاثة آلاف عام ومن صروبه أن يرمى اللاعبون بعدة كرات معاً فيرمى أحدهم الكرة الواحدة ثم الثانية فالثالثة ، ثم يتلقاها الواحدة بعد الأخرى وهو يرمى غيرها على التابع مما يتفاخر به مهرة اللاعبين اليوم . وأغرب من ذلك أنهم

يترامون على هذه الصورة وهم ركوب على آخرين كما ترى في الشكل الأول . وقد كان هذا اللعب مباحاً للناس على اختلاف أجناسهم وأعمارهم رجالاً ونساء وأولاداً ، والظاهر أنهم كانوا يمارسون هذه الألعاب في مواعيد معينة ، فيلبسون فيها لباساً خاصاً هو عبارة عن قبة لها ثلاث ذوائب مسترسلة كما ترى في الشكل المذكور . وقد وجدوا في أقباض بعض الهيكل المصرية كرات من جلد مشحوة بالنخالة أو التبن الدقيق قطرهما ثلاثة قرايط كثيرة الشبه بكرات هذه الأيام (الكورة) بشكلها وطريقة صنعها ووجدوا كرات أخرى من الطين المجفف وغيرها من الخيوط أو من القش

(المصارعة) وكانت المصارعة من ألعابهم المألوفة وخصوصاً عند العامة . وقد عثر الباحثون



ش ٢ - المصارعة عند المصريين القدماء

في الآثار على نقوش تمثل أنواعاً عدة من المصارعة عندهم . وأكثر تلك النقوش وجدوها في بنى حسن والشكل الثانى واحد منها . وكانوا قبل مباشرة الصراع يدهنون أجسادهم بالزيت ويخلعون كل ثيابهم إلا نطقاً يظهر انه من الجلد . وبدأ الصراع بأن يتقدم أحد المتصارعين نحو الآخر وقد دلى ذراعيه نحو الأسفل ويحاول كل منهما أن يمسك الآخر في مكان يساعده على غلبه . وكان من الجائز

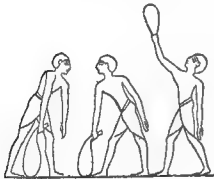


ش ٣ - لعب الحكيم عند المصريين

عندهم القبض على أى عضو من أعضاء البدن سواء كان الرأس أم العنق أم الفخذ . وبعد المجاذبة والمدافعة برهة ينتهى الصراع على الأرض فمن كان فوق رفيقه عدوه غالباً

(لعب الحكيم) هو من ضروب لعب السيف يستبدلون السيف فيه بعضاً ولعب الحكيم شائع في بلاد المشرق . وكان مألوفاً عند المصريين القدماء تلعبه النساء كالرجال تماماً . وفي الشكل الثالث امرأتان تلعبان بالحكم وفي إحدى

يدى الواحدة عصا ويدها الأخرى الترس وفي منظرهما ما يشجعنا على اتباع هذه الرياضة في عائلتنا



ش ٤ - رفع الانتقال عند المصريين القدماء

(رفع الانتقال) وتتمرن العضلات برفع الانتقال من المعدات المألوفة في بلاد المشرق ولكنها كانت شائعة في بلاد النيل قديماً على كيفية تشبه بعض ألعاب الافرنج بهذا الشأن . فقد كانوا يصطنعون أكياساً مستطيلة مملأونها رملاً ويحاولون رفعها بيد واحدة الى فوق الرأس أو يدورون بها حول الوسط أو يحملون بكل يد كيساً أو كيسين ، وكانوا يحملون للظافر جائزة . ناهيك بما كانوا يتعاطونه من ضروب الصيد برأ وبحراً وبألعاب التود

والوثب على قدم واحدة أو قديمين والمسابقة في الركض وغير ذلك مما يدل على حيوية تلك الامة القديمة التي نشأ فيها غرس القدن منذ بضعة آلاف سنة . فما أجدرنا أن نتشبه بأولئك الاسلاف ونعول على الرياضة البدنية فان فيها حياة الامة وصحة افرادها (عن المجلد العاشر)

لفظ الشهر

الشهر لفظ سامي مشترك في كل اللغات السامية ومعناه الاصلى القمر فهو **šer** (سهر) في السريانية و **šmr** (سهر) في العبرانية ولكن العبرانيين استبدلوا هذه اللفظة للدلالة على القمر بلفظ **yrj** (يرج) وبقيت في (سهر) معنى الاستدارة . على ان «يرج» نفسها اصل معناها دار أو طاف حول الارض . وفي العربية «الرواح العشى من الزوال الى الليل» . ومن غريب ما وقع في لفظ الشهر من الابدال وتحول المعاني ان «شهر» في العربية ما تزال تدل على الشهر والحلال واشتق منها معنى الشبهة أى الظهور مثل القمر . ومن هذا القبيل قولهم في أمثالهم : «وهل يخفى القمر» و «شهر» في السريانية «سهر» ، و «سهر» في السريانية الشهر أو القمر كما رأيت ، والمعنى الاصلى ظاهر في كليهما وهو القمر

وبدل ذلك على ان حساب الامم السامية بان في أيام اجتماعهم قرناً وكانوا يطلقون لفظ الشهر على القمر وعلى الشهر ، ثم غلب عليه في العربية معنى الشهر وغلب لفظ القمر للدلالة على «القمر» . والاصل في معنى لفظ «قر» الاستدارة أيضاً لأنها في السريانية تدل على المنطقة ويقابلها في العبرانية «قور» او «قرا» لهذا المعنى ، ولعل «كر» في العربية منحوتة عنها . وأما البياض في معنى «القمر» فنظنه مأخوذاً من القمر ، أى انه صار في لفظ «القمر» معنى البياض لأن القمر ابيض ولم يكن هذا اللفظ يدل على البياض أولاً ثم سمي القمر به لبياضه (عن المجلد العاشر)

لفظ «خديوى»

(رد على سؤال)

«الخديوى» لفظ فارسي اصله «خديو» بلفظ «خديف» على الاصطلاح الفارسي . وبما يحسن ذكره ان هذا اللقب مشتق من اصل تشترك فيه اللغة الفارسية واللغات الجرمانية ويدل على اسم الجلالة فهو في الفارسية «خدا» وفي الانكليزية (God) وفي الالمانية (Gott) وفي الانكلوسكسونية (Gudh) وفي الدانماركية (Gud) وكلها تدل على اسم الجلالة وفيها معنى السيادة والسلطة فاختاروا لفظ «خديو» أو «خديوى» لقباً لاميير مصر تمييزاً له عن سائر ولاة الدولة العثمانية لأن مصر من الولايات الممتازة . وبالقياص على اعمال الدولة الاسلامية تعد مصر من «امارات الاستيلاء» وهي ان يعقد الخليفة لاميير على اقليم اضطراباً بعد ان يستولى الامير على ذلك الاقليم بالقوة . كذلك كانت الدولة الطولونية والدولة الاخشيدية بمصر منذ عشرة قرون . واما صحة التلفظ بهذا الاسم فراجع للعادة (عن المجلد الحادى عشر)

المجاملة من آفات الهيئة الاجتماعية

في القاموس د جماله عاملة بالجليل ولم يصفه الاخوان - بضم الياء وسكون الصاد - بل ماسحه بالجليل أو أحسن عشرته »

والمجاملة إما أن تكون في الحديث فتقتصر على المحادثات والمطارحات ، وإما في المعاملة وتتناول الأشغال في الأخذ والعطاء - فلتنظر في كل منهما على حدة

﴿ المجاملة في المحادثة ﴾ إذا سألت أورياً أو أمريكياً عن رأيه في شأن من الشؤون لا يستنكف من التصريح بما يحظر له ولو كان في قوله ما يسوؤك أو يفضيك . وهي حرية في القول لامشاحة في أنها من الفضائل الناجمة عن التعليم الصحيح . وأما إذا وجهت ذلك السؤال إلى شرفي فقد يدرك منه نحو ما أدرك ذلك ولكنه يستكف من التصريح لك برأيه فجأة فيجعل جوابه لطيفاً يتخلله ما يخفف غضبك من الأعداء وهو ما يعبر عنه بالمجاملة . ولا بأس من المجاملة إذا وقعت عند هذا الحد واقتصرت على لطف المعاملة بل هي تفضل على الحرية الجافة لأن المجاملة قد تكون من قبيل الدهاء في السياسة فينال صاحبها بحسن الأسلوب ما لا يناله بدونه . أما إذا تجاوزت هذا الحد فانها تتقلب إلى الرياء والخديعة وتصير وبالاً على أهلها وسبباً رئيسياً من أسباب انحطاطهم

والمجاملة من الأخلاق الراسخة في طباع الشرقيين ولا نحسبها فطرية فيهم ، بل نظنها من نتائج ما أصابهم من الذل والاستبداد في القرون الأخيرة بعدما دالت دولة الشرق واضطر الشرقيون بحكم الطبيعة أن يستسلموا لأهل الغرب أو يقتدوا بهم . يدلك على ذلك ما كان عليه العرب في جاهليتهم وفي صدر دولتهم بعد الإسلام من حرية القول والعمل ، فقد كان الرجل وهو من أمجاد الناس لا يبالي أن يصرح برأيه ولو كان في تصريحه ما يسوء الأمير أو الخليفة أو السلطان ، وهو دليل الانفة وعزة النفس وصدق اللمحة - وهذه الخلال لا تعيش إلا في ظل العدل والحق والحرية

وفي الحديث المشهور عن الاعرابي مع عمر بن الخطاب وقد قال عمر : « إذا رأيتم في أعوجاجاً فقوموه ، فقال الاعرابي : « لو رأينا فيك أعوجاجاً لقومناه بسيفونا » دليل على ذلك ، إذ لم يجرته على هذا القول إلا اعتقاده بعدل الخليفة .

وأمثال هذه الشواهد كثيرة في كتب العرب مما يدل على أن أخلاق الأمم تختلف باختلاف الأعصر والأحوال . وأن الظلم والاستبداد من أكبر البواعث على رسوخ الرياء في طباع المظلومين فيضيع ذلك فيهم ويسمونه بالمجاملة . وأما المجاملة على ما نراها شائعة بيننا فانها مجلبة للأضرار بل هي سوس ينخر في جسم المعمران فضل الناس وتسيء التعامل فلا يثق الإنسان بصيحة ولا يرتكن إلى رأى . وقد تقود إلى الغرور وخصوصاً في حديثي العهد في مخالطة الناس

ويظهر ذلك الغرور خصوصاً في أبواب الأقلام لانهم اذا كتب أحدهم مقالة أو نظم قصيدة وعرضها على صديق له قبل نشرها أو بعده فاول ما يتبادر إلى ذهن ذلك الصديق إطاراء صديقه الكاتب

أو الناظم فيبذل جهده في اختراع المعاني وتمييز العبارة المؤدية الى مدحه . والكاتب كما لا يخفى معجب ببنات أفكاره فيزيده الاطباب اعجاباً وبحسب نفسه قد فاق الاولين والآخرين علماً وفضلاً . وإذا كان من أهل الغرور جره ذلك الى التناول والادعاء . فيسقط . ومن الضرر الفاحش ألا يسمع الانسان الا المدح في أعماله واقواله ، واكثر الناس تعرضاً لهذا الامر اصحاب الجرائد والمجلات . اذ لاتصدر جريدة او مجلة الا ويتسابق الشعراء الى نظم التقاريط في مدح خطتها وسمو موضوعاتها ويتفننون في سبيل الاطباب في سعة علم صاحبها وغزارة فضله أو صدق لهجته قبل ان يبدو شيء . من ذلك على جريدته أو مجلته

وارباب الصحافة انفسهم يقعون في نفس ذلك الخطأ فاذا ورد عليهم كتاب وكان موضوعه تافهاً فانهم يشعرون بوجود مدحه وخصوصاً اذا جامهم صاحب الكتاب بنفسه وحرصهم على مدح كتابه التماساً لرواجه وقد يكتب اليهم في هذا الشأن يستحثهم ويستنهض همهم لتقريب الكتاب لتنشيطا للدوافع ، والغالب في الصحف أن تجيب الطلب حياء من المؤلف وتنشيطه له وجرياً على عادة المجاملة

« المجاملة في المعاملة » مهما يكن من اضرار المجاملة في المحادثة فانها لاتنظر للبيان ظهور اضرار المجاملة في الاخذ والعطاء لان المعاملات التجارية ونحوها انما تقوم بصدق المعاملة وصراحتها ، فالافرنجى مثلاً اذا سأله قضاء حاجة ولم يكن يستطيع قضاها أو لا يريد ان يقضيها قال لك حالا اني لا استطيع ذلك او لا اريده . وقد يكون ذلك الجواب عنيفاً لديك ولكنه خير من جواب الشرقي « حاضر » او « من عيني » او « على رأسي » وهو يقول ذلك وينوي ألا يفعل . وقد تخاطبه في هذا الشأن مثنى وثلاث ورباع وهو يخلق الاعذار ويمجد الوعد ولا يبالى بما تنفقه في سبيل الانتظار من الوقت وغيره

إذا كفلك صديقك أمراً فاما ان تعده ونفى او ان تصرح له بعدم اقتدارك على القيام بطلبه فترك له سبيلاً للبحث عن مصلحته . ويدخل في هذا الباب الاخلاف في المواعيد وخصوصاً مواعيد المقابلة فقد يعدك بعضهم بالمقابلة في الساعة الفلانية في المكان الفلاني وهو لا ينوي الوفاء او يترك ذلك للتقدير وانما كان وعده حياء منك . ومن الغريب ألا يستحي من اخلافه . وما اقل ذلك على حديث العهد في هذه المعاملة - على انه لا يلبث ان يألفها لكنه لن يستحسنها لما فيها من ضياع الوقت

ومن ضروب المجاملة في المعاملة التي ليس للشرقي خلاص منها تحمل مشقة الزيارة في غير اوانها واکرام الزائر واستطالة زيارته . فالافرنجى اذا زرتة في ساعة له فيها عمل يقضيه لايستكف ان يقول لك بصريح العبارة : « اعذرنى اني لا اقدر أن أقبل زيارتك الآن لانى مشغول » اما الشرقي فلا نظنه يصل الى هذه الحرية الا بعد أجيال طويلة ونظناً آخر ما يستم اقتباسه من عادات الافرنج . على أننا نرى اتخاذ هذه الحرية لازماً في احوال اضطرابية والزائر اذا كان صديقاً لا يرضى بخسارة صديقه او مضايقته . ولكن لابد من لطف الاسلوب في الاعتذار (من المجلد الحادي عشر)

حب الشهرة من دعائم العمران

الشهرة في الحقيقة وهم وطلبها إنما يطلبون وهماً لأنها لاتسد جوعاً ولا تدفع مرضاً ولا تقى برداً أو حر . ولكن يندر في الناس من لا يطلبها وان تفاوتوا في أساليب السعى في طلبها كأنها من جملة حاجات الانسان . على أنه لا يتلبس في الغالب إلا بعد ان يحصل على الكفاف من حاجاته البدنية . فاذا أمن الجوع والبرد والحر وصان نفسه من غوائل الحيوانات المفترسة طلب حسن الاحدثة (الشهرة) ويندر ان يكتفى بما يناله فاذا شبع نفسه منها طلب شهرة تبقى بعد موته يعبرون عنها بالذكر الجليل . وتعليل ذلك في اعتقادنا أن الانسان مفطور على حب السيادة وطول البقاء وكلاهما من ثمار حب الذات لان من أحب نفسه أحب لها الراحة والرفاهية ولا يتأن على زعمه بغير السيادة أو الغلبة لانه اذا ساد أو غلب ضمن لنفسه الحصول على لوازم الحياة وأمن الفقر ، وأحب ان يطول زمن تلك الراحة وهو البقاء . فالانسان يشترك في مطالبه الاولى مع سائر الحيوانات في القاس الطعام والمأوى ، ثم يفرق عنها بحسب الظاهر بطلب السيادة والبقاء . والسيادة في أبسط أحوالها أن يتسلط الانسان على من حوله من الزفاق فيكون له فيهم الكلمة النافذة ، فاذا قال أو فعل اذعنوا له وأطاعوه واذا جاء أو ذهب احترامه وبجلوه . فن لم يستطع السيادة الحقيقية على من حوله اكتفى بالاحترام الذي يبدو له . وهم لا يفعلون ذلك إلا وفي نفوسهم اقرار له بشئ يمتاز به عنهم . فالاحترام عبارة عن الاقرار بسيادة معنوية ، ولما كانت السيادة الحقيقية لا تتأتى الا لفر قليل من الناس اكتفى الاكثرون بالسيادة المعنوية اى الاحترام

فاذا نال الانسان احترام اهله وجيرانه طلب احترام اهل بلده ثم اهل البلاد المجاورة وغيرهم الى ما يبلغ اليه امكانه وهى الشهرة . والناس يتفاوتون في طلبها كتفاوتهم في مطامعهم وامياهم ومواهبهم بين من يكتفى باحترام امرأته واولاده ومن لا يرضى باحترام الناس كافة . فاذا ناله طلب ما وراء ذلك وخصوصاً متى تذكر الموت فانه يرى شهرته ذاهبة ضياعاً ، فاذا كان من اهل التقوى فلا يهجه امر هذه الحياة طالعت او قصرت ، والا فانه يطلب والبقاء بعد الموت فيسعى الى ذلك من سبل تختلف باختلاف اطواره ومطامعه ومواهبه . فبعضهم يكتفى ببقاء ذكره بمن يخلفه من البنين ، والبعض الآخر يبنى المداثر والقصور ، وآخرون يقفون اموالهم لعمل الخير بعدهم ، وغيرهم يبنون الكنائس أو الجوامع أو السبل ونحوها . ولمثل هذا الغرض بنيت الاهرام ونحتت المسلات وأقيمت الانصاب في زمن الفئدن القديم . ومنهم من يستبقي ذكره بعمل جليل من فتح أو بزيان أو تأليف كتاب أو نحو ذلك . فالذين يعملون لبقاء ذكرهم إنما يطلبون البقاء بعد الموت وهذا باطل والذكر ولو بقى لافائدة به لصاحبه لانه قد لا ينفعه في حياته وهو يرى ويتنفس ويسر ويحزن فكيف بعد ان يصير تراباً او يتحول الى نبات ... فالشهرة وان عددناها من ملازمات الاحياء فانها عند اهل الحقيقة من الاوهام الباطلة للاسباب التي قدمناها . على أننا لو نظرنا فيها من حيث الاجتماع البشري واعتبرنا فائدتها بالنظر الى المدنية رأيناها من أقوى دعائم العمران ولو ذهبت لاختل نظام الاجتماع واصبح الناس في خطر عظيم . لان

الناس مترابطون في مصالحهم مشتركون في أعمالهم لا يستغنى بعضهم عن بعض بين رئيس ومردوس واستاذ وتلميذ وتاجر وصانع وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم . ولا بد لحفظ حقوقهم من وازع قوى يرد التقوى عن الضعيف ويردع الظالم عن المظلوم . والوازع العام الحكومة . ولكنها مهما بلغ من تيقظها وعدالتها لاترد من الحقوق الا نقطة من بحر لانها انما تحكم فيما يتصل به عليها من الحوادث التي يعرفها الناس بل هي لا تقطع الا على جزء صغير من تلك الحوادث . فكيف مايبقى في طي الكتان من المنكرات التي يرتكبها البشر ولا رقيب عليهم . فكف في عالم الغيب من سرقات ومظالم وقطائع ارتكبها بعض الناس ولم يعلم بها أحد سواهم وقد يكون مرتكبوها من أهل المناصب الكبرى وذوى المقامات الرفيعة . وكف تحت التراب من أعمال ذهب اصحابها ولا تزال سرا مكتوماً في عالم الخفاء ولن تزال الى الابد

فالحكومة لا تكفى وحدها لانصاف المظلومين وكبح جماح الظالمين ورد التقوى عن الضعيف ومنع الناس عن إتيان المنكرات - فهي الوازع الأصغر الثانى . وأما الوازع الاكبر الرئيسى فهو « الدين » لانه يقاص المجرمين على ما يرتكبونه في الخفاء وان لم تقع عليهم عيون بشرية وعقابه أشد كثيراً من عقاب الحكومة وأطول زمناً بل هو يفرس في نفس الانسان ما يردعه عن المعاصى أو يوجهه على ارتكابها وهو الضمير . فلو لا شيوخ الدين وخصوصاً في الطبقات السفلى من الناس لكانت الحقوق فوضى وأكل التقوى الضعيف بما لا يتصوره العقل ولم يتفق في عصر من العصور

فالدين اذا كان عاماً في طبقات الناس و متمكناً في نفوسهم أغناهم عن الحكومة وكان خير ضامن لحقوقهم وأحسن رادع للتقوى عن الضعيف . ولكن البشر يتفاوتون في مواهبهم ومعارفهم ومعتقداتهم وفيهم المؤمن والمعتل والجاحد . فما الذى يردعهم عن ارتكاب الجرائم السرية التي لا يخافون وصولها الى الحكومة ؟ قد يكون الجواب انهم انما يردعهم عن ذلك آدابهم أو فضائلهم أو شرفهم . ولكن هذه الالفاظ لا معنى لها ان لم يرد بها حسن الاحدثة أو المحافظة على الشبهة . فالمعتلون انما يردعهم عن ارتكاب المنكرات السرية خوف اشتهارها فينلزم صيئتهم وتنشوء شهرتهم فيقل احترام الناس لهم . فكف من بطل خاض غمار الحرب فلم يقلقه اطلاق القنابل ولا خاف مرأف السيوف فلما خشى ان يثلم صيته من انكشاف منكر ارتكبه سراً أعظم الامر ولم يجد له مخرجاً من ذلك الشقاء الا بالاتجار وكف من سيد قادر لا يمتنع من ارتكاب المحرمات وهضم حقوق الناس دين وانما يمتنع خوف الفضيحة وذهاب الشبهة

على ان حب الشبهة لا يقصر على منع المظالم والمنكرات ولكنه كثيراً ما يكون حائماً على الفضائل حتى في المتدينين . فان أكثر المحسنين وأهل البر يهتمون مع الاجر في الآخرة حسن الاحدثة في الدنيا . ناهيك بالذين يحسنون القاماً للشبهة فقط وقلبا يهيمهم أمر الاجر والثواب وهم كثيرون . ولو دقت النظر واعلمت الفكرة لرأيت الجانب الاعظم من اهل الاحسان انما يحسنون في سبيل الصيت الحسن وخصوصاً في هذا العصر فان الناس لا يعملون حسنة إلا وهم ينظرون من ورائها اما الى نفع مادى او الى « نفع أدبى » وهو الشهرة ، حتى الحكام أنفسهم فانهم انما ينصفون الناس عملاً بالواجب

ومفاد هذا الواجب انهم اذا لم يعملوا بالحق اضروا بشهرتهم . فالاسباب الحائلة على الفضيلة (غير الدين) كثيرة ولكنك اذا تدبرتها وحلتها رأيتها ترجع الى حب الشهرة والهاس حسن الاحدوة في أثناء الحياة أو بعد المات . وقد يفعل بعض الناس الخير لانه خير بما تمكن في نفوسهم من حب الفضيلة بالثرية الحسنة او العادة وهم قليلون
(من المجلد الثالث عشر)

هل الانسان شخصان

اذا عرض لك شيء تشبه شعرت في نفسك بجيل الى اخذه وقد لا يكون لك حق في ذلك فتشعر بشيء يذاك عن اخذه فتبقى ساعة وانت تردد بين الرأيين حتى يغلب عليك احدهما . فاذا غلبت الشهوة فأخذت ذلك الشيء شعرت وانت تأخذه انك أطعت قوة فيك وخالفت قوة أخرى . ويمبرون عن هاتين القوتين بالعقل والعواطف . وقد يختلف الخلاف بين هذين العاملين احتداماً شديداً حتى يظهر أثره في صاحبهما فيصاب بالصداع أو بانقباض النفس . ويختلف شعور الناس بهما باختلاف درجات الاحساس فيهم ، على انهما يتعاظان في بعض الناس حتى يتوهمهما ذاتين مستقلتين فيه . ومن هذا القبيل ما ذكرته التواريخ عن بعض المشهورين من عظماء الناس انهم كانوا يسيرون في أعمالهم بمشورة روح يسمعون صوته يمبرون عنه بالهاتف

فبناء على ذلك وأمثاله قام في أذهان بعض علماء النفس ان في الانسان غير قوة أو ذات . ودارت البحوث بينهم في : هل الانسان ذاتية واحدة او ذاتيتان او اكثر - اى هل في الانسان قوة واحدة تدبر شؤونته أو قوتان تتناوبان العمل فيه والتأثير عليه أو تعملان معاً ، وهل له وجدان واحد أو وجدانان ، ولهم في ذلك اقوال عدة اكثرها مبنى على المشاهدة ومسد الى نواويس الطبيعة . وآخر من ألف في هذا الموضوع عالمان أمريكيان من علماء النفس وهما هر فرد ويال ألفا كتاباً كبيراً أظهر فيما مضى وكان له رنة في عالم الادب الانجليزي لما حواه من الحقائق الجديدة والأمثلة الواقعية بما يندر مثاله . ونكتفي في هذا المقام بمثل ما أورده اثبات تعدد الذاتيات في الانسان وهو حكاية قيس انكليزي اسمه القس حنا أصيب بصدمة تغير فيها ادراكه وانقلب شعوره على اسلوب غريب وذلك :

ان القس المذكور اسمه توما كرسن حنا من طائفة البابتس . اصله من عائلة عريقة في الحسب والنسب فضلاً عن تقواه وعقله وفصاحته وانقطاعه الى واجباته في التبشير والوعظ ، ويعرف العبرانية واليونانية واللاتينية والانكليزية والالمانية . ولذلك لم يبلغ الثالثة والعشرين من عمره حتى صار رئيس كنيسة كبيرة . وكان صحيح العقل والجسد لم يظهر في سيرة حياته ما يدل على غير التعقل والثقوى وصفاء الذهن وقاوة السيرة . ففي سنة ١٨٩٧ بلغ السادسة والعشرين من عمره واتفق في مساء ١٥ ابريل من تلك السنة انه كان راكباً في مركبته فاصطدمت بشيء وانقلبت فوق القس حنا على أم رأسه فأصيب بغيوبة جعلوه وقد غاب رشده ولم يبق فيه من دلائل الحياة إلا تنفس ضعيف جداً ، فظنه الاطباء في

حالة النزح لحقنوه تحت الجلد بمجوعة كبيرة من الستركنين ففتح القس عليه ونهض بثنة وهجم على أحد الاطباء يريد اغتياله . فخافوا منه وتعاونوا عليه فلم يستطيعوا رده وقد أصبحت قوته اضعاف ما كانت عليه من قبل فكاتفنوا حتى غلبوه وشدوه بالجلال الى السرير فلما ذهبت نوبة الهياج حلوا وثاقه وكأنما كان نائماً وأفاق فقلقت ميمناً وشيلاً ولم يتكلم ولا ظهر في ملامح وجهه انه يريد التكلم ولا انه يفهم الكلام . ثم علوا ان « حنا » بعد الوقعة غير حنا قبلها وكأنه ولد ولادة جديدة وقد ذهب عنه واختاره وعقله وأضاع آدابه وتهذيبه وعاد الى حال الطفولة يشعر ولكنه لا يفهم ولا يتكلم ولا يميز الأبعاد أو الأوزان ولا يستطيع الازدرد ولا يعرف كيف يحرك اعضاءه . ونسى سابق حياته نسياناً تاماً ، على انه كان يمتاز عن الاطفال باقتداره على التقليد بسرعة فاذا علوه حركة كما يعلمونها الاطفال كان اسبق منهم الى فهمها . وكان أول وهلة يوهم الاطباء وسائر ما في غرفته صورة لا جسم لها . ثم جعل يميز تجسمهم وحركاتهم وصار يسمع اصواتهم ويقلدها ، فأصبح في اليوم الثالث قادراً على التلفظ ببعضها . وأول كلمة تعلم نطقها « ففاحة » ثم لفظ « الساعة » وعلوه الضائر البسيطة وكانوا يندونه بالسوائل لانه لا يحسن المخض ثم تعلمه كما يتعلم الطفل وكان الازدرد من اصعب الامور عليه . وقد موله المرأة فلما رأى وجهه فيها قلبها لاذ توه انه يرى رجلاً وراءها كما يتبادر الى اذهان الاطفال في مثل تلك الحال وخلاصة القول انه تدرج من حال الطفولة الى الحداثة الى البلوغ كما يتدرج الاولاد بالفهم والطق والاختبار ولكن بسرعة عظيمة . فلم يمض عليه أسبوع حتى تعلم القراءة وكل شئ . فيها جديد عنده ولم يستطع لفظاً لم يعلمه إياه ولم يكن يعرف شيئاً عن الدين أو المسيح أو الله . وفي ١٥ مايو أى بعد مضي شهر من وقوعه تعلم الكتابة وقواعد اللغة ولم يعد يغلط في الاملا أو الاعراب ونضجت فيه قوة الحكم - قضى في ذلك ستة أسابيع تحول فيها من الطفولة الى الشباب وهو في كل حال شخص آخر غير ما كان عليه قبل وقوعه من المركبة وان تشابهت قواه ومداركه في الحالين . فحنا الثاني غير حنا الاول وكانتهما شخصان لا يعرف احدهما الآخر

ثم بدأ التعارف بين دينك الشخصين في المنام فأخذ حنا الثاني يرى حنا الاول في الحلم ولما قص رؤياه على آبيه ادرك للحال انه يحلم بطفولته الاولى لانه رأى في منامه الاشباح التي كان حنا الاول رآها في صباه . ثم تدرج في ذلك فأخذ ماضيه ينجلي له رويداً رويداً ، ولم يكن حنا الثاني يعرف العبرانية فقرأ عليه بعضهم فصلا من سفر التكوين فتذكر انه يعرف ذلك من قبل وقرأ ما بعده . وكان اذا سئل عن شعوره يقول انه يشعر بشخص آخر يتكلم فيه فيخاف

ثم رجعت اليه صحته وشفى تماماً وهو ما يزال شخصاً آخر لحملوه الى نيويورك لتبديل الهواء لعله يسترجع رشده . فأخذوه الى ناد عام مضاء بالكهربائية تعرف فيه الموسيقى وقد علت ضوضاء الناس وكثرت جليتهم وأبقوه في وسط الضوضاء ثلاث ساعات ثم اخذوه الى فراشه فنام وأفاق بعد ثلاث ساعات آخر وسأل أخاه « أين أنا ؟ » بخاطبه بلسان حنا الاول . فاخبره انه في نيويورك فاستغرب وجوده هناك ولم يفهم كيف انتقل الى تلك المدينة لانه لا يذكر شيئاً مما أصابه بعد وقوعه . وسئل عن اليوم الذي هو فيه فقال انه ١٥ أبريل والحقيقة انه ٨ يونيو . ولما أخبروه انه كان مريضاً فظنهم يمازحونه .

وكان في الليل الماضي قد دخن تبناً وهو لم يعود التدخين من قبل فلما رجع الى حاله الاول في ذلك الصباح استغرب طعم التبغ فيه - قضى في تلك الحال نحو اربعين دقيقة ثم عاد الى رقادته وأفاق في الصباح وهو حنا الثاني بطباعه الجديدة وأخلاقه الجديدة وبما اكتسبه من المعارف في عمره الجديد ، فأخذ أطباؤه يسعون في إرجاع الرجل الى رشده الاول وفي جملة وسائلهم انهم سقوه القنب الهندي (الحشيش) فنام طول ليله ولما أفاق اذا هو حنا الاول ثم عاد فنام وأفاق فرجع الى حنا الثاني تردد في ذلك أياماً والأطباء يخبرونه بما كان منه في كل مرة لعلهم يسترجعون رشده وبعد تعب شديد اختلط الشخصان وعاد القس حنا الى ما كان عليه في حاله الاول

نقول : وقد اتفق مثل هذه الحادثة على يد صديقنا الدكتور شميل في القاهرة سنة ١٨٨٧ رأيناها رأى العين وقد شرحها في السنة الثانية من الشفاء . وذلك ان رجلاً من اهل القاهرة عصبي المزاج نحيف البدن سنه ٣٧ سنة أصابه وهو في العشرين من عمره نوب تشنجية لازمته بضعة اشهر ثم زالت وعادت اليه بعد سبع سنين على اثر حزنه على وفاة أبيه ولم يطل مكثها فزالت بعد ثمانية ايام وكان قد تزوج منذ بضع عشرة سنة وولد له أولاد كثيرون لم يعش منهم إلا بنت وتوفي الباقرن بالتشنج . وكان الرجل المذكور حسن العشرة لطيف الخلق متكلاً فصيحاً يعرف العربية والفرنسية جيداً وبعض الايطالية والفرنسية والتركية مع ثبات في مشروعاته الى حد العناد . ففرض له قبل الحادثة بخمس سنوات دعوى مالية مهمة يتوقف عليها مستقبل حياته . وبعد التعب في المحاكمات ونحوها خمس سنين خسرها نهائياً في اول يونيو سنة ١٨٨٧ فاصابه في ذلك اليوم ذهول وانقطع عن الكلام . وكان يومئذ في الاسكندرية فسافر به بعض أصدقائه الى القاهرة وعهدوا بمعالجته الى الدكتور شميل فاهتم بشأنه لغربة الحادثة فبقى الرجل ١٥ يوماً لم يتناول فيها غير الماء والقهوة مع تدخين التبغ - قضى هذه المدة في اختلاط الذهن ولم يكن يستيقظ إلا اذا صبرا الماء على رأسه فنتبه قليلاً ثم يرجع الى حاله ، ورضي أخيراً ان يتناول شيئاً من اللبن . ثم أصابه الرعاف بكثرة ولازمه عدة ايام ولكنه لم يؤثر كثيراً في صحته . وكان في كل مدة اختلاطه يتصور نفسه في اليوم الذي أصيب فيه وفي المكان الذي كان فيه يوم الاصابة فالיום يوم الاربعاء اول يونيو والمكان اللوكاندة التي كان نازلاً فيها بالاسكندرية . وكان وهو في اختلاطه في أطوار وأخلاق غير التي كان عليها في حال صحوه . فهو من طبعه لا يدخن التبغ فكان اذا اختلط دخنه فاذا صحا من اختلاطه استغرب رائحة التبغ في غرفته ونفر منها وطلب الى اهل المنزل ان يفتحوا النوافذ لتلطيفها من تلك الرائحة . وتقلب على الرجل احوال شتى كلها غرائب وكثيراً ما كان يكشف اموراً حدثت في مكان بعيد وهو في فراشه مما يطول شرحه . وقد تبناً يوماً شفاته فقال انه سيكون في يوم كذا وتمت نبوءته . وجملة القول ان بين هاتين الحادثتين مشابة من أكثر الوجوه إلا ان هذا لم ينس عليه ولا عاد الى الطفولة

فيمثل هذه الحوادث يستدل بعض علماء النفس على ان الانسان شخصان او اكثر . والموضوع ما يزال في حاجة الى التمهيد والتحصيل والتعديل (من المجلد الثالث عشر)

رباطة الجأش عند الموت

أنفة عربية وشجاعة بدوية

روى أن هذبة بن حشرم العذري قتل زيادة بن زيد العذري في خلافة معاوية بن أبي سفيان فلما حلوه إلى معاوية تقدم عبد الرحمن آخر زيادة المقتول فادعى عليه فقال معاوية لهذبة : « ما تقول ؟ » قال : « أحب أن يكون الجواب شراً أم ثراً ؟ » قال : « بل شراً فإنه أمتع » فقال هذبة :

رمينا فرامينا فصادف سبهنا منية نفس في كتاب وفي قدر
وأنت أمير المؤمنين فما لنا وراك من معدى ولا عنك من قصر
فإن تلك في أموالنا لا تنطق بها ذراعاً وإن صبراً فصبر للصبر

فقال له معاوية : « أراك قد أفررت يا هذبة » قال : « هو ذاك » فقال له عبد الرحمن : « افدني » فكره ذلك معاوية وضمن بهذبة على القتل . وكان ابن زيادة صغيراً فقال معاوية : « وما عليك أن تشفى صدرك وتحرم غيرك » . ثم وجه به إلى المدينة فقال : « يحبس إلى أن يبلغ ابن زيادة » فبلغ وإلى المدينة سعيد بن العاص . ويقال أنه عرض على ابن زيادة عشر ديات فأبى إلا القود ، فلما خرج به ليقاد جعل ينشد الاشعار وأمرأته تولول خلفاً ، ومن قوله :

وأست بمفراح إذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أبنتى للشر والشر تاركنى ولكن متى أحمل على الشر أركب
وحربى مولاي حتى خشيتيه متى ما يحربك ابن عمك تحرب

ثم نظر إلى امرأته فدخلته غيرة وقد كان جدع أنفه في حربهم فقال :

فإن يك أنفى بان منه جماله فما حسبي في الصالحين بأجدعنا
فلا تنسكني إن فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأزعا

فقال : « قفرا عنه ساعة » ثم مضت ورجعت وقد اصطلبت أنفها وقالت : « أهدأ فعل من له في الرجال حاجة ؟ » فقال : « الآن طاب الموت » ثم أقبل على أبويه فقال :

إبلياني اليوم صبراً منكما إن حزناً منكما اليوم لشر
ما نظن الموت إلا هيناً إن بعد الموت دار المستقر

ثم قال : - أذا العرش اتى عامد بك مؤمن مقر يزلاني إليك فقير
وإني وإن قالوا أمير مملوك وحجاب أبواب لمن صرير
لأعلم أن الأمر أمرك أن تدن فرب وإن تغفر فانت غفور

ثم أقبل على ابن زيادة فقال : « أثبت قدميك وأجد الضربة فاني أبتملك صغيراً وأرملت أمك شابة » . ويرى بعض أهل الاخبار انه قال : « ما اجزع من الموت وآية ذلك اني أضرب برجلي بعد القتل ثلاثاً » ، وهو باطل موضوع ولكنه سأل فك قيوده فحككت فقال :

فان تقتلوني في الحديد فاني قتلت أخاكم مطلقاً لم يقيد

(عن المجلد الرابع عشر)

أقدم مدن العالم

هي مدينة « بسما » اكتشفها في أنقاض بابل الدكتور بانكس وكان قد استأذن الدولة العلية سنة ١٩٠٠ في التنقيب عن آثار مدينة « أور » التي خرج منها ابراهيم الخليل فلم يؤذن له وأراد ان يستأذن لمكان آخر فنع . وتمسك سنة ١٩٠٣ من الحصول على الارادة السنية للبحث عن بسما . ولاق مشقات كثيرة في أثناء العمل لقلة المياه للفعلة . ووصل أخيراً الى خرائب مساحتها ميل في نصف ميل ولا يزيد علو انقاضها على اربعين قدماً . وعثر على قرميدات بعضها منقوش سنة ٢٧٥٠ قبل الميلاد ، واكتشف أخيراً مصطبة مبنية من القرميد المحذب وكان البابليون يستخدمونه في البناء نحو سنة ٥٠٠ قبل الميلاد ولم يعثر على أقدم من ذلك . فآثار هذه المدينة تختلف قدماً بين سنة ٢٧٥٠ و ٥٠٠ قبل الميلاد . ووجد بين الأنقاض تماثيل من الرخام في جملتها رأس من الآلا باستر ، وجهه مستطيل نحيف أنفه سمي وعيناه مجوفتان فيها مقلتان من عاج قد ألصقتا بالقار وذهب انسانهما . ولم يسبق لعلماء الآثار انهم عثروا على مثل هذا الرأس ، وهو أول رأس سمي كشف في آثار بابل ، وتاريخه ٣٨٠٠ قبل الميلاد . ثم اكتشف الدكتور بانكس تماثلاً كاملاً تاريخه على ما يظن سنة ٥٠٠ قبل الميلاد ويستدل من قراءة ما عليه من النقوش ان التذن البالي كان يومئذ في إبانة . وكان هذا التمثال خاتمة النقب لأن الفعلة اختصموا وكفوا عن العمل . وبما تحققوه باكتشاف هذه المدينة ان البابليين كانوا يحرقون جثث موتاهم وكان العلماء قبل يقولون ذلك على سبيل الظن فوجد الدكتور بانكس في بسما المكان الذي كانوا يحرقونها فيه

(من المجلد السادس عشر)

حرية القول عنوان ارتقاء الامة

الحرية ثلاث درجات : حرية الفكر ، وحرية القول ، وحرية العمل . حرية الفكر هي أن نطلق الحرية للفكر ليتصرف في المسائل التي تعرض عليه ويحكم فيها على مقتضى نواحي العقل . وقد يستغرب القارئ . هذا التعريف لا اعتقاده أن ذلك هو الواقع وأن كل إنسان ينظر في الأمور على هذه الكيفية فهو حر الفكر . والحقيقة أن أحرار الفكر قليلون ولا سيما بين أهل التقاليد والتعصب . إذ لا يخلو الإنسان من عوامل أثرت في فكره من الصغر أو رسخت فيه بالمزاولة حتى صارت جزءاً من وجدانه كأنها أظلال ذات ألوان تضيئ العقل فلا ينظر في القضايا المعروضة عليه إلا من خلال تلك الأظلال فتلون أفكاره بها . وقد يغلب عليه اعتقاد يسبق إلى ذهنه صدقه فيجعله قاعدة يقيس عليها ما يعرض له ولا تصدر عليه أحكامه إلا إذا وافقت ذلك الاعتقاد . ولا يتنبه الناس إلى قيود الفكر إلا إذا امنعوا النظر في أسرارهم وخاطبوا وجدانهم بعد تجريده من العوامل الراسخة أو الاعتقادات الغالبة

وحرية الفكر أول خطوة في سبيل الرقي الاجتماعي بل هي أساس ذلك الرقي . ولكن حرية القول أعظم أهمية منها بالنظر إلى سير ذلك الرقي ونموه لأن الإنسان إذا أخطأ في فكره انحصر ضرر ذلك الخطأ في نفسه فلا خوف على الامة منه . أما حرية القول فهي عنوان ارتقاء الامة وأصحابها هم خدمة المصلحة العامة . ويراد بحرية القول أن يقول الإنسان ما تدله عليه حرية الفكر أي أن يصرح بما يعتقد به بلا تدجيل أو مدحاجة أو تمويه فلا يقول شيئاً وهو يعتقد خلافه . وتظهر حرية القول بمظاهر تختلف باختلاف الأحوال . ففي الممالك الشخصية بين الناس يعبر عنها بالصدق ، وفي معرض الإرشاد أو التنبيه يقال لها صدق اللهجة أو الصراحة في القول ، وفي سبيل الانتقاد أو الاعتراض تسمى الشجاعة الادية . ومهما اختلفت أسماؤها وألقابها فانها ترجع إلى تحديد بسيط هو أن يقول الإنسان ما يعتقد ، وأرق طبقاتها جميعاً الاعتراف بالخطأ والاقترار بالمعجز ، أي أن يقول الإنسان ما يعتقد ولو كان على نفسه . وعندنا أن الإنسان لا يزال غطاً حتى يستسلم الاعتراف بالخطأ فيصير مصيباً . ولا يزال ضعيفاً حتى يعترف بالمعجز فيصير قوياً - لأن الاعتراف بالخطأ صواب والاقترار بالمعجز قوة ...

ومن نتائج المدحاجة كثرة الألقاب ونوعت التفتيح . وقد شاع ذلك حتى بين العامة في مخاطباتهم فيبعد أن كان الخلفاء يخاطبون الناس بمراسلاتهم بقولهم : « من عبد الله فلان (الخليفة) إلى فلان ، أصبحوا يقولون : « يا سلطان السلاطين وملك الملوك الفاتح الغازي ، الخ وبعد أن كان الناس يخاطبون الخليفة بقولهم : « يا أمير المؤمنين فلان ، لقبوه بظل الله على الأرض ونور العالمين و ... الخ وإذا نظرت إلى الأمم الرافقة اليوم رأيتها تقرب من الارتقاء بقدر تعويلها على حرية القول أي أن أكثرها خرية أرقاها منزلة وأقوالها شوكية . هذه أمة الإنكليز وليس من ينكر منزلتها في السياسة والثروة والحاجه فإن أهلها أكثر الأمم صراحة في أقوالهم . وقد يبالغون في تلك الصراحة حتى تظهر منهم أحياناً مظاهر التضاؤل والظلمة كأنه كره أحدهم لصديقه أو رفيقه عليه في وجهه بما يغدو الشريكون خشونة ويعدلون عنه إلى الخليفة أو لسكرتهم فيقولون في منزلتها ويظهر قنونها إلى المدحاجة والرياء حتى

أصبح احدا يستجل عليه ان يغرف حقيقة منزلته بين اقرانه . ومن كان سريع التصديق صغير النفس أخذته الغرور وقضى أيامه وهو يعتقد نفسه في منزلة هو بالحقيقة أحط منها كثيراً ولو أُنِبح له أن يسمع اقوالهم في غيابه لرأى فرقاً بعيداً

ولا يخفى ما في ذلك من الضرر لأن الانسان اذا عرف خطأه اجتهد في اصلاحه واذا فهم عجزه وقب عند حده . فالمدحاجة تقف في سبيل تقدمه وتقضى على مستقبله - انه ضرر بليغ ولكنه لا يذكر بالقياس على الضرر الذي يعود على الجماعات اذا غرر بهم الخطباء أو المعلنون . وأبلغ من كليهما الضرر الذي ينجم عن مدحاجة الصحافة لأن اصحابها قادة الافكار وهي عنوان آداب الامة ، اذا قال الخطيب قولاً يسمعه مائة أو مئات مرة واحدة فقط ، اما الصحيفة فيقرأها الآلاف وقد يراجعونها مراراً ويتناقضونها في الاعقاب . ان مهمة الصحافة في خدمة الامة اعظم كثيراً مما يتبادر الى أذهان الناس . فهل هي تقوم بما عليها في مصر ؟

ان الصحافة العربية بمصر ارتقت في أوائل هذا القرن ارتقاءً بيناً فالتسعت موضوعاتها وتعددت صفحاتها وصارت تبذل الاموال في استخدام مرة الكتاب والمكاتبين وفي الحصول على الرسائل التلغرافية واستطلاع الاخبار الهامة ، وهي تكتب المقالات الضافية في الاحوال الداخلية والخارجية وقد ارتفع صوتها وقوى نفوذها - فلو كانت مع ذلك كله حرة القول لى أو كانت تقول للناس ما تقتضيه نهضت بالامة نهوضاً حسناً - لا تتم الصحف كلها بهذا القصور على السواء وان كانت تشتبك في المجاملة والمجاملة لأبأس منها أحياناً ولكنها لا تخرج عن كونها تخالف حرية القول ولا فاصل بينها وبين المدحاجة . والصحافة منبر يعلوه الخطيب والمعلم والناسخ والمنظلم يعظون ويخطبون وينقمون ويتظلمون يسمعون المئات والآلاف فيتوقف على نشر اقوالهم العمران أو الخراب . فأرباب الصحافة مسؤولون عن ارشاد الامة الى ما فيه خيرها جهد طاقتهم . وقد نفتقر لهم خطأ يقعون فيه عن تسرع أو جهل لان العصمة لله وحده ولكنهم مسؤولون عما يفهمونه ويقولون فيه غير ما يعتقدون مراعاة لمصلحة أو اكراما لحاظن . ان الامة التي بلغت مثلاً بلغت الى مصر في العهد الاخير من الرقي الاقتصادي والسياسي حتى كأنها جزء من أوروبا وقام اهلها يمثلون بأمم تلك القارة - ان الامة التي هذا شأنها لا تزال في خطر التقهقر أو السقوط حتى تتعود بمحافتها حرية القول فتصدق قراءها النصيحة وترشددهم الى الصواب وتكون قدوة لهم في صدق اللجة والشجاعة الادبية . وقد يتندر بعض أرباب الاعلام بأنهم يكتبون في صحفهم ما يروج لدى قرائهم ولو كتبوا الحق لكسدت بضاعتهم وعادت عليهم بالخسارة . وهو عذر ضعيف لان الصحافة غير التجارة أو الحياكة أو الخياطة لا ينبغي أن تكون رهن ارادة الزبائن ، في شكل ما يطلبونه من الادوات أو الاثواب - حتى التجار أو الحائك اذا رأى زبونه على ضلال ارشده الى الصواب وبين له خطأه في طلبه بما له من الاختيار في صناعته . فكيف بالصحافة وهي مدرسة تعليم وارشاد واصحابها أساتذة الامة وقادة افكارها ؟ فاذا كان القراء في ضلال فعلى الصحافي ارشادهم ولو أغضبهم ، فلا يلبثون ان يعرفوا الصواب فيشكروه . وقد لا يغضبهم اذا احسن الاسلوب في تقديمهم (من المجلد السابع عشر)

هل السوريون عرب أو ما هم

السوريون قبل الاسلام

ان السوريين ويراد بهم غالباً اهل الشام والعراق وما بين النهرين وفلسطين يصعب تعيين أصولهم لكثرة ما توالى عليهم من الدول قديماً وحديثاً . فقد كانت هذه البلاد في أقدم أزمنة التاريخ مأهولة بشعوب سامية تتقارب نسباً ولغة . اما قبل نزول الساميين فكانت مقاماً لأمم لا يعرف أصلها . وكان الساميون أقوى منهم فغلبوهم واستقروا فيها وأخذ أولئك بالانقراض قبل الميلاد بعدة قرون . وهاك ترتيب مساكن الساميين هناك من الشمال الى الجنوب : الآراميون (السريان والكلدان) الفيلينيون والعبرانيون فالأنباط . وخالطتهم أمم شتى غير سامية أقامت بين أظهرهم في بقاع مختلفة من بلادهم غير بقايا الشعوب الاصلية بما يطول بيانه ، ولكن الساميين تغلبوا عليهم جميعاً وعاشت أديانهم وأدابهم وعاداتهم

على ان مركز هذه البلاد الجغرافي جعلها عرضة لمطامع الفاتحين من الامم القديمة كالخيشين والمصريين والاشوريين والفرس ، فكانوا يتناوبون فتحها او اكتساحها وتقاطر شعوبهم اليها . ولكن الامر لم يستقم لدولة من الدول في سوريا كما استقام لليونانيين خلفاء الاسكندر . فان هذا القائد العظيم فتح هذه البلاد في القرن الرابع قبل الميلاد وأوغل فيها ثم صيرها خلفاؤه يونانية وتوافد اليها اليونان وأقاموا فيها واختلطوا بأهلها ولا سيما بعد ظهور النصرانية . وقد دخلت في سلطة الرومان ولكن العنصر اليوناني ما زال متغلباً عليها وأكثر تغلبه على سواحل بحر الروم ، ويضعف شأنه في الداخل تدريجاً ومع ذلك الاختلاط ظلت الشعوب السامية محافظة على آدابها وعاداتها ولغاتها ولا سيما اليهود فانهم مع ما أصابهم من الاضطهاد والسبي ظلوا من حيث الآداب والدين نحو ما كانوا عليه في أيام داود وسليمان ، إلا ما أصاب لغتهم من التغيير في أثناء السبي يبابل فانها اختلطت بالسريانية والكلدانية وعرفت باللغة الآرامية أو الكلدانية ، وبها كتبوا التلويذ وانقسموا الى اليهود والساميين . أما من بقي من الشعوب السامية - ولا سيما الآراميين - فتنصروا وانفردوا بأديانهم وعاداتهم واكثرهم كانوا يقيمون في العراق وما بين النهرين وأعلى سوريا الى فلسطين

فكانت حدود الشام الغربية على سواحل بحر الروم يغلب فيها العنصر اليوناني . وحدودها الشرقية بما يلي البادية يغلب فيها العنصر العربي . وكان هناك من أوائل القرن الرابع قبل الميلاد أمة عربية عرفت بالأنباط او النبط كان مقامهم وراء فلسطين شرقاً جنوبياً على أنقاض الادوميين وهي دولة بطرا التي فصلنا أخبارها في كتابنا ه العرب قبل الاسلام ، فانهم اختلطوا بأهل الشام وفلسطين أجيالا متواليه . ولما ضعف شأنهم ظهر مكانهم على حدود الشام والعراق أجيال جديدة من العرب اتخذهم الفرس حلفاء يردون غارات اخوانهم اهل البادية أو ينصرونهم في الحروب التي كانت تنشب بين الدولتين قبيل الاسلام . فأقام حلفاء الروم في جهات حوران وهم الغساسنة ، وأقام حلفاء الفرس على

شاطىء الفرات في الحيرة وغم المناذرة ، فاذا انتشبت الحرب بين الروم والفرس تجند الفسائنة للروم والمناذرة للفرس ودافع كل منهما عن أصحابه . ولحق هذا السبب أقام العرب على الحدود بين الفرس والروم فيما بين النهرين والعراق وفيهم بطون من اباد وريعة فسكان الشام والعراق عند ظهور الاسلام كان معظمهم من بقايا الآراميين الاصليين في الشمال والشرق ، واليهود والسامريين في الجنوب وبقايا الانباط في الجنوب الشرقي يليهم العرب الفسائنة والمناذرة ثم قبائل اباد وريعة بين النهرين . ويتخلل هذا المجموع شتات من أمم أخرى كالجرادة في جبل اللكام والجرامقة في الموصل وأخلاط من مولدى اليونان والرومان على الشواطىء ومولدى الفرس والاكراذ في الشمال

السوريون بعد الاسلام

ولما رسخت قدم العرب في الشام والعراق اختلطوا بأهلها وأقاموا في مدائنهم ثم نزح اليها غيرهم طلباً للرزق ونزلوا الارياض . ولما قامت الدولة العباسية وعظم شأن الفرس وتولوا الاعمال في المملكة نزح جماعة منهم الى الشام والعراق . ثم تكاثرت الجند التركية في الدولة فكثرت تقاطر الاتراك وأقاموا فيها . وكانت الدولة تستعين في حربها برجال من الاكراد والديلم والارمن . وتزايد الاكراد على الخصوص في عهد الدولة الايوبية ، ثم تكاثرت الاتراك والجرمكس في عهد الدولة الساجقية والنورية والسلطين المماليك . فلما تسلطت الدولة العثمانية أضيف اليهم جماعة من الانكشارية وهم أخلاط من أمم شتى وجماعة الارناؤوط وغيرهم - ناهيك بتقاطر الافرنج الى سوريا في أثناء الحروب الصليبية وما بعدها وفيهم الفرنسي والانكليزي والاماني والايطالي ، وقد اجتاحتها الثغور والأراضي المقدسة وأقاموا رداً من الزمن في مملكة معززة الاركان بمن كان يأتيها من نصارى الافرنج ، وقد بقى منهم جماعة توطنوا وتناسلوا وكانت المهاجرة متواصلة الى سوريا من جيرانها سكان شواطىء البحر المتوسط من الغرب وسكان البادية من الشرق ولا سيما اليونان وعرب حوران فان مهاجرتهم اليها لم تنقطع حتى الآن . وفي سوريا كثير من العائلات المسيحية ترجع بأنسابها الى احدى هاتين الامتين (عن المجلد السابع عشر)

أقصى أمانى الانسان في الحياة الدنيا

ما هي مطالب الانسان أو أمانيه

مطالب الانسان في هذه الحياة كثيرة ترجع الى التمتع بالمذات وهى اما مادية أو معنوية . فالمذات المادية تشتمل على ما يتطلبه البدن من الشهوات المحسوسة أو تقتضيه الطبيعة من ضروريات الحياة كالطعام والنزاهة وغيرهما . وهى محدودة أى ان طالبها مهما يكن من شرهه أو نهمه لا بد من وصوله

إلى حد يقف عنده . فلجامع وان كان بطيئاً لابد من وصوله إلى حد يشبع عنده وإذا تجاوزته أضر نفسه وهدم جسمه وكذلك المطشان وغيرهما

أما المذات المعنوية فلا حد لها لان النفس لا تشبع منها وكلما زادت منها زادت تطلباً لها . وهي كثيرة ترجع الى حب التفوق على الاقران بالقوة البدنية أو العقلية أو الادبية ، أى الامتياز على الآخرين بشئ . يتحدث به الانسان عن نفسه وهو التفاخر ، أو يتحدث به الناس عنه وهو حسن الاحدثة ، التي تنتهى بالشهرة

والشهرة مرجع المذات المعنوية يتطلبها كبار النفوس ورجال المطامع . وان كانت في الحقيقة وهماً وطلاها يطلبون ، وهماً لانها لا تسد جوعاً ولا تدفع مرضاً ولا تقى من برد أو حر . ولكن النفس ترتاح اليها وتلد بها ويندر في الناس من لا يشتهيها وإن تفاوتوا في أساليب السعي في سبيلها . وهم يطلبونها كأنها من جملة حاجات الحياة

وحب التفوق على الآخرين أو الشهرة يطلب من طرق مختلفة وعلى أساليب شتى تختلف باختلاف الطلاب وتفاوت قواهم ومشاربهم وأمياهم . فتنهم طلاب الشهرة بالعلم أو طلأها بالثروة أو بالسياسة أو الاحسان أو الجاه أو الشجاعة أو القوة أو غير ذلك . والحقيقة أن نفس الانسان تشتت في الشهرة بكل هذه الفضائل معاً لكنه يعجز عنها كلها أو بعضها تبعاً لمواهبه وأمياله فيوجه قواه الى واحدة منها يرى في نفسه استعداداً لنيلها

فطالب الانسان كثيرة وأمانيه تشمل كثيراً من المذات المادية والمعنوية لان كل انسان يطلب الطعام والشراب وغيرها من ملاذ الجسد وهو أيضاً يتنى لنفسه الملائد المعنوية من حسن الاحدثة أو الشهرة فيريد أن يكون ممتازاً بالقوة البدنية والعقلية وان ينال الشهرة بالعلم والادب والسياسة وان يتسع جاهه ويتحدث الناس بثروته وان يقيموا له التماثيل على احسانه ومبراته

كل انسان يميل إلى احرار كل هذه المذات لكن ميله اليها يختلف باختلاف مزاجه وباختلاف قدرته على الظهور بهذه الفضيلة أو تلك . فقد يميل أحدهم في شبابه الى الشهرة بالشجاعة ثم يعلم بالاختبار ان الاحوال لا تساعده على الظهور بها فيتحول إلى طلب الشهرة بالعلم أو السياسة . وقد يطلب الشهرة بالقلم ثم يرى المشقة التي يقاسمها أرباب الاقلام فيعدل عنها إلى سواها . وهو في كل حال يطلب سائر المذات ولكنه يختص واحدة منها بالاهتمام ويجعل أقصى أمانيه في حياته أن يصل اليها . فبعضهم يجعل أقصى مطالبه التمتع بملاذ الجسد وهو مع ذلك يريد أن يكون شهيراً محبوباً . وآخر يطلب الشهرة بالعلم مثلاً لكنه يطلب أن يتمتع بالطعام والشراب وان يكون صاحب جاه أو ثروة . وقس على ذلك سائر المطالب وطلأها

قل من جد في أمر يحاوله . .

ويقال بالاجمال ان الانسان إذا وجه فكره الى مطلب جعله أقصى أمانيه من دنياه وكان فيه ذكاء وثبات فانه نائله لا محالة . وهذه حقيقة اجتماعية تؤيدها المشاهدة . فمن كان أقصى أمانيه جمع المال مثلاً

فلا بد من نيله عاجلاً أو آجلاً لانه يصرف قواه الى وجهة واحدة يجعلها همه ومرجع سعيه وينفضي عن سائر المطالب فلا يهيمه طلب العلم أو طلب المجد أو التمتع بالملاذ الجسدية . وهذه كلها تقتضي الاتفاق وهو لا يلتذ بغير الاقتصاد . فاذا اشتئت نفسه طعاماً لذيذاً ورأى الحصول عليه يقتضي اتفاقاً كثيراً عدل عنه وتكون لذته في استبقاء ثمن ذلك الطعام في جيبه أكثر كثيراً من تلذذه بتناوله فلا يمضي زمن حتى يرى نفسه من الأغنياء . وكلما زاد غنى زاد شحاً ولكنه يكون قد نال أقصى أمانيه وقس على ذلك من كان أقصى مطالبه أن ينال الرتب أو الأوسمة فهذا يجعل مدار سعيه نحوها فيتقرب من أصحابها بكل ما لديه من الأسباب ، إما بالمال أو بالعلم أو بالتزلف أو التلق ولا ينفك حتى ينال منها ما يكفيه

واعتبر ذلك في الذين يطلبون المناصب السياسية أو الادارية فاذا صرفوا ذكاهم وسعيهم نحو تلك الجهة فانهم يصلون الى غايتهم . وهكذا في سائر المطالب ، فان الانسان إذا وجه عنايته وقواه الى مطلب واحد منها وبذل سائرهما في سبيل نيله فانه نائله ولذلك قالوا :

وقل من جد في أمر يحاوله واستعمل الصبر الا فاز بالظفر

فالانسان لابد له من مطلب رئيسي يوجه اليه اهتمامه ويقف عليه سعيه . وعلى هذا المطلب الرئيسي تتوقف منزلته عند أهله أو معاصريه لأن علاقته بهم تختلف باختلاف ذلك المطلب . فمن كان أقصى أمانيه ان يتمتع بملاذات الجسد لا تكون منزلته عند الناس مثل منزلة من كانت غايته القصوى من دنياه ان يشتهر بالاحسان وعمل البرات (من المجلد الثامن عشر)

الحرب : هل تبطل من الارض

مهما بلغ شأن هذه المدينة من الارتقاء بكثرة الاختراعات والاكتشافات ، وان تربع اصحابها على الرياض الوثير وركبوا البخار واستضاءوا بالكهربائية وأجلوا الهواء ، ومهما أنشأوا من الصحف وشكّلوا من الجمعيات والأندية أو ألفوا من الاحزاب ونادوا بالحرية والاستقلال - لا يهملك دفاعهم عن الفرد وسعيهم في تحرير الرقيق - فانهم مهما يكن من امرهم لا يزالون بعيدين عن المدينة الصحيحة ما دام فيهم الميل الى الحرب لأنها من بقايا الحمجية تمثل الانسان في أفضّل أحواله الوحشية

أصل الحرب

كان الانسان في أقدم أدواره يقتات بالأثمار يقتطفها من أشجار أنبتتها الطبيعة لا يغرس ولا يحرق . وإذا نقد الثمر عمد الى طير صغير أو حيوان ضعيف التفتحه وقتله وأكله نيتاً قبل اختراع الطبخ ، وما يزال يقتات بما يجده من ذلك في البقعة التي احتلها بأهله حتى تخلو من الثمر والحيوان فيقتل الى

سواها . وهو بفضل المقام بجوار النايح او على حفاف الأنهار لأنه يجد أكثر حاجاته فيها ، وقد يكون هناك جماعة سبقوه الى الماء فينازعهم عليه فيفوز القوي ويملك الماء . ذلك هو أول أسباب الخصام بين القبائل

ثم اهتدى الى الاختزان بما في يده خوفاً من الجوع في غده . واضطر بتوالى الاعوام الى الزرع وتربية الماشية واقتناء الطيور الداجنة . وبعد أن دامه الجوع مراراً أصبح يخاف القحط قبل وقوعه بأعوام فعمد الى التوسع في الارضين الخصبة . فخره ذلك الى التنازع مع معاصريه من بني الانسان وأصبح كل كبير منهم يستكثر من اهل عصيته ليتقوى بهم على سلب جاره ما بيده من أسباب الحياة . وهذا هو الغزو بأبسط أحواله

فتألفت بذلك العصيات وانتشبت الحروب وأهم أسبابها طمع الانسان بما يملكه غيره مما يحتاج هو اليه من وسائل العيش . وقد ألف كل كبير جنداً من اهل عصيته هو زعيمهم وقائدهم يأمرهم بأمره . فلذت له الرئاسة وحج الاستئثار فزاد ميله الى الغزو والاستكثار من القوة رغبة في السيادة وهي من ملأذه الفطرية . فاصبحت الحرب يراد بها السيادة فضلاً عن اختزان الاقوات . ثم صارت الى مجرد حب السيادة والتوسع في الفتح طمعاً بما للآخرين ليقال ان فلاناً أقوى من فلان وان ملكته أوسع من مملكه سواه . والسيادة يومئذ للغالبين المستبدين لا دستور ولا نواب وانما يسود القاهر

أقوال العظماء في الحرب

ويتبادر الى الأذهان ان الحروب من شأن العصور الاستبدادية لرغبة الملوك في السيادة فيسوقون الناس الى الحروب فيقتل الآلاف وألوف الآلاف من الأبرياء وفيهم النساء والأطفال ليقال ان القائد الفلاني فتح البلد الفلاني عنوة وغلب الأمة الفلانية . وهو عمل لا يمكن تفسيره بغير الجنون الحربي أى ان الناس يصابون بجنون في طلب الفخر كما يصابون بجنون في طلب المال أو في التدين أو الكفر أو غير ذلك . قال أحد الفلاسفة : « الحرب داء الامراء »

وما من فيلسوف ولا عالم لم يلعن في الحرب وعواقبها ويعنف اصحابها . حتى القواد وأعظمهم بونا برت فقد قال في الحرب : « انها عمل بربري وحشي » وقال : « ان القوى الادبية تنحط في الحرب حتى تصير نسبتها الى البدنية كنسبة ٣ الى ٤ » وقال ولتن : « لو شهدت يوماً من أيام الحرب لتوسلت الى الله ألا يرثك يوماً ثانياً منها » وقال أيضاً : « ليس أفضح من الانكسار في المعركة إلا الانتصار فيها » وقال مونتسكيو : « ان خراب أوروبا انما يكون على ايدي قوادها في الحروب » . وقال نايه : « ان الانتصار في الحرب يخفي سيئاتها كما تغطي الحسنات السيئات » وقال لويس نابوليون : « ما الحرب إلا اعمال بربرية منظمة وهي من بقايا الهمجية مهما اختلفت مظاهرها وأشكالها »

هل تبطل الحرب

ويذهب بعض الفلاسفة المعاصرين الى ان الانسان سبيل الى عصر تبطل فيه الحروب ويتآخي الناس فيعيشون برغد وهناء . ووافق . وحجة هذا القول ان الارتقاء والتهديب مستمران . ويتوالى

الأعصر يقتلع من أذهان الناس النزاع والخصام فتبطل الحرب . ولكنه قول مبنى على النظر والخيال - ان الانسان لن يصل الى ما ذكره ولو توالى الادهار على تمدنه وتهديه . ان القدن لا يطل الحرب وانما ينقلها من صورة الى صورة . كانت أدواتها الفأس والحربة والرمح فصارَت البنادق والمدافع والالغام وهى أشد فتكا وأسرع تدميراً . لا تنكر ما للنظمات السياسية من الوسائل المساعدة على تخفيف الحروب بتوسط الدول الاخرى . ولكن هذه لا تتوسط ان لم يكن فى توسطها نفع لها - وهو الطمع الذى قدمنا انه أقدم اسباب الحرب

ان سبب الحرب الرئيسى التنازع على السيادة كما رأيت وهو فطرة غريزية فى الانسان مبنية على حب الذات . وليس حب الذات خاصاً بطبقة من طبقات الامم ، وانما هو غريزة من غرائز الانسان كالجاذبية للأجرام . بل هى فى الامم المتقدمة أقوى منها فى سواهم لأن العلم يوسع دائرة العقل ويكثر مطالب الانسان فتكثر حاجاته ويضطر للتنازع . على ان الامم البدوية الباقية على الفطرة مع ما يظهر من إغراقها فى الغزو والنهب فان فى أخلاقها البدوية ما يخفف وطأة تلك المطامع - نعى الاربيحية والنجدة التى يعبر عنها الافرنج بقولهم « شفاليرى » . فكثيراً ما كانت هذه النجدة سبباً فى الكف عن الحرب وحقق الدماء كما تكون سبباً لسفكها

أما المتمدنون من اهل الحضارة فالحرب عندهم مبنية على المطامع الشخصية فقط ولا معرفة لهم بالاربيحية أو النجدة . ولذلك قالوا ان السياسة لا قلب لها . فكل أمة أو دولة تنظر الى جيرانها أو معاصريها بعين الحسد ولو استطاعت أن تخضعهم جميعاً لسلطانها لفعلت . فهى تترصد حتى تسنح لها فرصة تثب بها على بلد لتوسيع دائرة سلطانتها . وهى طبعاً لا تقدم على حرب إلا بحجة وما أكثر الحجج وأكثرها كاذب . وانما الحجة الحقيقية طمعها فى ذلك البلد - فاذا طمعت دولة فى دولة ورأت فى نفسها القدرة على التغلب اتحلت سبباً للحرب مهما يكن طفيفاً فانها تعظمه وتبالغ فيه وتحشد رجالها للقتال - تدعوهم الى ذلك باسم الدين أو الوطن أو اللغة أو غير ذلك من الجامعات التى تعتقد انها تثير عواطف رجالها . ويختلف ذلك باختلاف الامم . لكنها فى كل حال تختار من الجامعات ما يوافقها . فان أرادت الاعتماد على أمة من مذهب دينى غير مذهبها دعته الى حربها باسم الدين وزعمت انها قامت لنصرة الدين . وان كانت من مذهبها وتختلف عنها باللغة أو بالوطنية دعته باسم الوطن وادعت انها تحارب فى سبيل الوطن . وهى بالحققة انما تحارب فى سبيل المصلحة الخاصة والمطامع الذاتية . والمعتدى عليهم يجرّون على نفس الحطة فى الدفاع يستنصرون جيرانهم أو أنصارهم بالجماعة التى توافق حالهم

ومن غرائب الحروب الدينية ان أصحابها يلصقون بالدين ما ليس منه فى شيء . وما من دين إلا وهو ينهى عن قتل النفس إلا فى سبيل القصاص او الدفاع . ومع ذلك فان الجنود المتحاربة لا تقدم الى ساحة الوغى قبل ان تصلى كل طائفة منها الى ربها وتطلب اليه أن يعينها على الفتك بالطائفة الاخرى ولا يكون ذلك إلا بكثرة القتل - فكأنهم يكلفون الله ان يساعدهم على قتل الانفس !

(من الجلد العشرين)

الجرأة الأدبية أو الجرأة في الرأي

ونريد بها الجرأة في إبداء الرأي بلا خوف ولا حذر . ومما قبل في فضل الشجاعة البدنية أو الحرية فإن الجرأة في الرأي أو الشجاعة الأدبية أفضل كثيراً . ويرى علماء الاخلاق والطابع البشرية ان الشجاعة الأدبية أرقى في سلم الفضائل لأنها نتيجة الاقتناع بالحق وتجعل صاحبها اذا عمل بها في الدفاع عن الحق لا يخاف مقاومة ولا يخشى اهانة . وقالوا : « ان الشجاعة البدنية في الحرب تزرى بالاعطال فتجعل صاحبها صالحاً للجندية . وأما الشجاعة الأدبية فصاحبها لا يهاب سائر الآراء فيصلح ان يكون مشيراً للدولة . والرجل العظيم ينبغي ان يتصف بكلتئها »

١ - الجرأة في سبيل الدين

الجرثون في سبيل الدين يثبتون في اعتقادهم ولو أدى بهم ذلك الى القتل . وهم كثيرون ، منهم في النصرانية ألوف ومئات الألوف . يكفي الشهداء الذين قتلوا في الاضطهادات الدينية في الاجيال الوسطى ولا يحيط الحصر بعددهم . وناهيك بديوان التفتيش الظالم - قال فلورتي ان عدد الذين قتلهم ديوان التفتيش في اسبانيا ٣٢٠٠٠ والذين نالوا العذاب وظلوا احياء ٢٩١٠٠٠ نفس غير الشهداء في أوائل النصرانية باضطهادات الامبراطورين الرومانيين قبل تصرحم ، آخرها اضطهاد ديوقليطيان . وفي أخبار الرسل حوادث كثيرة تدل على جرأة أدبية في الآباء الاولين يندر مثلها فقد قتل بعضهم صلباً وبعضهم نشرأ مما يطول شرحه - وهم ثابتون

أما المسلمون فقد استشهد منهم كثيرون في سبيل الجرأة الأدبية في الدين . وننظر في ذلك من وجهين : الأول ما كان بين الاحزاب الاسلامية أو أصحاب الآراء الدينية ، والثاني بين المسلمين وغيرهم لحوادث الاستشهاد بسبب اضطهاد احدى الفرق الاسلامية للفرق الاخرى اكرهاها بين السنة والشيعة . وكان في أول أمره بين بني أمية وأتقياء المسلمين من الصحابة أو التابعين ، لان الاسلام كان في زمن الراشدين مؤسساً على التقوى والحق والعدل ، فلما قبض بنو أمية على الدولة حولوه الى السياسة واعتمدوا على التغلب بالسيف والقهر واضطهدوا اهل التقوى وعذبوهم . فمن هؤلاء الاتقياء من فضل الموت على الرجوع عن اعتقاده فظل ثابتاً في قوله ومعتقده ولو خالف رأى الخليفة أو الأمير

وأقدم من استشهد في هذا السبيل ابو ذر الغفاري الذي جاهر باستنجاحه جشع بني أمية وكان معاوية ما يزال عاملاً للخليفة عثمان بن عفان في الشام ولم يبال ابو ذر بالقوة الغالبة . واحتال معاوية في استرضائه أو تهديده فلم يبال فاتهمه بالفتنة وكتب الى عثمان « انك أفسدت الشام على أبي ذر » فكتب اليه « احمله الى على قرب بنير وطاء » تعذيراً له . فلما جاء المدينة حاكمه عثمان فلم يرهب سطاته وجاهر بما يراه من طمع بني أمية وخروجهم عن الحق . فأخرج عثمان من المدينة الى الربرة بالعنف وظل هناك وهو ثابت في عزمه حتى مات

ومنها حجر بن عدى الكندي المتوفى سنة ٥١ هـ فقد كان يعتقد فضل علي بن أبي طالب وحمته

في الخلافة وان الامويين اغتصبوها منه . فلما تغلب بنو أمية على علي حلوا المسلمين على لعنه . فنهزم من أطاع ومنهم من أبي واحتمل القتال من أجل ذلك . وأشهر الذين استشهدوا في هذا السيل حجر بن عدى المذكور . وذلك ان المغيرة والى الكوفة من قبل معاوية كان يقف على المنبر فيستغفر لثمان ويعلن علياً والناس يسمعون واكثرهم غير راضين ولم يجسر على مقاومته إلا حجر بن عدى . فانه كان يعترض الوالى في كلامه ويقول : « أنا أشهد ان من تدمون أحق بالفضل ومن تزكون أولى بالذم » وكان المغيرة يخوفه غضب الخليفة وهو لا يالى فقاصه بقطع أرزاقه . فاعترضه مرة في المسجد وانحاز اليه بعض الناس وحدثت ثورة طال امرها . وأخيراً قبضت الحكومة على «حجر» وقد صارت الامارة الى زياد بن أبيه . وكان مع حجر جماعة قالوا مثل قوله واتحدوا معه فكفؤهم لعن على فأبوا وهددوهم بالموت فلم يبالوا . ومن أقوال أحدهم واسمه صيفى وقد سأله زياد : « ما تقول في علي ؟ » قال : « أحسن قول » فأمر بضربه حتى لصق بالارض ثم قال : « اقلعوا عنه .. ما تقولك في علي » فقال : « والله لو شرحتني بالمواشي ما قلت فيه إلا ما سمعت مني » فقال : « تلعنه أو لا تطربن عنقك » قال : « لا افعل » فأوثقوه وحبسوه . ثم أرسل زياد حجراً وبعض أصحابه الى معاوية في الشام وزوروا عليهم شهادات توجب قصاصهم . فلما جاءوا معاوية أمر بقتلهم لجاه الذين تولوا قتلهم فقالوا لهم : « اذا كنتم تبترون من علي وتلعنونه لا تقتلكم ولا تقتلكم » فقالوا : « لسنأ فاعلين » لحفرت القبور وجيء بالاكناف وقام حجر وأصحابه يصلون عامة الليل وفي الصباح قتلهم فرضوا بالقتل ولم يرجعوا عن رأيهم في « علي »

ويقال نحو ذلك فيمن قتلهم الحجاج بن يوسف بعد واقعة الجاهم فان الحجاج ألزم من بقي حياً من رجال ابن الاشعث أن يعترف انه كفر بعصيانته على الخليفة فيخلى عنه وإلا قتله فكان يؤتى بالاسير الى ما بين يدي الحجاج فيقول له الحجاج : « اشهد انك كفرت » فان قال « نعم » أطلقه وإلا قتله . فكان كثيرون ينكرون قوله فيقتلهم ، ومن هؤلاء رجل من خنم كان معزلاً فسأله الحجاج عن حاله فأخبره باعتزاله فقال له : « أتشهد انك كافر ؟ » قال : « بئس الرجل » أنا أعبد الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر ؟ » قال : « اذا أهلك » قال : « وإن قتلني » فقتله . ومنهم سعيد بن جبير التابعي الشهير وغيره . وحوادث اضطهاد الشيعة كثيرة بتفضيلهم الموت على الخروج من طاعة العلويين أو انكار فضل «علي»

ومن حوادث الاستشهاد في سبيل الثبات في الرأي الديني حادثة احمد بن حنبل وأصحابه لانكارهم القول بخلق القرآن بعد ان أمرهم الخليفة المأمون ان يقولوا بخلقه ، وكان المأمون يعتقد ذلك ، وشدد في نشر هذا الاعتقاد بين رعاياه فكتب الى نائبه في بغداد أن يمتحن القضاة والشهود والمحدثين بالقرآن فمن أنكر انه مخلوق خلق سيله ومن أبي اعلم به ليرى رأيه فيه . ففعل ذلك فأجابه الاكثرون وأبى جماعة فبعث المأمون الى نائبه المذكور أن يرسل اليه بهم موثقين بالحديد . فلما رأوا ذلك التهديد خافوا واعترفوا بما أراده الخليفة إلا اربعة ، منهم احمد بن حنبل الامام المشهور . ثم أعادوا عليهم القول وهددوهم فأجاب اثنان وظل اثنان وهما ابن حنبل وابن نوح ففسدا بالحديد وحلوا الى المأمون في طوس ومات المأمون في تلك السنة . فلما تولى المنصور أحضر احمد بن حنبل وامتحنه بالقرآن وأمره ان يقول انه مخلوق فأبى فأمر به بجلد جلداً عظيماً حتى غاب عقله وقطع جلده وحبس مقيداً وظل على اعتقاده حتى مات

اما حوادث استشهاد المسلمين بسبب اضطهاد اهل الاديان الاخرى فلا يخلو التاريخ من شواهد صريحة فيه غير ما يؤخذ من القرائن الدديدة التي يطول بنا شرحها . اما الحوادث التي ورد ذكرها في هذا الشأن فأكثرها في أثناء حروب الروم والمسلمين في الشرق أو الافرنج والمسلمين في الاندلس . من ذلك أن تيودورة ملكة الروم كان قد وقع في حوزتها عدة آلاف من المسلمين ففرضت عليهم سنة ٢٤١ هـ أن يتنصروا فن تنصرت واستبقت وجعلته أسوة من قتله من المنتصرة ومن أبي قتله . فأبى كثيرون وذهبوا ضحية ثباتهم في اعتقادهم . وهكذا يقال في مسلمي الاندلس لما غاب عليهم الافرنج وهما باخراجهم بخيروهم بين النصرانية والموت فاختار الموت جماعة كبيرة منهم

واعتبر ذلك في أكثر الانبياء والمصلحين فان ثباتهم في دعواتهم والاستبلاك في نصرتها حتى الموت ساعد على نشرها . ومن لم يثبت منهم ضعف عزائم أصهاره وانقض الناس من حوله . كما أصاب آريوس لما أنكر لاهوت المسيح في أوائل القرن الرابع للبلاد وهو من كهنة كنيسة الاسكندرية . فالتفت حوله جماعة كبيرة واشتد ساعدهم فاهم الامبراطور قسطنطين بالامر فارسل اليه وحاكمه وحكم بضلال بدعته وأزمه ان ينكر تلك البدعة فغلب خوف الموت على قلبه وأنكرها مؤقتاً فأطلق سراحه فعاد الى التعليم فاستقدموه وخوفوه فأقسم انه يرجع عن ذلك التعليم وعاجلته المنية بعد قليل

ويعد من قبيل الجرأة الاديية ظهور لوثيروس صاحب المذهب الانجيلي فانه حارب اعتقادات راسخة وتقاليد متوارثة وقوانين مدونة وطلعات مسلحة ، ولم يبال باللعنات والاضطهادات فوق الى تأسيس شيعه من أعظم الشيع النصرانية الآن . ويمكننا ان يقال في أكثر أصحاب المذاهب والمصلحين فانهم يلاقون عقبات كالأطوار راسخة منذ أجيال يصعب تمهيدها ولا يفلح في ذلك إلا اهل الثبات والصبر وسعة الصدر

وما يزال عهدنا قريباً بما قاساه المرحومان الشيخ محمد عبده في سبيل الإصلاح الديني الاسلامي وقاسم بك امين بشأن الإصلاح الاجتماعي فظهر ا جرأة اديية كبيرة في مقاومة تيار التقاليد والعبادات وقد وضعوا أساساً لإصلاح كبير سيكون له شأن عظيم في الاجيال القادمة وسيذكره لها التاريخ

٢ - الجرأة والثبات في نصرته العلم

كثيراً ما يكتشف العلماء حقائق عليية تخالف ما تعوده الناس من العادات أو تمسكوا به من الاعتقادات . فالتصريح بتلك الحقائق يحتاج الى جرأة اديية خصوصاً في القرون الماضية يوم كان الناس عبيد التقاليد والاعتبارات . وأقدم من ذهب ضحية هذه الجرأة على ما نعلم سقراط الفيلسوف واضع الفلسفة الاديية العلية أو محول الفلسفة القديمة من الخيال الى العمل . تخالف تعاليمه تعاليم كثيرين من معاصريه وربما وقت عثرة في سبيل أرزاقهم فتقموا عليه - كما ينقم عبيد التقليد على رجال الإصلاح في كل عصر . فتصدى له خطيب اسمه انيترس وأخذ في مقاومته وتحقير تعاليمه وسعى بالداسيس والوشايات عليه ورفع الحكومة تقريراً بين فيه ما ارتكبه سقراط من احتقار الآلهة وخرق حرمة القانون . - وهي حجة المقلدين على المصلحين - وطلب قتله

فطلبت الحكومة من سقراط أن يدافع عن نفسه فأبى لعلهم قاتلوه لا محالة فحكوا عليه بالاعدام فاستقبل الحكم بثبات وهدوء، فسجنوه قبل الأعدام مدة تردد عليه في أثنائها بعض محبيه ونصحوا له أن يفر وسهلوا له الفرار فقال : « أخبروني عن مكان لا موت فيه فأفر إليه ، ولما آن الأعدام أتوه بالسلم ودفعوه إليه فشر به دفعة واحدة وأصحابه حوله فلما رأيهم سيكون قال : « ما بالكم تبكون ونحن إنما أخرجنا النساء حتى لا نسمع بكاء ؟ كونوا رجالا وتصرفوا تصرف الرجال ، ويقال نحو ذلك في غليليو صاحب مذهب دوران الأرض في القرن السابع عشر وإن لم يقتل في سبيله ولكنه سجن واضطهد . وقد حوكم في مجلس ديني يرى أن هذا الرأي يخالف تعاليم الكتاب . وحاولوا إقناعه بأن يعترف بفساد رأيه ويرجع عنه فأبى وألزموه مرة أن يقول بثبوت الأرض وهددوه فقام ثم عطف ورفس الأرض برجله وصاح : « ومع ذلك فأنها لتدور ، وقضى بقية حياته معذباً بالمراقبة والدسائس ولكنه كان مطمئناً لثباته في اعتقاده العلمي . وبعد من هذا التليل قيام دروين في القرن الماضي بمذهب النشوء والارتقاء ولا يزال صدى المجادلات التي احتدمت بشأنه ترن في آذاننا (عن المجلد العشرين)

بماذا يشعر الطيار

وصف الدكتور فون شرور أحد الأطباء في فينا التأثيرات الغريبة التي تعترض الطيارين في الهواء فقال : « إن أول ما يلقيه الطيار بعد إجهاد الأعصاب والأعضاء البدنية التقلبات المفاجئة في الضغط الجوي أو بالحرى في الأكسجين فإن ذلك يهيج الدورة الدموية والتنفس أكثر مما يهيجهما الصمود التدريجي على الجبال . فإن مجرى الهواء الشديد يسبب الإصابة بالزكام وهو أول الأعراض التي يشكو منها الطيارون ويليه سرعة الصمم . ثم إن تقليل مقدار الأكسجين الذي يحدث من سرعة الحركة وتناقص الضغط الجوي يسبب القيء والمناظر الوهمية . ومن الأعراض الخطيرة الكثيرة الحدوث للطيار اشتياقه للثوم أحياناً في خلال طيرانه مع شدة مقاومته لسلطان الكرى . فضلاً عن الدوار الذي يصيبه من جراء ارتفاع الطائرة . ونتيجة هذا الدوار ظهور الأشياء التي تكون على الأرض معوجة أمامه أو غير موجودة في أماكنها المعتادة أو متحركة حركة سريعة غير مألوفة لديه مما يفضي إلى كون الطيار كثيراً ما يجهل مركزه الحقيقي . ولعل هذا سبب سقوط الطيارات من الارتفاعات المتبدلة سقوطاً لا يعرف سببه . وأحياناً لا يدري الطيار إذا هو كان في وضع اقنى أو غير اقنى وبالأخص إذا كانت الغيوم تكثف من كل جهة . وقد أخبر المرحوم المستر لاثام الطيار الشهير الدكتور فون شرور أنه تحير مرة حيرة شديدة بعد طيرانه ببضع دقائق وكان هذا من جراء السبب المتقدم ذكره فهبط إلى الأرض وهو غير عالم بما هو فاعل ، (ع . ج .) (عن المجلد الحادي والعشرين)

لماذا نضحك؟

بحث بسيكولوجي

تصور نفسك في ملعب والممثلون على المسرح يقوم كل واحد منهم بدوره ويقول أحدهم كلمة أو جملة يضحك منها الحضور ويققهون - بعد أن كانوا صامتين ومصنيين . وقد تغيرت ملامح وجوههم وأخذت أجسامهم تهتز بإجتماعها مما يدل على انقلاب حدث في حالتهم النفسية فما الداعي الى هذا التغير ولماذا ضحك الجمهور في هذا الموقف دون غيره ؟

أو افرض انك مار في شارع من الشوارع القذرة فتزلق رجل أحد المارة فجأة لكثرة الوخل لجعل يتلوى وهو يحاول ان يحفظ موازنة جسمه عتياً ... ان هذا المنظر لاشك يضحكك ويضحك كل مار معلق فما هو السبب ؟

وقس على هذين المثلين سائر بواعث الضحك . وعند كل مرة يقف الفكر سائلاً نفسه : ما الذي اضحكني هنا ؟ وما هو الضحك وما هو عمله في حياة الانسان ؟ وقد شغلت هذه الاسئلة وأمثالها ادمعة كبار الفلاسفة فضايرت آراؤهم فيها . واذا سألت رجلاً من العامة : « لماذا تضحك ؟ » ، لاجابك : « أضحك لان الموضوع مضحك » ، على أن هذا الجواب مع بساطته وبدايته لا يصبغ دائماً فكثيراً ما يضحك الناس في مواقف لا تستدعي الضحك فيضحكون وهم لا يريدون أن يضحكوا . وانما يندفعون الى الضحك بقوة داخلية لا يسعهم إلا الامثال لها . والامثلة من هذا القبيل كثيرة :

يحكى أن رجلاً رجع يوماً الى بيته فوجده خراباً وامرأته وأولاده اجساماً هامة فأخذه الضحك حتى مات بعد برهة على أثر انفجار بعض الاوعية الدموية . ويحكى أيضاً ان اجتماعاً ضم عدداً من الشبان نعى اليهم فيه يوماً صديق لهم فأخذوا يتفرسون بعضهم في بعض برهة ثم ضحكوا ضحكا طويلاً . وكثيرون من الناس ولا سيما النساء يضحكون في اخطر المواقف وأكثرها دعوة الى التهييب والوفار . وبعضهم يضحكون عند الألم الجسدى الشديد . ولاشك اننا كثيراً ما نضحك وليس هناك أمر يستدعي الضحك كما يحدث عند مامس بعض الأماكن الحساسة في الجسد وهو ما يسمى عند العامة بالزكزة أو الدغدغة واليك بعض التعليلات عن سبب الضحك :

قال توماس هوبس الفيلسوف الانكليزي : « يدعو الى الضحك شعور الضاحك بتفوقه على موضوع ضحكته كانه يشعر بعظمته امام حقارة ما يضحك منه . ويؤيد هذا التعليل اننا لانحب ان يضحك الناس منا ، لاشك ان في هذه النظرية شيئاً من الحقيقة اذ لو تأمل كل واحد منا في دواعي ضحكته وجد كثيراً منها ناتجاً عن هذا الشعور مثل الصبي عند ما يرى رفيقه في مأزق ضيق لا يعرف كيف يخرج منه وهو يعرف ذلك ، أو امام مسألة لا يقدر على حلها وهو يقدر ان يحلها . لكننا كثيراً ما نضحك بدون أن نشعر بعظمته أو تفوق . وبكس ذلك كثيراً ما نشعر بعظمته وتفوق على اقربانا بدون ان نضحك -

كُل ذلك مما يدل على ان الارتباط بين الشعور بالفوق والضحك ليس محكاً كل الاحكام ولا يصح في جميع الاحيان

وقد اُصلح الفيلسوف باين هذا التعليل فقال : « الضحك يتأى من الشعور بالفوق على الاقران اذا لم يكن هناك عواطف أخرى أقوى منه كالحزن والغضب ونحوهما . لكن كثيرين يضحكون بدون أدنى دخل للشعور المذكور كضحك الطفل مثلاً وضحك الاولاد بعضهم مع بعض في أغلب الاحيان أما سبنسر فقد ارجع الضحك الى فقد التناسب بين الاعمال والأشخاص وتتابع الأفكار المتباعدة في الذهن فقال : « ان سبب الضحك انتقال العقل فجأة من الأمور الكبيرة الى الصغيرة أو من الاشياء المهمة الى الأشياء النافثة أو نحو ذلك » . وقد وسع دارون نطاق هذه النظرية فقال : « المضحك هو الغريب المخالف للعتاد ، لكن المسألة لا تزال مع هذا الاصلاح لا تشفى غليلاً لأن كثيراً من الأشياء الغريبة التي تطرأ على الانسان لا تضحك قط لكنها قد تهيج احساسات أخرى . اذا اطلمت على اكتشاف عجيب غريب لم تكن تهمد وجوده فقد تستغربه وتعجب بصاحبه ولكنك لا تضحك منه

وأحدث نظرية في هذا الباب نظرية هنرى بيركسن الفيلسوف الفرنسي الشهير . فالضحك في اعتقاده يأتي عفواً وللفراية فيه دخل كبير . ولكن يجب ان تكون من نوع مخصوص - كأن تسبب عن حركة ميكانيكية غير مقصودة تقرب الاحياء من الجوامد في ذهننا . فاذا اضحكك المهرج وقد لبس اشكالاً وصبغ وجهه ألواناً . فذلك لانك في الحال تشبه بالآلة ميكانيكية لا تفكر فيما تعمل . وبعبارة أخرى اننا نضحك كلما ظهر لنا الانسان بمظهر الجواد . فالرجل الذي ترتق رجله فيقع يذكرك بجامد لا حياة فيه . وهكذا في سائر الاحوال المضحكة فانك تجد وراءها كلها هذا السبب - حركة ميكانيكية في حي عاقل - على اننا كثيراً ما نرى أشياء من هذا القبيل ولا نضحك ، انظر الى فرقة من العسكر تسير في المدينة فهل من حركة ميكانيكية أكثر من هذه ، ومع ذلك فانا لا نضحك منها . بل ان الجزء الاكبر من أعمال الانسان ميكانيكي كالأكل واللبس ونحوها فلماذا لا نضحك من جميع هذه الاحوال ؟

ثم ان بيركسن بحث في عمل الضحك نفسه فقال انه « مصلح اجتماعي » ، يعنى بذلك انه يقاوم ميل الانسان الى التحول لآلة ميكانيكية في جميع اعماله بدلا من التفكير والاستنباط والعمل بهمة . فكان الضحك ينهنا الى نقاشنا واغلاطنا ويحضنا على اصلاحها وإلا اصبحنا عرضة له . لاشك في ان هذه النظرية لطيفة ولكنها لا تصح إلا في احوال مخصوصة . وهي تعجز عن تعليل سبب الضحك الموجود على الاجمال في جميع طبقات الناس وسعيهم وراءه بدليل الكتب والجرائد الهزلية والروايات التمثيلية المضحكة . ناهيك بضحك الاطفال الطيعي المتواصل

كل التمايلات لا تجيب إلا أجوبة نافضة ولا تشمل كل الظواهر التي تدخل في هذا الباب ، لانها تسعى في ادراك كنه سبب الضحك . والاختبار يعلمنا ان الأمور المضحكة تخير حسب الاشخاص . وليس هناك ماهو مضحك مطلقاً وانما يتوقف الضحك على أحوال المرء ودرجة علمه وتهذيبه . ولذا فافضل طريق لشرح هذه المعضلة هو أن ندرس فعل الضحك نفسه فننظر الى الشخص الضاحك لا الى موضوع ضحكه

وأول ما نلاحظه كثرة الضحك في أيام الطفولة فكل والد يعلم ان الطفل يضحك لكل شيء تقريباً بدون أقل داع معقول . مما يدل على ان الضحك يرافق سن الفو الجسدى فهو بمثابة مصرف لما زاد من القوة العصبية . واذا سألت ولداً يضحك : « لماذا تضحك الآن ؟ » اجابك : « ضحكى رغم ارادتى » أو « لم أتمالك عن الضحك » أو نحو ذلك ويؤيد هذه النظرية ان للضحك وظيفة فسيولوجية في حياة الانسان ترافقه على الخصوص في الطفولة وهى سن النمو الجسدى وخزن القوى العصبية فيفرجه من الضغط العصبي ويربح الجسم على الاجمال

والشباب ايضا في اول نشأته يحب الضحك ويكثر منه . وایام الشباب هى ایام الدرس والعمل العقلى فللضحك هنا وظيفة أخرى نعتى اراحة القوى العقلية ، وقد تنبه الى هذه الوظيفة أكثر دارسى الفو العقلى في الاطفال وافقهوا على ان الضحك يأتى عادة بعد عمل عقلى شاق كأنه يعطى العقل فرصة تمكنه من مواصلة العمل بعد برهة

فللضحك اذن وظيفتان : احدهما فسيولوجية تتعلق بالجسد ، والثانية بسكولوجية تتعلق بالعقل . والانسان يقل ضحكه كلما نما جسمه وعقله . اذ يقل احتياجه الى اراحة جسده وبمجموعه العصبى . وقواه العقلية قد كل نموها ، ولان التعليم والتهديب ايضا يعودانا الامتناع عن الضحك في بعض المواقف (من المجلد الثانى والعشرين)

متى يجب أن أتزوج

جواب العلم الحديث على هذا السؤال

هل يجب على الشاب ان يتزوج عند دخوله معترك الحياة فيجمل زوجته شريكته في متاعبه ومخاوفه ونجاحه أو سقوطه ؟ أم الافضل له أن يجاهد وحده في هذا العالم ربثياً يتمكن من مركزه ويضمن مستقبله فينتد يقترن بمن تحبى معه ثمار جهاده ؟

يعتقد كثيرون من الكتاب الاجتماعيين ورجال الدين ان المسافة الطويلة بين السن التى يكون فيها الانسان قد كل نموه وصلح فيها الزواج (وهى حول العشرين) والسن التى يتعذر لشباب هذا العصر ولا سيما في المدن ان يقترن قبلها (وهى عادة حول الثلاثين) - يعتقدون أن هذه المدة التى تتجاوز احياناً عشر سنوات انما هى السبب الاساسى لما نراه في المدن من انواع المفساد والشرور التى لا وجود لها في القرى حيث يتزوج الشباب في السن التى يستكمل فيها نموه

ومن الجهة الاخرى فان فريقاً كبيراً من الاطباء لاسيما اصحاب مذهب اليوجنية (Eugenics) القائل بتحسين الجنس البشرى يضادون هذا الرأى ويبنون مضار الزواج الباكرو ويدعون ان هذا

الزواج أضر للهيئة الاجتماعية وأشد تأثيراً في هدم كيائها من المفسد والشور التي تنشأ عن الزواج المتأخر. فالزواج الباكر في نظرهم أصعب الشرين. وللدلالة على صحة مزاعمهم يبينون ما للزواج الباكر عند بعض قبائل الهندو وسكان جزر الباسيفيك وأهل سيام وكبودج وجميع الاجناس الملوثة على العموم من الاضرار وكيف انه من أهم أسباب الانحطاط البشرى

يقف الشباب أمام هذين الرأيين المتناقضين فيحار ايهما يصدق ولا افضل له من الاسترشاد بالواقع للخروج من هذا المأزق الضيق. فما هو الواقع وما هي النتيجة التي يمكن الوصول اليها من درس أحوال الناس والامم؟

قال أحد كبار الاطباء في نيويورك: « رأيت امهات لا يتجاوزن الخامسة عشرة من عمرهن وقد بدت على وجوههن علامات الضعف وفقر الدم. وكفى ان يلقى الطبيب نظرة الى أمثال هؤلاء الامهات ليحقق انهن أصبغن عرضة للأمراض لانهن قد فقدن قواهن الحيوية في الولادة ومهام البيت في سن لم يكن قد استكملن فيها نموهن. وقد يتفق ان بعض الشابات يصلحن للزواج في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة ولكن ذلك لا يكون إلا من قبيل الشواذ، وأنا أعتقد ان الشاب لا يصح ان يتزوج في حال من الاحوال قبل الخامسة والعشرين والشابة قبل الثانية والعشرين »

ان اضرار الزواج الباكر ظاهرة للعيان فانها تحط القوة الحيوية في الرجال وتسبب في المرأة فقر الدم وما يتبعه من الامراض واحما الامراض العصبية وعسر الهضم والسمل وغيرها
انظر الى الاقطار التي تزوج فيها المرأة باكراً تجد النساء يشخن في سن الثلاثين وقد تجددت وجوههن وانحطت قواهن، وبكسها الاقطار التي تزوج المرأة فيها بعد العشرين فانك تجد المرأة قوية نشيطة تحافظ على شبابها ونضارتها زمناً طويلاً

ثم إنهم خصوا اولاداً كثيرين بالنظر الى سنى والديهم فوجدوا صحة الاولاد في تفهقر كلما نقص عمر والديهما. ولا يقتصر هذا التفهقر على الحالة الجسدية بل يرى ايضا في القوى العقلية - واذا استمر التناسل بضعة اجيال في سن باكرة فلا شك ان النسل يضعف وينحط جسماً وعقلاً

ويقدر بعض العلماء البوجينيين Eugenists انه لم يولد رجل عظيم كان اسلافه يتناسلون بمعدل اربعة اجيال في القرن الواحد. ويذهب البعض الى أبعد من ذلك فيقولون انه لا يوجد رجل عظيم تناسل اسلافه ثلاثة اجيال في القرن. أي ان الالب منهم يجب ان يكون قد بلغ الثالثة والثلاثين قبل أن يولد ابنه

ويتعذر لاول وهلة التسليم بهذا القول إذ ان معظم الناس يتناسلون أكثر من ثلاثة اجيال في القرن الواحد. إلا ان المباحث الدقيقة تثبت على الاجمال (ما عدا شواذ لا يعول عليها) وقد وجدوا مثلاً ان اعظم نوابغ الاميركان كان آباؤهم في الاربعين من عمرهم عند ولادتهم بينما لم يوجد واحد منهم كان ابوه دون الخامسة والعشرين

ويعاق العلماء اليوم أهمية عظمى على سن الالب عند ولادة اولاده ويعتقدون ان لهذه السن تأثيراً

كبيراً في حالة النسل فقد تختلف حالة الاخوة الذين ولدوا من نفس الابوين اختلافاً يذكر مسيئاً عن الابوين عند ولادتهم . واليك اعمار آباء نفر من الرجال العظام عند ولادتهم (وسن امهاتهم كانت ايضاً على نفس هذه النسبة) :

فرنكلين	٥١	ملتون	٤٥
ارفتنج	٥٢	كوتفوشيوس	٤٥
وبستر	٤٣	بسبارك	٤٤
ييتشر	٣٨	اديسن	٤٣
واشنطن	٣٨	شكسبير	٤٠
غوته	٥٣		

وقد بلغ اعتقاد بعضهم في هذا الرأي انه وضع جائزة قدرها اربعون جنيهاً انكليزياً لمن يجد واحداً من الرجال العظام كان اسلافه يتعاقبون بنسبة ثلاثة اجيال في القرن الواحد . ولم يحضر هذه الجائزة احد بالرغم من أن كثيرين سعوا لاحترازها فلم يفلحوا

ثم اننا اذا نظرنا الى متوسط اعمار الناس وجدنا ما يدعم قضيتنا فقد درس أحد الاطباء ١١٠٥ أشخاص بالنسبة الى اعمار والديهم ، فوجد أن الواحد منهم (بعد ان يبلغ الخامسة والعشرين) يعيش على الاجمال ٦٢ سنة اذا كان متوسط عمر ابويه دون الخامسة والعشرين عند ولادته ، ومن كان والده بين الثلاثين والاربعين عاش ٦٥ سنة ، واذا كانا بين الاربعين والرابعة والاربعين عاش ٦٦ سنة ، واذا كانا بين الرابعة والاربعين والتاسعة والاربعين عاش ٦٨ سنة ، واذا كانا في الخمسين أو بعدها عاش نحو ٧٠ سنة

وتعليل ذلك ان الانسان كلما تقدم في السن قل تعرض جسمه للأمراض فيورث اولاده قوة المقاومة التي اكتسبها مع الايام

هذا فضلاً عن أن الزوجين اذا كانا في سن مكنتهما من الحصول على اختبارات ومعارف كافية فان كلا منهما يكون أشد تساهلاً مع الآخر وأكثر اغضاء للمفوات والزلات مما لو كانا حديثي العهد بين الناس فيقل بذلك الشقاق الذي يسبب تمس عائلات كثيرة

فيا أيها الشباب الراغبين في الزواج لا تسرعوا في هذا السيل واتم ما يزال عودكم رطباً واختباركم قليلاً حتى تظيلوا اعمار اولادكم واحفادكم وتورثوهم اجساماً صحيحة وعقولاً نامية وقوة مقاومة للأمراض التي تريد كلما تقدمت في السن ، ولا أمل للجنس البشري من بلوغ حالته المثلى الا بتأجيل سن الزواج

الجبابة • لجران خليل جبران

ليس من يكتب بالجبر كمن يكتب بدم القلب
وليس السكوت الذي يحده الملل كالسكوت الذي يوجد الام
أما أنا فقد سكنت لأن أذان العالم قد انصرفت عن همس الضعفاء وانينهم الى عويل الهاوية وضجتها
ومن الحكمة ان يسكت الضعيف عندما تتكلم القوى الكامنة في ضمير الوجود - تلك القوى التي
لا ترضى بغير المدافع السنة ولا تقنع بسوى القنابل الفاظاً
نحن الآن في زمن أصغر صغائره أكبر من كباثر ما تقدمه . فالامور التي كانت تشغل افكارنا
وميلنا وعواطفنا قد ازوت في الظل . والمسائل والمشاكل التي كانت تتلاعب بأرائنا ومبادئنا قد توارت
وراء نقاب من الاهیال . أما الاحلام المستحبة والأشباح الجميلة التي كانت تيمس متنتلة على مسارح
وجداننا فقد تبددت كالضباب وحل محلها جبابة تسير كالعواصف ، وتتايل كالبحار ، وتنفس كالبراكين
وما عسى ان يصير اليه العالم بعد ان تنتهي الجبابة من صراعها ؟
هل يعود القروى الى حقله فيلقى البذور حيث زرع الموت هاجم القتلى ؟
هل يعود الراعى مواشيه الى مروج مزقت أديمها السيوف ، ويوردها مناهل يمزج ماؤها بنجيع الدماء ؟
هل يركع العابد في هيكل رقصت فيه الشياطين ، ويردد الشاعر قصائده أمام كواكب حجبته
بالدخان ، وينغم المنشد أغانيه في ليل عافت سكينته الاهیال ؟
هل تجلس الام بجانب سرير رضعها مرثلة بالهدوء أغاني النوم وهي لا ترتجف وجلا مما سيحلبه الغد ؟
هل يلتقي الحبيب بحبيته ويتبادلان القبل حيث التقى العدو بعدوه وتبادلوا القذائف ؟
وهل يعود نيسان الى الارض ويستقر بقميصه اعضاها المكسوة ؟
ليت شعري ! هل يعود نيسان الى الحقول ؟

وماذا عسى تصير اليه بلادكم وبلادي ؟ وأى من الجبابة يضع يده على تلك التلال والمضبات التي
انبتنا وسيرتنا رجالاً ونساء أمام وجه الشمس ؟
وهل يطلع الفجر فوق قم لبنان ؟
كلما خلوت بنفسى أطرح عليها هذه السؤالات غير ان النفس كالفضاء تبصر ولا تتكلم وتسير
ولكنها لا تلتفت ، فهي ذات عيون تتجلى واقدام تتسارع ، أما لسانها فتفتيل
ومن منكم أيها الناس لم يسأل نفسه في كل يوم ولية عن مصير الارض وسكانها بعد ان تختمر
الجبابة من دموع الأرامل والایتام ؟
أنا من القائلين بسنة النشوء والارتقاء ، وفي عرفي ان هذه السنة تتناول بمفاعيلها الكيانات المعنوية
بتناولها الكائنات المحسوسة ، فتنتقل بالاديان والحكومات من الحسن الى الاحسن ، انتقالها بالمخوقات
كافة من المناسب الى الانسب ، فلا رجوع الى الوراء الا في الظاهر ولا انحطاط الا في السطحي

ولسنة الارتقاء سبل متشعبة يتفرع بعضها من بعض ولكنها متلازمة الاصول ، ومظاهر قاسية
ظالمة مظلمة تنكرها الافكار المحدودة وتتمرد عليها القلوب الضعيفة ، اما خفاياها فمادلة منيرة ، متمسكة
بحق اسمي من حقوق الافراد ، محدقة بفرض أعلى من مرام الجماعة . صاغية الى صوت ينغمر بهوله
وعذوبته تهذبات المنكوبين وغصات المتوجعين

حول بكل مكان اقزام يرون عن بعد اشباح الجبابة متناضلين ويسمعون في المنام صدى تهايلهم
فيضجون كالصفاد قائلين : لقد رجع العالم الى فطرته الوضيعة ، فابته الاجيال بالعلم والفن قد هدمه
الانسان الوحشي بالطمع والاناية . خالنا اليوم حال سكان الكهوف ولا يميزنا عنهم سوى آلات
تبتدعها للدمار وحيل نستخدمها للهلاك

هذا ما يقوله هؤلاء الذين يقيسون ضمير العالم بمقياس ضائهم ومجملون مراد الوجود بالفكرة
القصيرة التي يستخدمونها لحفظ وجودهم الفردي . فكأن الشمس لم تكن الا لتدقتهم ، وكان البحر لم
يوجد الا لغسل ارجلهم

من أحشاء الحياة ، من وراء المرميات ، من أعماق الكون المدير حيث تصان سرائر الكون المدير
قد انتبثق الجبابة كالريح وتصادوا كالغيوم ثم
تلاقوا كالجلال وهم الآن يتصارعون ليحلوا مشكلة
الأرض لا يحلها غير الصراع

أما البشر وكل ما في رموسهم من المدارك
والمعارف ، وما في قلوبهم من المحبة والبغضاء
وما يعانق نفوسهم من الصبر والجزع والأوجاع
فآلات يتناولها الجبابة ويدبرونها توصلها الى
غاية علوية لا بد من بلوغها

أما الدماء التي أهرقت فسوف تجرى أنهاراً
كثيرة ، وأما الدموع التي نثرت فسيتبثت ازهاراً
ذكية ، وأما الارواح التي فاضت فسوف تجتمع
وتتألف وتطلع من وراء الاق الجديده صباحا
جديداً فيعلم الناس بأنهم قد ابتاعوا الحق في سوق
البؤس وأن من يتفق في سبيل الحق لن يخسر
وأما نيسان فيعود - ولكن من يطلب نيسان
من غير كف الشتاء فلن يجده

(عن الجلد الرابع والمشرين)



أبو العلاء المعري
تصوير جبران خليل جبران

هل يعيش الانسان بلا دماغ؟

حتى بلا دماغ؟ لا ريب أن معظم الناس يرون في هذا القول تناقضاً واضحاً فقد ثبت في الأذهان أن الدماغ مركز الظواهر النفسية وأن أدنى خدش فيه يؤول حتماً الى اختلال القوى العاقلة فكيف به لو أصيب إصابة بليغة أو فقد جانب منه؟ السواد الأعظم يتوقعون موت المصاب أثر حادث من هذا النوع على أن أحدث الباحث في هذا الموضوع تدل على خلاف ذلك

بل تكاد تلك المباحث تقضى على نظرية عليية كان لها المقام الأول لدى علماء النفس - نغنى النظرية القائلة بتعيين مراكز القوى النفسية في الدماغ . فقد كان العلماء يقسمون الدماغ الى بقع وتلافيف وينسبون الى كل منها بعض الظواهر النفسية أو القوى العاقلة . فللكلام مركز وللكتابة مركز ولتحريك العضلات مركز وللسمع مركز وللبرص مركز الخ... وكانوا يظنون أنه اذا أصيب مركز من تلك المراكز فلا بد من اختلال الوظيفة المقابلة له أو فقدانها

على أن الحوادث المفردة المثبتة أبلغ من النظريات . ففى الحادثة يرى العالم حقيقة الواقع الذى لا ريب في صحته . وأما النظرية فانها ترشده الى ما يتوقع حدوثه . وانما تنبئ النظريات أثر جمع الحوادث المفردة وفحصها واستخراج الصفات والقوانين المشتركة بينها ، فالعالم يفحص مثلاً عشر حوادث أو عشرين حادثة من نوع واحد فيرى في جميعها صفة مشتركة فيحدده ذلك الى توقع تلك الصفة المشتركة في سائر الحوادث التى من ذلك النوع . فإذا تحقق ظنه ثبتت النظرية ولكنه اذا وجد حوادث لا تتفق مع استنتاجه وجب عليه تغيير نظريته أو تعديلها

هذا شأن النظرية التى نحن في صدها فقد اجتمعت حوادث ومشاهدات مختلفة لا تتفق معها فتحتم تعديلها . ولنتقل الآن الى درس الحوادث والمشاهدات المتعلقة بهذا الموضوع فنقول :

من الشواذ الغريبة أن بعض الأطفال يولدون بلا دماغ . فقد ذكر بعض الأطباء الثقات حادث طفل ولد على هذه الحال وعاش بالرغم من ذلك ٣٩ ساعة - نقول « عاش » اذا اعتبرنا التنفس بين فترات بعيدة ونبض القلب من غير انتظام وتراجع الأرجل عند لمسها ظواهر كافية للدلالة على الحياة وذكر آخر أن كلباً صغيراً ولد بلا دماغ تمكن من الوقوف على أرجله ورضع لبن أمه وعاش على هذا الحال ٣٠ ساعة

ولكن تلك حوادث شاذة ونادرة فلندرس الآن حوادث أخرى أكثر صراحة وأجلى دلالة من أهل أواخر القرن السادس عشر طبيب اشتهر بعلمه ومهارته اسمه زا كوتس لسبون وقد عاش أولاً في البرتغال ثم انتقل الى هولندا وخلف كتباً كثيرة تقتبس من احدها القصة التالية :

وأصيب ولد في التاسعة من عمره بضربة سيف شديدة في مؤخر رأسه فشقت جمجمته وأخذت المادة الدماغية تتساقط من الشق ، على أنه بالرغم من ذلك عاش الولد ثلاث سنوات . فلما مات فتحوا رأسه فوجدوه فارغاً أى بلا مادة دماغية وانما وجدوا فيه سائلاً صافياً ذا رائحة طيبة ، وقد ذاقها بعض الحاضرين فلم يجد لها طعماً... »

على أنه لابد لنا الآن من الإشارة الى أن الطبيب المذكور معروف بين علماء اليوم بحب المغالاة ولذا فانهم لم يحفلوا بكل ما ذكر في كتبه . والقصة المتقدمة من جملة ما غصوا الطرف عنه . الا أن الحوادث الاخيرة قد اضطرتهم الى الرجوع عن سوء ظنهم بذلك الطبيب
ذكر أحد الأطباء المعاصرين حوادث شاهدها بنفسه نذكر منها الحادثين التاليين :

اصيب بناء بضربة شديدة ذهبت بالجانب الأيمن من رأسه بما فيه المادة الدماغية فبقي في حالة سبات مدة ١٥ يوماً ولما أفاق لم يفقد شيئاً من قواه العقلية مع أن نصف رأسه ودماغه كان مفقوداً فقد كانت الحفرة في رأسه تسع بدأ مطبقة . وقد غطى ذلك المكان بجهاز واق ودأوم الرجل معيشته وذكر هذا الطبيب أيضاً حادثاً شاهده في الجزائر اذ جاءه يوماً جزائري وقد أصيب بصدمة شديدة في جبهته من جهة اليسار وكان قادماً من بلدته على قدميه واستغرق سفره عشرين يوماً . فرأى الطبيب قيقاً عند الجرح فظهره وضمده وما لبث ان رجع الرجل الى عيشته المعتادة . ولكنه في ذات يوم مات فجأة ففتحوا رأسه فوجدوا مكان الإصابة خراجاً كبيراً يعادل حجمه سدس حجم الدماغ فكان ذلك الرجل عاش بعد اصابته - أي نحو ثلاثة أشهر - بلا سدس دماغه

على ان الدكتور روبنسون قدم قبل الحرب الى أكاديمية العلوم الفرنسية حادثاً أغرب من الحادث المتقدم اذ أن الخراج في تلك الحادثة ألهم معظم دماغ المصاب

ولكن تلك الحوادث متشابهة في أن فقدان المادة الدماغية ناشئ عن خراج . فهل يمكن بتر جزء من الدماغ ويبقى المصاب حياً ؟ هل في الامكان اجراء عمليات جراحية في هذا المصنوع كما سائر الاعضاء بحيث اذا فقد جانب منه أو أصيب اصابة خطيرة يستخرج الجانب الفاسد ويقطع ؟

قد حدثت في هذه الحرب حوادث مختلفة تمكنتنا من الاجابة على هذا السؤال نذكر منها حادثين :

في ١٢ يناير سنة ١٩١٥ أصيب جندي بجوار سواسون بقرب فرنسا بقذيفة أصابته في مؤخر رأسه فاضطر أثر ذلك أن يترك موقعه وسار مسافة ٣٩٠ متراً على قدميه الى أن بلغ المستشفى النقال فضمد جرحه ثم ذهب الى المستشفى الثابت في حالة يرثى لها . وقد كان من تأثير القذيفة أنها أحدثت فتقاً في الدماغ مصحوباً بمخراج بليغ . فلم ير الطبيب بدأ من تحكيم مشرطه في الدماغ - فمل ذلك ثلاث مرات وقدر مجموع ما فقدته المصاب من مادته الدماغية بثلك شطر الدماغ على أقل تقدير . على أنه في ٢٢ مارس سنة ١٩١٧ بدأ المصاب بدور النعش وفي شهر أبريل التالي كان على ما يرام من الصحة الا ضعفاً طفيفاً ألم يبصره

أما الحادث الثاني فهو ايضا فتق في الدماغ أصاب جندياً في ميدان القتال . وقد كانت المادة الدماغية هابطة من الشق فلم ير الجراح مناصاً من بتر ذلك الجزء البارد وهو يعادل ربع الشطر الايسر من الدماغ تقريباً فنجحت العملية والمصاب أخذ في النهج الآن

تلك بعض الحوادث الغريبة التي حدثت أخيراً . وهي تضطرنا الى تبديل آرائنا بشأن أهمية الدماغ

نعم إن الانسان لا يستطيع ان يعيش لو فقد كل دماغه كما تبين من الحوادث الاولى المذكورة سالفاً ولكنه بلا ريب يعيش وأن فقد جزءاً كبيراً منه

ثم إن الدماغ أصبح كسائر الاعضاء عرضة لمشروط الجراح كما ثبت مما تقدم

أما نظرية تعيين المراكز الدماغية التي أشرنا اليها فلا ريب أنها تزعمت وفقدت من مكاتها

(عن المجلد الخامس والعشرين)

العظمة

بقلم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي

ان رأيت شاعراً من الشعراء ، أو عالماً من العلماء ، أو نبيلاً في قومه ، أو داعياً في أمته ، قد انقسم الناس في النظر اليه وتقدير منزلته انقساماً عظيماً ، وانفرجت مسافة الخلف بينهم في شأنه ، فافتن بحبه قوم حتى رفعوه الى رتبة الملك ، ودان ببغضه آخرون حتى هبطوا به الى منزلة الشيطان ، فاعلم انه رجل عظيم

العظمة أمر وراء العلم والشعر والامارة والوزارة والثروة والجاه . فالعلماء والشعراء والنبلاء كثيرون ، والعظماء منهم قليلون ، وانما هي قوة روحية موهوبة غير مكتسبة تملأ نفس صاحبها شعوراً بأنه رجل غريب في هذه الحياة في نفسه ومزاج عقله ومنازع أفكاره غير مطبوع على غرار الرجال ، ولا مقدود على أمثالهم ، ولا داخل في كلية من كلياتهم العامة ، فاذا نزلت نفسه من نفسه هذه المنزلة أصبح لا ينظر الى شيء من الاشياء بعين غير عينه ، ولا يمشي في طريق غير التي مهدها يده لنفسه ، ولا يجعل لعقل من العقول مهما عظم شأنه وشأن صاحبه سلطاناً عليه في رأى أو في فكر ، أو في مشايعة لمذهب ، أو في مناصبة لطريقة . بل يرى لشدة ثقته بنفسه ، وعلمه ضعف ثقة الناس بنفوسهم أن حقاً على الناس أن يستفيدوا له ، وينزلوا على حكمه ، ويترسموا مواقع أقدامه في مذاهبه ومراميه . فزى جميع أعماله وآثاره غريبة نادرة بين آثار الناس وأعمالهم تهر العيون ، وتحتطف الأنظار ، وتملأ القلوب دهشة وروعة . فان كان شاعراً كان مبتكراً في معانيه أو طريقته ، أو كاتباً ملك على النفوس مشاعرها وأهواها ، أو فقيهاً هدم من المذاهب قديماً ، وبني جديداً ، أو ملكاً شغل من صفحات التاريخ ما لم يشغله ملك سواه ، أو وزيراً ساس أمته بسياسة جديدة لا عهد لهم بمثلها ، أو قائداً ضرب الضربة البكر التي تردد الآفاق صدها .

تلك هي العظمة ، وهذا هو الرجل العظيم . ومن كان هذا شأنه كانت فتنة الناس في خلواتهم ومجتمعاتهم ، ومعترك أنظارهم وأفهامهم ، ومثار الخلف والشقاق بينهم في استكناه أمره وتقدير منزلته

فيحجب به الذين يعجبون بكل غريب ، ويستهدون بكل جديد ، ويدنون للجماعة في جميع مظاهرها ومرايئها ، حتى يبلغ هم الإعجاب به الاقتان بأقواله وأفعاله وحركاته وسكناته ، والاغراق في حبه والمشايعة له والسير ببجائبه وغرائبه في كل صقع وناد . فيقع ذلك من نفوس مناظره وحاسديه والمتمردين على عبقرته ونبوغه موقماً غير جميل . فلا يجدون لهم بدأ من مقابلة الاغراق في حبه بالاغراق في بغضه ، على قاعدة المشادة والمعادنة ، وهناك تستخدم الحركة الهائلة بين أنصاره وأعدائه فيهاجم هؤلاء مجاولون استلاب عظمته منه ، ويناضل عنه أولئك يريدون استبقاها في يده . وهو واقف بينهم يدير أنظاره فيهم هاتئاً معتبلاً لا يحزن ولا يبتس . لأنه يعلم ان جميع هذه الاصوات الصارخة المختلطة حوله إنما هي أبواق شهرته وعظمته

لا أريد أن أقول ان الرجل العظيم مصيب في كل ما يرى وما يفعل وما يتجهج لنفسه وللناس من سبل الحياة . فربما كان من هو أضعف منه قوة وأحل ذكرأ أسد منه رأياً وأصدق نظراً . وإنما أريد أن أقول ان أحداً من الناس لا يستطيع أن يشغل أقلام الكتاب وعقول المفكرين والسنة الناطقين وقلوب المحبين والمبغضين إلا الرجل العظيم

أحب علياً قوم حتى كفروا بحبه ، وأبغضه آخرون حتى كفروا ببغضه . وسمى بعض الناس أبا بكر وعمر شيخي المسلمين ، وأنكر بعضهم صحبتهما وإخلاصهما . وعاش يحيى الدين بن العربي بين فقة تراه قطب الأولياء ، وأخرى تراه شيخ الملحدين . واغتبط فريق من المسلمين بان رشد فسومه فيلسوف الاسلام ، وقثم عليه فريق فلاؤاً وجهه بصافاً في المسجد الجامع . وسمى قوم صاحب كتاب الاحياء حجة الاسلام ، ومزق آخرون كتابه ونشروه في مدارج الطرق . وعاش المعري بين رضى الراضين عنه ، وتقمه الناقين عليه ، يلثم الأولون مواطئ قدميه ، ويسجبه الآخرون على وجهه في الطرقات العامة . وشرب سقراط كأس السم بين أفواه باسمه شمانية به ، وعيون دامعة حزناً عليه ، وجرت الاقلام بمدح المتني تارة فاذا هو سيد الشعراء ، وبذمه أخرى فاذا هو اكبر المتكفين ، ورفع قوم شكسبير الى مرتبة الكمال الانساني فقالوا نابغة الدهر ، وهبط به آخرون الى أدنى منازل الحسة والدناءة فقالوا المنتحل الكذاب ، وافتتن المفتنون بنابوليون الاول فعلموا به الى رتبة الانبياء ، وتنكر له خصومه وأعداؤه فسلكوه في سلك الحقى المخرورين . وذاق كل من لوثر وكالفين وغليلو وفولتير ونيتشه وتولستوى كأسى الحب والبغض في حياته وبعد ماته الى القطرة الاخيرة منهما . وما انقسم الناس في هذا البلد في هذا العصر في شأن رجل من الرجال انقسامهم في شأن جمال الدين ومحمد عبده ومصطفى كامل وقاسم أمين واحد شوقي

وما كان واحد من هؤلاء جميعاً بالمنزلة التي يرقعها اليها المغرقون في حبه ، او ينزل به اليها الغالون في بغضه ، ولكنهم كانوا قوماً عظاماً فانقسم الناس في شأنهم ، وذهبوا في امرهم هذه المذاهب البعيدة المترامية . ولا ينقسم الناس هذا الانقسام العظيم إلا في شأن الرجل العظيم ليس معنى الوجود في الحياة ان يتخذ المرء لنفسه فيها نفقاً يتصل أوله بباب مهده ، وآخره بباب لحدّه ، ثم يزلق فيه انزلاقاً من حيث لا تراه عين ، ولا تسمع ديبه أذن ، حتى يبلغ نهايته ، كما تفعل

الهوام والحشرات والزاحفات من الاحياء على بطونها . وانما الوجود قرع الاسماع ، واجتذاب الانظار وتحريك اوتار القلوب ، او استثارة الالسة الصامته ، وتحريك الاقلام الراكدة وتأديت نار الحب في نفوس الاخيار ، وجمرة البغض في قلوب الاشرار . فعظماء الرجال اطول الناس اعماراً وان قصرت حياتهم واعظمهم حظاً في الوجود وان قلت على ظهر الارض ايامهم

العظمة كالحقيقة يخدمها اعداؤها واصداؤها ، ويحمل على رأسه احجار هيكلها هادموها وبناتها ، حيث ترى سواد الاعداء هناك سواد الاصدقاء ، وحيث ترى الفريقين مجتمعين في صعيد واحد فاعلم ان العظمة ماثلة على عرشها العظيم فوق اعناقهم جميعاً

العظمة قصر مشيد مرفوع على ساريتين منحوتين من حب الناس وبغضائهم . فلا يزال ذلك القصر ثابتاً في مكانه لا يتزعزع ولا يتحلل ما بقيتا في مكانهما . فاذا سقطت احدهما عجزت الاخرى عن الاستقلال به فسقطت بجانب اختها وسقط هو بسقوطها

لا يعجبك أن يتفق الناس جميعاً على حبك لأنهم لا يتفنون إلا على حب الرجل الضعيف المهين الذي يتجردهم من نفسه وعقله ورأيه ومشاعره ثم يقى على ذنبه تحت أقدامهم اقامه الكلب الذليل يضربونه فيصطبر لهم ، ويعتبون به فيصص بذنبه طلباً لرضام ، ويتفنون به فيقترب ، ويزجرونه فيزجر ولا يعجبك أن يتفقوا على بغضك لأنهم لا يتفنون الا على بغض الحباء الاشرار الذين لا يحبون أحداً من الناس فلا يحبهم من الناس أحد

وليعجبك أن يختلفوا في شأنك ، وينقسموا في أمرك ، ويذهبوا في النظر اليك وتقدير منزلتك كل مذهب . فذلك آية العظمة ، وذلك شأن الرجل العظيم

كن القائد الذي تعترك الجيوش حوله من بين ذائد عنه وعاد عليه . ولا تكن الجندي الأبله الذي يسفك دمه ليسقى دوحه العظمة التي ينعم في ظلالها القائد

كن الناطق الذي تحمل الريح صوته الى مشارق الارض وبغاربها ، ولا تكن الريح التي تختلف الى آذان الناس بأصوات الناطقين من حيث لا يأبهون لها ولا يعرفون لها يدها

كن النبتة النظرة التي تمتلج ذرات الارض في سيل نضرتها ونمائها ، ولا تكن الذرة التي تطوها الاقدام وتدوسها الحوافر والاختفاف

كن زعيم الناس اذا استطلعت . فان عجزت فكُن زعيم نفسك . ولا تطلب العظمة من طريق التشيع للظلم والتلصق بهم أو مناصبتهم العداء والوقوف في وجههم . فان فعلت كنت التابع الذليل ، وكانوا الرعاء الاعزاء (عن المجلد السادس والشرين)

مسرات العبد

بقلم الاستاذ خليل مطران

فصل معرب يتصرف من كتاب « تزيية الارادة » للعالم

الفرنسي « بابو » وهو جدير بأن يظلمه شبان الشرق باهتمام وتدبر

لا شيء أَدعى للحزن وأنفى للسُرور من عيشة الفراغ . فإن الذين يعيشونها إذا انفتوا الى ماضهم لم يشعروا به أكثر عما يشعر الحى بنقص الظل ، وإذا اعتبروا في حاضهم وجدوه لا يزيد قيمة ولا كرامة عما غبر من عمرهم . فهم في غم وإحساس شر من قرب الموت . إذ أنهم سيقضون ولا يتخلف عنهم من أثر دال على عمر لهم في طريق هذا الوجود . مثلهم مثل المقضى عليهم بالسجن يحملهم قطار سريع بغير ما يحبون والى حيث لا يحبون

أما أولئك الذين حياتهم مليئة بالعمل المنتج فانهم به يضاعفون معنى الحياة . فيتمتعون بها أعلى وأعلى . ومهما يكن من سرعة التطار الذى يقلهم فهم يستبقون الماضى في صحبتهم بحسن الذكرى له ويزينون الحاضر بصنوف الزينات العقلية ، ويتحررون من أسر الحياة بكونهم يراجهون الموت وهو حق يحتم الهجر . مواجهة الذى أتى أمراً قياً ، مرضياً لضميره ، فاستوفاه ، أو معطاه ، وبلغ الى الوفاة كما يبلغ التعب الى الراحة . وأوسع بالفرق بين كادح وقد ومستقيم جد . فالحياة في الشعور بالحياة لا في تبديدها بالاستشراف من بعد . قال داروين « عندما أفتت فى ماير متمرصاً أحسست بأن أياى ثقيلة لا تطاق بسبب الفراغ »

وفى الحقيقة ليس المكسال الا منتحرا على مهل . لانه يخترط الملل ويسلط السأم على نفسه فيودى به . على أن الفراغ باطلاق المعنى لا وجود له ومن لاعمل له أوجد له الشيطان عملاء لحيث لا يكون شغل بغرض شريف حل محله شغل بغرض زرى أو سافل . وقد تكون من هذا الشغل صفار الموموم ودنايا المعاكسات . فهى لا تقوى العقل بل تهكك وتدكك . وقد يكون من هذا الشغل أنف قوة الاحساس التى لم تضبط ، ولم تسير فى ترع منصوصة لتتروى الارزاء العليا من السليقة الانسانية ، تندفع منحدرة الى قاذورات الطبيعة الحيوانية فتسقط فيها وتزيدها فساداً . يخال ان المترفين من أولى اليسار فى نعيم . والصواب ان المسرات مع البلادة تصبح مشقات ، وان لا قيمة لقطعة ما لم تكن ناتجة من نشاط . على ان الكسل يضر بالجسم فيضعف فيه الجهاز الهضمى . ويحدث الجود والاسترخاء كما أنه يضر بالنفس فيجعل الذكاء متوزعا تنتاشه صفار الموموم وتنتابه صفائر الحزازات فتأكل بها ويتضائل ، ومن ثم جاء ان المكسال يجد العناء والنصب فى كل عمل يضطر للقيام به . وعلى تقية الكندود يرالى عمله متجها الى قصد معلوم بقدر طاقته ، متسلطة فيه ارادته على أفكاره ونزعاته فلا تأذن لها بالشوات فاذا عكف العامل العقل على شأنه بنظام ومن غير اجهاد ، ثم انصرف الى الراحة لتجديد قواه فى

الوقت الملائم كان في ذلك سر السعادة لانه يجمع به الى حسن الانتاج حضور الذهن في كل حالة ،
ونقطة الرقابة للنفس

الا ان الكثيرين من جملة الحقائق على ان العمل مشقة . وما من تصور يدخل فيه الالم أو الضغط
أو الكد الا أدخلوه قسرا في تصور العمل . مع انه ثابت في علم النفس ان العمل هو السعادة ما لم
يتجاوز الكد فيه القدر الذى تسمح به الحالة الهضمية . وان الهناء الذى ينجم عن العمل لهنا ايجاب
شمر لا سلبى عقيم . فهو يبقى للحقيقة في الحياة طعمها ورونقها ولا يحولها الى وهم موهوم ، ثم يصمم
العقل من سلطان الدنايا والهجوم الصغيرة . ويمنح النفس من الترضيات الشافية مثل ما تجود به الينايع
الفياضة من نفع الغلة

ومن مسرات العمل العقلى أنه يرفعنا فوق مستوى العامة . ويأذن لنا بدخول ندوة اولى الالباب
من عظام كل زمان فيزيدنا بذلك أسبابا للابتهاج والاهتمام بالحياة . في حين ان المتفرغ يحتاج في
الغالب الى معايشرة من هم دونه لقضاء وقته . وذلك لانه لا يكفى نفسه فيقع في صنوف من العبودية
للاخرين لا يعرفها العاملون من أهل العلم ، ولذا صدق من قال : « ان العمل هو الحرية » فلك حقيقة
وليست مجازا . ومزية العامل ان سعادته يلتبسها من نفسه ويجدها في نفسه . اما المتفرغ فان كان له
هنا فهو ما يستمده من سواه

ثم ان توالى الايام لا يزيد المتفرغ سوى تقدم في السن . وتتمادى في عمر بلا نتيجة . ولكنه يزيد
مجموع المعارف التى يكتسبها المتعلم الجاد زيادة مطردة لا تلبث مع كمر السنين ان تجعله ذا مقام عال
بمعارفه الواسعة . وذا سلطان بذكائه على القوم الذين يحيطون به يكاد يضارع سلطان الخلق العظيم
فاذا جمات الشيخوخة شهد المتفرغ انطفاء لذاته واحدة بعد الاخرى . على حين ان مسرات
العامل لا ينضب لها معين بل تنمو على توالى الايام ، وتنوع تنوع اهتمامه بالعلم أو الادب أو
الطبيعة أو الانسانية أو الفنون على اختلافها . قال كينه : « رأيت الشيخوخة حين بلغتها أقل مرارة مما
وصفوها لى ورب ساعات منها وردتها أشهى من ساعات الشباب »

اذن فحياة العامل العقلى أسعد حياة . لا تحرمه لذة حرية بان يرغب فيها . بل تتمتع بما لا يتمتع
به الا أمثاله من الشعور بكنه الوجود . وتحرره من الرق المعنوى الذى يجعل الكسالى ألعيب في
أيدي الصروف . وتنعص عقله من السقاسف القاتلة

أضف الى ذلك ان الحياة المنتجة تقوى الارادة بكونها منبع السعادة الثابتة . وتجعل صاحبها
من سكان الحاضرة الراقية ، حاضرة المفاخر التى انما يأهلها أولو الالباب ، وعطاء الدنيا بصنوف
الاحساب . وتمنحه سلطانا على غيره . وتزيده على مسرات العقل والنفس الازدهار بتفوقه على
الآخرين . ثم هي تكرمه عن المذدوق والمكذوب من المجد الذى يتظاهر به ذوو الثروة والمناصب
السياسية بمنحها اياه المجد الصحيح الذى تصبغه السعادة الفائقة . ونعم الثوابان لمستحقهما هذا السعد
الموموق وذلك المجد المصدوق (من المجلد السابع والشرين)

لكي تكون سعيداً

طالع هذه الحكم بترو وامعان

كثيراً ما يبحث المرء عن سعادته كما يبحث عن نظاراته ... حين تكون معلقة على افنه

جوستاف دروز

هذه غايته من الحياة - ان اعيش هنيئاً بوسائل قليلة ، ان اطلب الجمال لا البذخ ، أن أكون لطيفاً رقيق الاحساس مع قلة الاختلاط بالناس ان تضان كرامتي لا كبريائي ، ان احوز الراحة لا الثروة ، ان أعرف كيف أصغي للتجود والطيور وللأولاد والشيوخ فافتح للجميع قلبي على الدوام ، ان ادرس كثيراً وأفكر بهدوء واعمل بصراحة واتكلم بترو ، أن أرقب الاحوال الملائمة لاعمالى فلا اتسرع قط في شيء منها ، وبكلمة واحدة ان غايته من الوجود ان تغمر الاعتبارات الروحانية السامية كل الامور والشواغل الدنيوية - في ذلك سعادتي واغتباطي تشانج

الرجل الذى لا يرضيه القليل لا يرضيه شيء ابيقورس

لنكن جاذبين ولنتذكر على الدوام أن أشد المصائب وطأة على الانسان هي تلك التي لا تنزل به قط

لويل

ما أقل الحظوظ السيئة لو خلس الناس انفسهم من تلك التي يستطيعون تجنبها يتهوفون
ما الشقاء في الحقيقة الا منا وفيما وانه لمن الخطأ ان ننسب الى الحوادث الخارجية - فانا انما
نصوره في داخل نفوسنا ونكونه من جبلتنا التي بها جبلنا انا تول فرانس
اذا صرفت ذهنك الى ما كان امامك وعملت بجد ونشاط ورزائه وفقاً لما يوحى اليك عقلك من
دون ان يلهيك عن عملك أمر او طارىء - اذا سلكت هذا المسلك وحافظت على طهارة ضميرك كما
لو كنت مطلوباً للدينونة في ساعتك ... فلم تشته شيئاً بل كنت مقتنعاً بصنع يدك ووائفاً بجميع
أقوالك وجميع اعمالك - فانت انت السعيدون ولن يستطيع أحد أن ينزع منك تلك السعادة

مرقس اوريليوس

يجب ان نلئس الحقائق التي نشاهدها ثوباً خيالياً روحياً كما يجب أن نسعى لتحقيق الاماني الخيالية
الروحية التي تنزع اليها نفوسنا دوماس الصغير

السعادة ترتب على العواطف اكثر من ترتبها على الحوادث مدام رولان

لا ريب في ان قسطاً كبيراً من سعادتنا يتوقف على براعتنا في اختيار الاصدقاء لوردا فبرى

السعادة القصوى هي ان نكون محبوين لاجل انفسنا أو بالحرى بالرغم من انفسنا

فكتور هوغو

الصدقة تقوم مقام كل شيء فانها تزيد اغتباطنا في افراحنا وتخفف حزننا في اتراحنا امرسن

(عن المجلة الثامن والعشرين)

كن سعيداً

بقلم الأئمة مي

في هيكل الاشجان الانسانية وقف الزعيم الاكبر يخطب في القوم فسمعته يقول : « إذا كنت غنياً كن سعيداً ! لان مزاوله الامور الخطيرة هيئت لك وكنت مشكور الصالحات مرجو الجليل . لقد عن جانبك ، ومنعت حوزتك ، ونشر رواق العزف فوق ذمارك فتم لك وجه من وجوه الحرية والاستقلال . وان كنت فقيراً كن سعيداً ! لانك سلت من شلل معنى ابتلى به من دانت لرغبته جميع المطالب ، ووقيت ما عرض له السرى من حسد وكره ، فلا تلتظي الصدور لتعمتك ولا ينظر الى متاعك بعين مريضة

« اذا كنت محسناً كن سعيداً ، لانك ملأت الايدي الفارغة ، وسترت الاجساد العارية ، وكونت من لا كان له فرضيت عن نفسك ووددت اسعاد عشرات ومئات . لتضاعف مسرتك النيلة الواحدة بتعدد المتفعين باسبابها . وان عجزت عن الاحسان كن سعيداً ! فقد أجلت ساعة تشهد فيها نكران الجليل عن صانعت فانخذ المعروف سلاًحاً يهدك به حاسباً التجنى شجاعة والسفاهة حقاً . تلك الساعة لا بد من مرورها فتتور لها اعصابك ، ويفور سخطك ، وتقسو عواطفك ، ويحف منهل كرمك ، وتحتقر الانسان وتأس من إصلاحه - قبل ان تصل الى قمة التناضى الحكيم والغفران السامي

« اذا كنت شاباً كن سعيداً ! لان شجرة مطالبك مخضلة النصوص ، وقد بعد امامك رمى الآمال فتيسر لك إخراج الاحلام الى حيز الواقع ان كنت بذلك حقيقاً . وإذا كنت شيخاً كن سعيداً ! لانك عركت الدهر وناسه وألقت اليك من صدق الفراسة وحسن المماثلة مقاليد الامور ، فكل أعمالك ان شئت منافع ، والدقيقة الواحدة توازي من حرك اعواماً لانها حافلة بالخبرة والتبصر واصالة الرأي كائناتها ثمرة الخريف موفورة التضج ، غزيرة العصير اشبعبت بمادة الاكتمال والدمس والرغبة

« اذا كنت رجلاً كن سعيداً ! لأن في شهامة الرجولة يتجسم معنى الحياة الاكبر . واذا كنت امرأة كن سعيداً ! فالمرأة منشودة الرجل ، ونبيلها موضع انكاله ، وعذوبتها مستودع تعزيتة ، وبسمتها مكافأة أنعابه

« اذا كنت رفيع الحسب كن سعيداً ! فقد فزت بثقة الجماعة دون أن يوصى بك أحد . وان كنت وضعيب النسب كن سعيداً ! لأنه خير لك أن تكون مؤسس عيلتك ورافع عمادها الذي تعرف به وتفاخر بذكراه من أن تكون أحد أبنائها المرغمين بطبيعة الحال على حل اسمهم ولا فضل لهم باعلائه

« اذا كنت كثير الاصدقاء كن سعيداً ! لأن ذاكك ترسم في ذات كل منهم والتجاح مع الصداقة أهدأ ظهوراً والفشل أقل مرارة . وجميع القلوب حولك يستلزم صفات وقدرات لا توجد في غير النفوس ذات الوزن الكبير ، أهمها الخروج من حصن أنانيتك لاستكشاف ما عند الآخرين من نبيل ولفظ وذكاء . واذا كنت كثير الاعداء كن سعيداً ! لأن الاعداء سلم الارتقاء وهم أضمن شهادة

بخطورتك . وكلما زادت منهم المقاومة والتحمل ، وتوعد الاغتياب والقيمة زدت شعوراً بأهميتك ، فانتعلت بالصائب من النقد ، الذى هو كالسم يريدونه فتاكاً ولكنك تأخذه بكيات قليلة فيكون لك أعظم المقويات . وتعرض عما بقى ، وكان مصدره الكيد والعجز ، إعراضاً رقيقاً . وهل يهتم النسر المحلق فى أقصى الآفاق بما تتأمر له خفافس الغبراء ؟

« اذا كنت صحيحاً كن سعيداً ! فقد استبان فيك توازن الناموس الكلى وانسجامه ، وأهلت لمعالجة المصاعب ودحر العقبات . وان كنت عيلاً كن سعيداً ! لأنك مسرح تقايل فيه قوتا الكون العظيمتان فالغلبة لما تختار منهما والشفاء موقوف على ماتريد

« اذا كنت عبقرياً كن سعيداً ! فقد تجلى فيك شعاع ألمعى من المقام الاسنى ورمقك الرحمن بنظرة انعكست صورتها على جبهتك فكراً ، وفى عينيك طلسماً ، وفى صوتك سحراً ، والالفاظ التى هى عند الآخرين أصوات ونبرات ومقاطع صارت بين شفتيك وتحت لمسك ناراً ونوراً تلدع وتضئ ، وتحرق وتهنئ ، وتضجل وتكبر ، وتذل وتنشط ، وتوجع وتلطف ، وتسخط وتدهش ، وتقول البعنى « كن ! » ، فيكون . وان كنت خاملاً كن سعيداً ! لأن الالسنه لا ترهف حدما لتذكرك والانظار لا يستمر فيها طيب التفتنص وحب المنافسة إذ تتجه اليك . هالك القمه فافتحمها ان كنت كفوياً ، وإلا فاقنع بأنك جزء مهم من أجزاء الكون تستعملك الكفامة وقوداً . فالايوانات الباذخه لا تقوم بغير الحجارة الصغيرة ، وأنت تتمتع براحه لا ينعم بها من لا تروى شفتاه بغير ماء الحياه ولا تغتسل روحه بغير سيول الالهام

« اذا كان صاحبك وفيّاً فكُن سعيداً ! لأن الايام جبتك بكز من أمجن كنوزها . وان كان خائناً كن سعيداً ! لأنه لم يكن على استعداد لتلقى أمثولة خفيه تلقىها عليه نفسك . ولا يفادر امرؤ حظيرة المحبة إلا ليفسح مكاناً لمن هو خير منه وأجدر

« اذا كنت حراً كن سعيداً ! ففى الحرية تمرن القوى وتشدد الملسكات وتتسع الممكنات . وان كنت مستعبداً كن سعيداً ! لأن العبودية أفضل مدرسة تعلم فيها دروس الحرية وتقف على ما يصيرنا لها أهلاً

« اذا عشت فى وسط يفهمك ويقدرك كن سعيداً ! فهناك اكتسبت كل يوم شباباً جديداً وقوة جديدة ونمت روحك ثم نمت حتى أذهلتك منها الآفاق والبحار . وان عشت فى وسط متقهقر منحط ، أياها الناس ، كن سعيداً ، لأنك فى حل من أن تخلق لك جناحين تطير بهما فوقه ، الى حيث تدع من أشباح روحك عالماً حوى قوتا لجوع فكرك ونسراً لظلماً جناحك

« اذا كنت محبباً محبوباً كن سعيداً ! فقد دلتك الحياه وضمنت لك الى أبنائها المختارين ، وأرتك الالهيه عطفها فى تبادل القلوب ، واجتمع النصفان التائهان فى المجاهل المدممة فتجلت لهما بدائع الفجر ، وترامت لعيونهما خائيل السعادة ، وهنأتهما الشمس بما لم تهتد بعد اليه فى دورتها بين الافلاك ، وأفضى اليهما الاثير بمكنون أسرارهِ . لذلك هما يتأملان حيث يتضأى الخالى ، ويصمتان حيث يتكلم ،

ويمرحان حيث يجد ، ويتفرسان في خطوط البقاء حيث لا يلبح هو خيالاً . وإن كنت محباً غير محبوب
 كن سعيداً ، لأن النابذ يجب المنبوذ في أعلى طبقات كيانه - حباً لا يداينه اقتنانه بمن يهوى ، والهجران
 حالة حمة الممانى والألغاز ترقى ما ضخم من الرغبات وتصفى ما عكر من الانفعالات حتى يغدو الفؤاد
 شفافاً نورانياً متلاًئلاً مكانة تتناول فيها الآلهة كثر الخلود . وسوف تفوز بمن تريد أن لم يكن في
 تلك الصورة الانسية المتباعدة قفى سواها . تهباً للحب مهما أثقلتك المشاعر لأن للحب هبات وسكنات
 وأنت لا تعرف ساعة مروره . كن عظيماً ليختارك الحب العظيم ، وإلا فنصيفك حب يسف التراب
 ويتمرغ في الاوحال ، فظل على ما أنت أو تهبط به بدلاً من أن تسعو الى أبراج لم ترها عين ولم
 تخطر عجايبها على قلب بشر . لأن هياكل مطالبنا إنما تقام على خرائط وهمية وضعتها منا الاشواق
 و نحن سعيداً لأن ابواب السعادة شتى ، ومنافذ الحفظ لا تحصى ، ومسالك الحياة تتجدد مع الدقائق .
 كن سعيداً دوماً ، كن سعيداً على كل حال ا »

انقض القوم فاذا بالجماعات تقف عند بقية جدار خارج الهيكل لتتعب وتبكي بينا مضى غيرها في
 سيله ضاحكاً هائلاً . فظفرت الى شبح انتصب قربى نظرة استفهام فقال : « أنا روح الخطاب جئت
 أرى تأثيرى في الناس »

قلت : « إذا أنت تعلم ما هذا الذى يبكي الناس عنده »

قال : « هذا جدار الدموع »

قلت : « وهل هؤلاء يهود وهل نحن في اورشليم ؟ »

فقال : « للانسانية (كما لليهود) جدار دموع تبكى عليه وتتحسر »

قلت : « ولماذا يبكي هؤلاء بعد تلك الخطبة المعزية الموحية الرجاء ، خطبة السعادة الجميلة ؟ »

قال : « منهم من يبكى لانه لم يسمعها من قبل . ومنهم لانه سمعها قبل الآن ولم يستفد . وآخر لانه
 استفاد أياماً ثم تغلب عليه المحيط وجرت الوراثة بأثقالها الباهظة الى هوة القنوط . وغيره يبكى بكاء
 عصياً لأن الباكين يحيطون به ، ولو ضحكوا ورقصوا لكان أول المقلدين . وغيره ليظهر انه ذو نفس
 حساسة تستوعب كل تأثير صالح . ويبكى غيره لانه يرى في الجدار المحطم صورة لآماله الذاتية وهو
 من الذين يندبون حيال متراكم الاخرية ، ومندثر الديار ، ومتعفى الآثار »
 قلت : « وأولئك الضاحكون ؟ »

قال : « هم ذوو الاذهان المحددة التى لا تعترف بما لا تفهم وتهزأ بكل ما لا تعرف . انهم أحق
 بالاشفاق من الباكين »

قلت : « وهناك خيالان لا يكيان ولا يضحكان ، رجل وامرأة يسيران جنباً الى جنب بخطوات
 هادئة بطيئة منحني الجبهة وفى عيونهما تتالى الافكار . أتدري من هما ؟ »
 فرنا اليهما الشبح وقال : « هما الارض المخصبة . هما الشعلة المقدسة . هما اللذان فهما واستفادا »

فقلت حزينة : « أسفاً على الخطاب البالغ تسمعه الجماهير الغفيرة فلا يستفيد به سوى اثنين ! »
فأتى وجه الشيخ بنور سبأى وقال : « بل ما أنفعه خطاباً ، هو فى هذين الروحين غلة للدهور ،
وفى هذين الفكرين مجدد للقديم ، وفى هذه الايدى مشعال يطاير منه الشر فتقده به شمس الافلاك
وشمس الازدهان . بورك به خطاباً بورك به ! »

وغادرنى الشيخ وسار الى ذنك الخياليين فنشر من كفيه جناحين خفيفين وحلق فوق رأسيهما
يقودهما ويرعاهما
(عن المجلد الثلاثين)

الشعر الذهبى

خطرة حسناء تبشر بانفراج الازمة

حورية لاحت لسانتنى كالغصن ثناء الصباحين هب
مرت فها فى الحلى لاقى فواده فى أثرها قد ذهب
سواد عينها اذا مارنت يوقع فى الانفس منها الرهب
والوجه كالجنة حسنا فان ظننت عدناً قد تراءت فهب
والشعر منضود على رأسها كالمسجد الحرزها والتهب
أعجب به كنزاً على ذروة اذا سبأ الطرف اليه اتهب
يشبه فؤارة نور لها أشعة مواجهة بالصهب
ورب راء راعه فيضه فأكبر الواهب فيما وهب
وصاح مذهولاً ألا فانظروا فى هذه الازمة هذا الذهب

فليل مطرانه

(عن المجلد الثاني والثلاثين)

قواعد لتقوية ذاكرتك

لاغنى لك - مهما يكن عمالك - عن تقوية ذاكرتك . فالذاكرة خير حليف للانسان فى حياته ، بل
هى رأس مال عظيم يجدر بكل منا تعهده واستغلاله . وقد ذكرنا هنا ثمانى قواعد لتقوية الذاكرة
وضعها أحد علماء النفس المشهورين . فاقراها وتفهمها واستوعبها جيداً واحمل بها يوماً بعد يوم فلا
تلبث أن تتوصل الى الغاية المنشودة

- ١ - تمرن على حصر ذهنك وجمع أفكارك
 - ٢ - استخدم من حواسك أكبر عدد مستطاع لتثيت الصورة المطلوبة في ذهنك ، انظر الشيء وشمه وذقه واسمعه أن استطعت
 - ٣ - قو مواهبك التي تبدو لك ضعيفة بالمثارة على القرن المتواصل
 - ٤ - اجعل التأثير الاول في ذهنك للشيء المطلوب حفظه شديداً عميقاً
 - ٥ - ايقظ صورته المستقرة في ذهنك ، بين حين وآخر ، أى استعد تلك الصورة واستظهرها
 - ٦ - ثق بذاكرتك ولا تكن كثير الاركان الى المذكرات الكتابية أو الى ذاكرة غيرك
 - ٧ - اربط صورة الشيء المراد حفظه باعظم قدر يمكن من الصورة الاخرى . فلنذكر أمر ما اقرنه بما اكتشفه من الاحوال والاشخاص وما سبقه منها وما لحقه
 - ٨ - اجعل تمرنك في سبيل تقوية ذاكرتك ذا فائدة عملية . فعامل التليفون مثلاً يجدر به القرن على حفظ الارقام لا حفظ الشعر وهكذا ..
- (عن المجلد الثاني والثلاثين)

هل تود أن تعرف رأي الناس فيك ؟

استعمل الطريقة المبينة بعد : فيها ترى نفسك كما يراك غيرك

لله در الشاعر برتز القائل : .. ما أحوجنا الى النعمة التي تمكنا من أن نرى أنفسنا كما يرانا غيرنا ، على ان احكام الناس على الناس تباين كثيراً . فكل ينظر من جهة خاصة او بمنظار خاص . ومع ذلك فانك اذا وقفت الى جمع آراء طائفة من اصدقائك ومعارفك في مواهبك وأخلاقك وسجاياك وتاملت فيها جيداً فلا شك انك تستفيد فوائد جمة وتفتطن لامور شتى لم تلتفت لها من قبل .

وفي الصفحة التالية قائمتان تنطبق احداهما على مديرى الاعمال من أى نوع كانوا وتنطبق الثانية على الموظفين والمستخدمين على اختلاف اعمالهم . فاذا كنت من الفريق الاول فاستعمل القائمة الاولى أو كنت من الفريق الآخر فالقائمة الثانية

اصنع عدة صور من القائمة التي تنطبق عليك - اربعا أو خمسا أو أكثر - وابدأ أولاً بقراءتها جيداً وتفهم ما بها من وصف . ثم قبل أن توزع هذه الصور على عشرائك وأصحابك الذين تلتصق رأيهم يحسن بك أن تبدأ بتدوين رأيك أنت في نفسك حتى تستطيع المقابلة فيما بعد . وطريقة ذلك هي ان تضع علامة على الصفة التي تعتقد انها تنطبق عليك أمام كل بند من البنود . خذ مثلاً « المقدرة على كسب الثقة والاحترام بتأثير الشخصية » (اذا كنت من مديرى الاعمال) ثم انظر أى الصفات المذكورة بجانبها أكثر موافقة لك : هل تعتقد انك حسن التأثير ؟ أو ضعيف التأثير ؟ اذن ضع على هذه أو تلك حسب ما ترى علامة × ثم ابدأ بالبدء التالى وافعل مثل ذلك وهم جرا

مقدر	ضعيف التأثير	هادي التأثير	حسن التأثير	جيد التأثير جداً	المقدرة على كسب الثقة والاحترام بتأثير الشخصية
عادم	قليل	ميال	صاحب	شديد	المقدرة على ابتكار طرق جديدة وتحسين القديمة والاستعداد لتبني الطرق الحديثة واستعمالها
الاستبط	الاستبط	الى الترقى	حيلة	مقدر جداً	الانصاف في معاملة الغير والمقدرة على كسب معونتهم واخلاصهم
كثير الاحتكاك	كثير الاحتكاك	حسن التعامل مع الناس	مقدر في الاحوال البادية	مقدر حتى في الازمات	المقدرة على ادارة العمل وتنظيمه وتوزيع المسؤولية للحصول على افضل النتائج
سيء	قليل	يحمل انشاء	يبتغي رجالا	يبتغي رجالا من الطراز الاول	المقدرة على استنزاف الهمم والمث على التقدم وبث روح النشاط
التدبير	التدبير	الرجال	ذوي كفاية		

صورة امتحان لمديري الاعمال

وبعد ان تفرغ من فحص نفسك على هذه الطريقة وزع الصور التي صنعتها من القائمة على من تود الوقوف على رأيهم فيك ليفعلوا فيما يخصك مثل ما فعلت انت (ويحسن ان يكون بين الفاحصين زوجتك أو شقيقتك فقد يكون لنظر السيدات ميزة على نظر الرجال) ثم استرجع تلك الصور وانظر ما هي الصفات التي تراها فيك أعين الغير وقابلها بعضها ببعض ثم قابلها بالصفات التي نسبتها لنفسك (ويشترط أولاً وآخرها أن يكون الاخلاص رائد جميع المشتركين في هذا الفحص)
لا شك في انك اذا عملت هذا الفحص تستفيد فوائد عظيمة الشأن وترى أشياء لم تخاطر لك قبلاً .
بل ان لخفاً كهذا قد يكون فاتحة عهد جديد في حياتك ، جرب تر

الاستعداد على كسب الثقة والاحترام بتأثير المظهر وأدب السلوك	شديد التأثير	حسن التأثير	هادي التأثير	ضعيف التأثير	منظر
كمية العمل الممكن اتاجها	فائق	حسن	متوسط	قليل	
نوع العمل من حيث دقته وجودته	دقيق جداً	يعتمد عليه	مهم	يغسل العمل	
النشاط والاجتهاد في تأدية العمل يوميًا	فائق المهمة	مجتهد	هادي	كسول	
المقدرة على القيام بالعمل من دون تلقي جزئياته كلها والمقدرة على تحسين الطرق القديمة	شديد	صاحب حيلة	قليل	عادم	
الاستعداد للتعاون مع الآخرين	يتعاون مع غيره	عادم التعاون	يصعب التعامل معه	يقيم القياسات	

صورة امتحان الموظفين والمستخدمين

(عن المجلد الثالث والثلاثين)

بين الشرق والغرب

بقلم الدكتور طه حسين

... كان الساميون في بابل وأشور وغيرها قد بسطوا سلطاناً ضيقاً واسسوا حكومات قوية منظمة وانتهوا الى ألوان من الفن والعلم ما تزال تبهنا الى الآن . ولست في حاجة الى أن أؤكد لك عما كانت مصر قد انتهت اليه من الحضارة . واذن فليس من شك في أن الاتصال قد وجد واشتد بين هذه الامم الشرقية الراقية والامة اليونانية الساذجة ، وجد هذا الاتصال واشتد وتأثرت الامة اليونانية من غير شك بالحضارات الشرقية المختلفة . وأخذت عن الساميين في آسيا وعن المصريين في افريقيا اشياء كثيرة مختلفة . ولم تكن الامة اليونانية جاحدة ولا منكرة للجميل وانما كانت شديدة الاعتراف بالجميل وربما بالغت فيه مبالغه شديدة ايضاً فنسبت كثيراً من الاشياء الى الشرقيين بل نسبت مدناً مختلفة الى المصريين حيناً والى الفينيقيين حيناً آخر . وعدت نفسها دائماً تلميذة للامة المصرية وغيرها من الامم الشرقية الاسيوية في الحضارة وألوان الفن . فالى أى حد كان تأثير هذه الامم الشرقية في الامة اليونانية ؟ ثم الى أى حد كان تأثير هذه الامم الشرقية في تكوين الفلسفة اليونانية التي ما تزال تدبر حياة العقل الانساني الى الآن ؟ هذه هي المسألة التي نريد ان نقول فيها كلمة موجزة ونأسف لان قوما قد لا يرضون ولكن الحق أحق أن يتبع

نعتقد ونظن أن غيرنا من مؤرخي الفلسفة المحدثين يعتقد ايضاً انه لم يكن للشرق في تكوين الفلسفة اليونانية والعقل اليوناني والسياسة اليونانية تأثير يذكر . انما كان تأثير الشرق في اليونان تأثيراً عملياً مادياً ليس غير . فقد أخذ اليونان عن الشرقيين اشياء كثيرة ولكنها عملية مادية كما قلنا ، أخذوا عنهم مثلاً نظام النقد وأخذوا عنهم نظام المقاييس وأخذوا عنهم شيئاً من الموسيقى وتعلوا منهم فنونا عملية كالحساب والهندسة ، ولكنهم لم يأخذوا عنهم شيئاً عقلياً يذكر . فلو كان البابليون قد رصدوا النجوم ووصلوا من ذلك الى نتائج قيمة فهم لم يضعوا علم الفلك وانما هذا العلم يوناني لم ينشأ عن النتائج البابلية . وانما نشأ عن البحث اليوناني والفلسفة اليونانية . ولئن كان المصريون قد وصلوا الى نتائج قيمة من الهندسة العملية والآلية فليس المصريون هم الذين وضعوا علم الهندسة وانما اليونان هم الذين ابتكروه ابتكاراً . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نجد عند اليونان اشياء لا نجد شيئاً يشبهها في الشرق القديم نجد عندهم هذه المذاهب الفلسفية المختلفة التي حاولت منذ القرن السادس فهم الكون وتفسيره وتعليله . ثم نجد عندهم هذه الفلسفة : فلسفة ما بعد الطبيعة . وما نشأ عنها من أنواع البحث التي نظمت العقل الانساني وما تزال تنظمه الى الآن . ثم نجد عندهم هذه الفلسفة الخلقية التي انشأت علم الاخلاق والتي لم يعرفها العالم القديم من قبل . ونحب ان نلاحظ ان العقل الانساني ظهر في العصر القديم مظهرين مختلفين ، احدهما يوناني خالص هو الذي انتصر وهو الذي يسيطر على الحياة الانسانية الى اليوم والى آخر الدهر ، والآخر شرقي انهزم مرات امام المظهر اليوناني وهو الآن يلتقي السلاح ويسلم للمظهر اليوناني تسليماً تاماً

ينبأ نجد العقل اليوناني يسلك في فهم الطبيعة وتفسيرها هذا المسلك الفلسفي الحصب الذي نشأت عنه فلسفة سقراط وافلاطون وارسطاطليس ثم فلسفة ديكارت، و « كانت، و « كونت، و « هيغل » و « سبنسر » نجد العقل الشرقي يذهب مذهبا دينياً خالصا في فهم الطبيعة وتفسيرها . فلم يستطع العقل الشرقي ان يظهر شخصية فلسفية قوية في فهم العالم وتفسيره وانما خضع للكهان في عصوره الاولى وللدانيات السامرية في عصوره الراقية وامتاز بانبياء كما امتاز العالم اليوناني الغربي بالفلاسفة . هناك شيء آخر نجده عند اليونان ولا نجده في الشرق وهو هذا التطور السياسي الحصب الذي احدث النظم السياسية المختلفة في المدن اليونانية من ملكية وجمهورية وارشراطية وديمقراطية معتدلة أو متطرفة ، والذي مايزال اثره قوياً في أوروبا الى اليوم وإلى آخر الدهر، والذي أخذ الشرق يتأثر به في نظمه السياسية ايضا . بينما كانت المدن اليونانية تخضع لهذا التطور الغرب الذي حقق حرية الافراد والجماعات والذي انتصر حتى اصبح المثل الاعلى للحياة الحديثة في الشرق والغرب ، كان الشرق خاضعاً لنظام سياسي واحد لم يتغير ولم يتبدل وهو نظام الملكية المطلقة المستبدة الذي تفقد فيه الجماعات والافراد كل حظ من الحرية . فكيف نستطيع ان نفسر هذا الاختلاف بين الشرق والغرب ؟ ولم نفسره ؟ وما حاجتنا الى هذا التفسير ؟ يكفي ان نسجل الحقيقة الواقعة وهي ان الحياة اليونانية التي خضعت للشعر في أول أمرها ثم خضعت بعد ذلك للعقل كانت اخصب حياة عرفها الانسان في العالم القديم

(عن المجلد الثالث والثلاثين)

الصحافة والادب

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

الصحافة على اختلاف مواعيدها وموضوعاتها قريبة اللحمة بالادب من حيث هو لغة وتعبير عن شعور فما من صحيفة مهبذة - أيا كان مواعدها ومطلبها - الا وهي تزيد ذخيرة اللغة المكتوبة وتضيف الى محصول النفس من المعاني والخواطر، وهي بهذه المثابة تخدم الادب وتوسع نطاقه بين طبقات القراء . ومضى كان هذا شأن الصحف عامة فأحر بالصحف المقصورة على الادب أو التي تقرد له باباً خاصاً بين أبوابها ان تعد في مقدمة الوسائل الادبية وفي طليعة الفتوح التي تفسح حدود دولته وتضاعف عدد المهنيين به ، وكثير بين صحف العصر الحاضر تصنع هذا الصنيع وتقرع بعض أبوابها لاثار الشعراء والكتاب والنقاد واصحاب القصص والطرف وسائر ما يسمى ادباً في عرف القراء ، وهي تفعل ذلك لان الادب موضوع مشترك يقرأه الاديب وغير الاديب ويسهل على من شاء أن يأخذ بنصيب منه على قدر استعدادده ورغبته . فهو مطلب لا غنى عنه لصحيفة تريد أن تستجمع أسباب الاقبال وتزج غيرها في التنويع والتشويق ، ويرجع الى هذا اعتناء صحف السياسة اليومية في أقطار العالم بباب الادب وما يتصل به ويجرى مجراه . فقد اصبح لبعضها كتاب احصاء يمدونها بالتلف اليومية

أو الفصول الاسبوعية أو بالقصص القصيرة والطويلة المتتابعة . فاستفادت هي وأفادت القراء والكتاب فائدة قل إن متاح بغير هذه الوسيلة

فن تحصيل الحاصل أن يقال إن الصحافة اداة كبيرة النفع للآداب والأدباء . خدمتها وخدمتهم بإذاعة أشعارهم وآثارهم وتبليغ رسالتهم إلى طبقات وطوائف ما كانت لتسمع بها لولا الصحف والمجلات . ولا عجل للاسباب في بيان فوائد الصحافة الادبية للآداب لان الاسباب في بيان ذلك كالاسباب في القول بأن رواج الآداب وتكثير عدد قرائها مفيد للآداب . ومثل هذا القول في غنى عن التبسيط والتدليل إلا أن سؤالاً طبيعياً لابد أن يرد على الخاطر في هذا المقام هو : هل أفادت الصحافة الادب من جانب النوع والدرجة كما أفادته من جانب الكم والكثرة ؟ وبعبارة أوضح هل رفعت الصحافة مستوى الادب كما زادت عدد قرائه وضاعفت مادة مسطوراتها ؟ والجواب في رأيي إلى النفي أقرب منه إلى الإيجاب ذلك أن انتشار الكتابة بين جميع الطبقات يوكلها بالاعم الاشيع من الاذواق والاهواء ويجعل الحكم الغالب عليها لجمهور القراء ومن يطلبون من كل قراءة ملهة تشبه ملاهيم المسفة وتعجب أفكارهم الساذجة ، فلا يسع الصحيفة أن تقصر كتابتها على آفانين القول التي تحتاج في فهمها وتدوقها إلى ملهة نادرة وذهن واسع وطبع مثقف ، ولا حيلة لها إلا أن تلقى بالها إلى الفئة الكبرى بين سواد قرائها مذ كان بقاؤها وذبوعها رهنا برضاهم عنها قبل رضى الهيئة الناجحة المختارة . وتلك آفة للديمقراطية الحديثة لا ندرى كيف يطاق الصبر عليها ولا كيف يعالجها الزمان فيما يعالج من الغير والاطوار

يستشر قوم برواج الآداب المسرحية ولا أرى في رواجها الا علامة من علامات الكسل عن القراءة وانعام النظر ، ويستشر آخرون بكثرة الموجزات التي تلخص بدائع القرائح ولا أرى في كثرتها الا علامة أخرى على ذلك الكسل اللوخم ، فكأن هبوط درجة الآداب تبع لازدياد قرائها حين يكون أولئك القراء من أشباه الاميين أو من طلاب اللغو وتزجية الفراغ ، وكان فكرة المساواة قد هبطت بالأعلى إلى مقام الأدنى ولم ترتفع بهذا إلى مقام ذلك ! فاصبح الانغار قانعين باقدارهم زاهدين في طلب المزايا الفكرية والفصائل النفسية ، ووقروا أوهامهم انهم انداد اكبر كبير في الذكاء والعلم فلا بغية لهم عنده إلا أن يسلمهم وينفذوه ولا حق له في أن يقف منهم موقف الاستاذ من المتعلم والمرشد من المسترشد ... ولا شك في أن سلطان الشعب هو خير نظام عرفه الناس بعد من أنظمة الحكم واساليب سياسة الاقوام ، ولكن هذا الاثر الذي جناه على الآداب والفنون حق أيضاً لا شك فيه

وفي أوروبا اليوم أدباء مشهورون يقومون في أنحاء العالم بأسره ، ولكن ليس بين هؤلاء المعاصرين الذين قرأت لهم من هو أجدر بالاحترام من ايباز الكاتب الاسباني ومرجكفسكي الكاتب الروسي وبراندلو الكاتب الايطالي . لانهم أكرم أقداراً على انفسهم وانزه أفعلاماً من محاباة الشهوات وتمليق الجملالات من عامة الكتاب الغربيين ، ولست أعرف سبباً خاصاً لذلك إلا أنهم نشأوا في أُمم مختلفة بين امم أوروبا لم يسيطر فيها سلطان الشعب على الآداب والاقدار ولم يسحب على الاقلام سنة المساواة والابتدال كما سحبها على الامم السابقة في الحكومة الشعبية والتعليم

وبعد فهل الصحافة هي التي أوجدت هذه الحالة أو هي المستول الاكبر عنها ؟ لا أظن . فانها حالة عمت الكتب والصحف وشاعت بين المصنفات ما كان له موعد مرسوم وما لم يكن له موعد للصدور.

ويجب أن نذكر هنا أن الصحافة هي أقدر من غيرها على علاج هذه الحالة لأنها تستطيع أن تحمل الجيد على الرديء فيحمله معه ويستميل إليه جمهور القراء شيئاً فشيئاً ، ولو على سبيل التجربة وحب الاستطلاع (عن المجلد الخامس والثلاثين)

هل تدوم نهضة الأتراك ؟

بقلم فيلسوف العراق السيد جميل صديقي الزهاوي

خاض الأتراك معمعان الحرب العالمية مؤملين لأنفسهم النصر المبين في جنب المانيا لشدة نفهم بمقدرتها وأجهزتها وعددها وضخامة جيشها ونظامه الأجد فاصبهم ما أصابهم من الفشل والاندحار وضياخ الشرق العربي برمته . واحتلت عاصمتهم جنود الحلفاء وطمعت فيهم اليونان وزحفت تكنسح بلادهم الداخلية حتى غلب الظن يومئذ أن لا قيام لهذا الجسد المشلول بما حاق بأعصابه من الوهن وأنه يضمحل كما تضمحل النجوم التي تصادمها نجوم اكبر منها في السماء . وهي (النجوم الوقتية)

النواميس قضت ان لا يعيش الضعفاء
ان من كان ضعيفاً أكلته الاقوياء

ولكن الرماذ الذي تراكم في مكان الحريق الهائل لم يحل من جرة إذا نفخ فيها النافخ تأججت من جديد فكانت قوة كبيرة تستطيع عمل شيء جليل . وهكذا كان الامر فان الغازي مصطفى كمال نفخ في روح الأمة التركية من روحه تلك الروح الكبيرة وهو بمعزل عما كانت تكيده له الخلافة في دارها حتى أحياءها ورأب صدعها واسترد بما جنده من قلوب الجيش المدحور - وهو لا يملك إلا عزمه - ما احتلته اليونان من بلادها وكان الفوز باهراً و باهراً جداً اكبرته الامم جمعاء

لا يحسب الرشح غياً جند له عظموت
الجند للموت يحيا وللحياة يموت

ورأى الغازي ومن التف حوله من اولى الارواح الكبيرة والآراء الحرة الجديدة والنظر البعيد الوقاد ان الامم المجاورة لآمتهم قد تتبذ الفرصة فتمزق احشائها قبل ان تشتد اعضاضهم للذود عنها ويجمعوا امرهم للدفاع ، وان الداء العيا في الشعب هو الجهل والتسلك بالمعادات الضارة والتقاليد المثبطة للعزائم وان الخروج بالتدريج من الحماة التي ساخت ارجلهم فيها منذ العصور العديدة لا يجهدهم في مثل موقفهم فبهوا هبة واحدة وأوسعوا الخطى وركضوا الى الامام متواثبين واخذوا بأيديهم المعاول يهدمون بها كل سد يقف دون تقدمهم وينسفون كل قديم رث عليهم السنون ان لا خير لمجتمعهم منه ، مبدلين إياه بكل جديد اختاره الفرييون لأنفسهم بعد اختياراتهم الطويلة في معترك الحياة وأول ما أجهزوا عليه هو الخلافة ميراث الماضي والعقبة الكأداء دون رقيمهم الذي اعتقدوا جيداً أن لاجية لهم في المستقبل إلا به فابطلوها وجعلوا حكومتهم جمهورية واختاروا لرياستها بطل النهضة

مصطفى كمال ثم أبدلوا المجلة (قانونهم المدني) بقانون سويسرا مع تعديلات توافق نفسية الشعب التركي وعدلوا نظام الزواج والطلاق والارث وصدعوا بسفور النساء وأبطلوا الحجاب الذى كان سداً بين اختيار الشاب ومن تلامحه من الزوجات وسياً لشلل نصف الشعب ووصمة في صحيفة الانسانية ، ثم حظروا لبس الطرايش والعائم مبدلين اياها بالقبعات فأتموا شبههم بالامم الراقية من كل وجه وقعاوكل فتنة قامت في وجه نهضتهم ، وعقدوا في الاخير اتفاقية مع الحكومة العراقية والانكليزية ، وهذا خير ما عملوه لانفسهم

أما دوام هذه النهضة فليس للانسان ان يتنبأ بما سوف تلهه الايام والىالي فيقول سيكون كذا وكذا . غير انى اظن - ولاينفى الظن عن العلم - أنها ستدوم لان القائمين بامرها يمهدون لدوامها السيل . نعم إن كل نهضة سريعة طائشة يعقبها شئ من رد الفعل ، وقد حدث هذا الرد في صورة الثورة الكردية وحدثت كذلك مؤامرة لاغتيال الغازى ، ولكن الجمهورية كانت متيقظة فقد قعقت الثورة واطفأت جذوتها وكشفت الستار عن المؤامرة قبل أن ينفذ سهمها وجازت العاملين فيها وأخذت لنفسها الحيلة الكافية لما عصى أن يحدث من هذا القليل في مستقبل الايام

وربما حدثت في الآتى أحداث شبيهة بهاتين ولكنها تبقى عاجزة عن تغيير شكل الحكومة وارجاعها الى ماكانت عليه من الملكية ووقف النهضة او قلبها الى الرجعة ، حتى ولو اغتيل الغازى - لا سمح الله - فان فكرة الجمهورية قد تأصلت في أدمغة شباب القوم وجرت كالتيار الكهربائى في أعصابهم والخطر كل الخطر أن يثور الجيش على النظام الجمهورى ويقلبه ظهراً لبطن وهذا مستبعد لأن جميع ضباطه من الذين أخلصوا له يقدونه بأرواحهم اذا رأوا ما يمس كرامته ، وكلما مضت السنين ترصنت الجمهورية اكثر من ذى قبل وقل الخطر

كل اولئك يجعلنى اظن ان نهضة الاتراك ستدوم وتكبر وان الحرب المشبوبة بينهم على النظم الرثة القديمة والعادات الموروثة البالية والتقاليد الضارة ستكون اشد ما هى الآن ، وان الجيل الآتى سيكون اكثر تمسكا بالجمهورية فانه يكون قد نشأ عليها وابتعد عن العادات المنافية لها تلك القيود المثقلة كاهل المجتمع متجهزاً بسلح العلم الحديث على اختلاف صنوفه متأهباً لدوره الطوارىء وتخفيف شدتها

وليس هناك ما يهدد النهضة إلا حرب عالمية اخرى أو حرب خاصة جديدة ففى هاتين الحالتين قد ينهز الساخطون - وهم غير قليل - الفرصة ويعملون للايقاع بها في داخلها واشغالها الحكومة باطفاء نار الفتنة - التى تكون قد اندلعت الستى في داخل البلاد - عن إدارة الحرب في الخارج كايبلغى ودره غوايتها فلا تستطيع ان تصرف جميع ما لها من القوة في مقاومة قوى الأعداء المائوتين لها بمداقهم ورشاشهم وطياراتهم ودباباتهم واسطوطم . وهذا الخطر - وان كان كبيراً - لا ينتظر وقوعه لان الحكومات المتيقظة تحسب لكل حالة حسابها ولا تغفل بما من شأنه ان يفكك اوصالها ويجلب عليها الويلات فوق الولايات ، والتاريخ - وهو يكرر نفسه - شاهد على ان الامم الصادقة في نهضتها لا تموت نهضتها بالحروب سواء أكانت داخلية ام خارجية ، مثال ذلك الأمة الفرنسية والامريكية في حروبهما بعد نهضتهما

(عن المجلد الخامس والثلاثين)

السعادة وأركانها الأربعة

بقلم أمين الربحاني

قلبا تجد في حياة المرء نعيماً لا يحول ، أو بؤساً لا يزول . فقد تجيء قسمة بعض الناس مناصفة من الاثنين ، وهم مع ذلك يتدمرون . وقد يجيء النعيم راجحاً في كفة آخرين ، وهم مع ذلك غير راضين . أما القسم الأكبر من اخواتنا في الانسانية فهم الذين يحق لهم التذمر ، لو كان التذمر يفيد ، لأن نصيبهم من البؤس اكبر

كيف التوصل إذاً إلى عكس هذه الحال ؟ كيف السبيل إلى ترجيح النعيم في قسمة الناس أجمعين ؟ ان الحالين ، ولا ريب ، يتعاقبان في حياة كل إنسان

وليس النسيان طوع الارادة . فالمرء ينسى أيام بؤسه ما لقي من نعمة وهناء (حتى أيوب الصديق نسى ذلك) وقلبا ينسى الانسان حين سعادته انه كان من المظلومين البائسين . أى انه ينكر فضل الزمان عندما يقلب الزمان له ظهر المجن . قد ملا أيوب الارض صراخاً وتدمراً لأنه ، بعد نعمة سابقة ، ابتلى في ماله وفي جسده . ولو ذكر الاولى لكانت عليه الثانية

ولكن الحكيم والجاهل في هذا سواء . لذلك نطلب للثنين حماية العلم والشرائع والدين . لان بها يعم النعيم ، ويخف البؤس ، بقدر الامكان ، في حياة الانسان

أجل ان الواجب الاول على الدين والعلم والشرائع هو أن تساعد في تحقيق أمل المصلحين الأعلى ، وهو أن يكون الخير الأكبر نصيب العدد الأكبر من الناس . ولا ريب اننا سائرنا في هذا السبيل . لا ريب عندي ان عدد الذين يتقاسمون اليوم النعيم والبؤس هم اكثر جداً من عدد أمثالهم في أيام توت عنخ آمون . ويزداد هذا العدد ، وسيرجح في القسمة الهناء كلما تقدمنا في العلم وفي الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية

أما أسباب هذا التقدم فن أهمها إصلاح الانسان نفسه . وأهم ما في هذا الاصلاح هو أن يعلم الحقيقة ويعمل بها . وهذه الحقيقة هي ان هناء العيش لا يقوم بغير أركان أربعة هي : صحة الجسد ، وصحة العقل ، وصحة الروح ، ثم اليسر أو الاستغناء . قد تعدد الطرق الى ذلك ، وقد يختلف في بعضها الحكماء ولكنني أقدم للقارئ ما هو عندي في أعلى منزلة من اليقين ، وجملة ثمرة الخبر والامتحان

(كيف تحفظ ، وكيف تستعيد ، الصحة والعافية)

- ١ - لا تعود نفسك الأدوية والمقويات
- ٢ - لا تلجأ في تخفيف ألم ، أو في إزالة هم الى المنبهات والمخدرات
- ٣ - لا تتعود الهوادة فيما تعتقده لازماً لصحتك
- ٤ - لا تسترسل في الملهيات ، ولا تطلق العنان للشهوات
- ٥ - نم مبكراً وقم مبكراً

٦ - عود نفسك التنفس تنفساً علياً بضع دقائق كل يوم . قف أمام النافذة أو في الهواء الطلق واملا رثيك من منخريك وافرغهما من فلك

٧ - كل ما تشتهي نفسك، ولا تأكل لتشيع . لتكن القاعدة انك عندما تنهض من المائدة لا تشعر بأن لك معدة . وإذا انحرف مزاجك اذكر كلمة النبي محمد (ص) واعمل بها : المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء

٨ - صم أسبوعاً أو أسبوعين في أول الربيع

٩ - عود نفسك الرياضة في العراء كأنك تتعلم السباحة مثلاً ، أو الصيد ، أو ركوب الخيل ، أو التانيس . وإذا كان عملك أو حالك لا يسمح بذلك فإرس قبل النوم وعندما تنهض في الصباح بعض الحركات ترويضاً للجسد

١٠ - اغتسل بالماء البارد صباح كل يوم ، واذكر وأنت تنشف ان جسدك هيكل مفدى فاحفظه سليماً طاهراً نقياً

١١ - امش الى عملك ، أو امش نصف ساعة في الأقل كل يوم ، تستشق هواء الصباح فترقص الحياة في دمك ، وينور الورد في خديك . امش وأنت مدرك انك جزء صحيح سليم من الكون . امش وفي خطراتك ، وفي قلبك ، خفة الطيور ، وطرب الطيور . ولا بأس أن تصفر ولو خفصاً لنفسك فتقلدها في تغريدها للفجر وللشمس

رأيت ذات يوم شاين يتسارعان ، فقال المشاهدون للغلوب : لا يمكنك أن تغلبه وهو يتمرن ويمشى ، ويقطع في الماء البارد كل يوم

وهناك في حفظ الصحة وصية أخرى ، وهي الوصية الاخيرة . قد أشرت فيما تقدم الى التذمر ولم أذكر الحسد شقيقه الاول . فالتذمر اذا كنت مريضاً يزيد في مرضك ، واذا كنت فقيراً لا يغنيك وقد يزيد فقرك لأنه يبعد عنك الاصحاب ، وفهم من يستطيع مساعدتك . واذا كنت في محنة فالتذمر لا يزيلها ولا يخففها

أما الحسد فقد يذهب بكل جمال بشرى - بجمال الروح ، وجمال العقل ، وجمال الوجه أيضاً ، إياك إذا والتذمر وإياك والحسد

هذه الوصايا الصحية تغنيك اذا واظبت عليها عن الطبيب ، وهي الركن الاول للسعادة

أما صحة العقل وما يحيج معها من القوة وأصالة الرأي والحكمة فتقوامها المطالعة والتفكير

١ - طالع ولو ساعة كل يوم ما يلذ ويفيد من الكتب والمجلات . قلت : ما يلذ ويفيد ، فلا تضجر إذ ذاك ، ولا يذهب وقتك سدى

٢ - تجنب الروايات المهيجة للاعصاب والمثيرة للشهوات

٣ - لا تنظر إلى الحياة ومشاكلها من وجهتك الخاصة فقط ، بل انظر اليها من وجهة جارك ووجهة خصمك أيضاً . واذكر ان لكل مسألة وجهين على الأقل

٤ - كن منصفاً في أحكامك ، مخلصاً في آرائك ، صادقاً في أقوالك ، عادلاً حتي في نفسك

٥ - لا تدع الصغائر تهيجك، فتضعف بتكرارها المانة النفسية فيك ، فلا تقوى إذ ذاك على مقارمة الكبار المفعجة

٦ - ادخر من قواك العقلية والروحية لأيام المحن والكروب
٧ - اخل بنفسك ساعة أو نصف ساعة كل يوم قستريح عقلياً وجسدياً . وإذا كنت مضطرب البال ، أو مكتئباً ، أو غاضباً ، فهذه الساعة تعيد اليك السكينة والرضى
واذكر ان في مضمار الحياة تبارى العقول على الدوام ، وان الفوز للعقل القوي المرن المجرب ، السريع في التفكير ، الدقيق في التحليل ، فيحيط علماً بالامور ، وينظر دائماً إلى ما وراء الظاهر منها . ان لمثل هذا العقل الغلبة في صراع العقول

أما الصحة الروحية فركنها الاول الايمان بالله . ولكن هذا الايمان لا ينفع إلا اذا تمثل في حالك ، وفيما يربطك بالحياة وبالكون ، أى في الشوق الذى يتمثل في الحب ، وفي الحب الذى يربطك بالحياة ، وبالأمل الذى يربطك بالكون

عندما تخار بنفسك ذلاً ، اجلس مستسلياً مسترخياً عقلاً وجسداً . ثم اغضض عينيك ولا تفكر في شيء . وبعد الاستراحة ، وأنت في فيض من الاثير الطيب ، ابدئ بتأملاتك الروحية
تأمل نفسك جزءاً من الكون الذى كله نور وصحة وقوة ، وقل : اللهم زدنى قوة وصحة ونوراً ، ثم تأمل نفسك جزءاً من المجتمع الانسانى الذى ينبغى أن يكون كالجزم الاول صحيحاً سليماً وقل : سأبدأ اللهم بنفسى فتصلح نفسى جارى . ثم تأمل نفسك جزءاً من أسرة تقاسمها تبة الحياة ، أو تدير شؤونها ، وقل : عونك اللهم فى كل ما فيه حب ، وتساؤل ، وحكمة ، واعتدال

بقى الفقر ، أو الاتكال المادى ، فهو وان سلم الجسم والعقل والروح ، سم السعادة . وما الترياق لهذا السم غير العمل الذى ينبغى أن يكون مقروناً دائماً بثلاثة هى : كرامة النفس ، والثقة بالنفس ، والاتكال على النفس . وإذا فشلت في مساعدتك أولاً وثانياً وثالثاً ، فاذكر أن لاشئ يدوم غير دولا ب الحظ الذى يدور على الدوام ، على انى لا أنصحك أن تتكل عليه في غير أمل مقرون بعمل
وإذا أفلح سعيك فلا أوصيك بالقناعة لاني أعلم ان القناعة سجن الآمال ، ومرط الخمول . أجل ، ان المرء ليجد قسماً من سعادته في العمل الدائم ، كما انه يجد السعادة الكبرى في النجاح المستمر
ولكنى أقول لك : اقنع بما تحرز به كل يوم ، بل بجهد كل يوم وان لم يثمر ، ونم راضياً مطمئناً ، وفقاً بالله وبف نفسك ، فتبسط وقد تجد فيك العزم والنشاط لاستئناف العمل

انى فوق ذلك أذكرك بهذه الكلمة البليغة الجميلة : « ان الفناء لى الاستغناء » . أما اذا أثريت فلا يفوتك ان الثراء مثل الفقر يذل صاحبه اذا كان لا يذل منه في سبيل الخير العام ، وفي سبيل البؤساء والمحاويج ، من زكى ماله حسنت حاله . واذكر - قبل الوداع - ان المباراة في مضمار الحياة تشمل الارواح ، وان خيرها المباراة في المبرات . جعلك الله من أربابها ، وأنت من المغبوطين السعداء

(عن الجلد السادس والثلاثين)

كيف يفكر الاديب

المنفلوطي . شوقي . حافظ . مطران

كيف يفكر الاديب وكيف يكتب وكيف تواتيه المعاني والألفاظ ويعينه الخيال على بلوغ الغرض؟
نظن ان كل ناشئ يود لو يدخل إلى سريرة الشاعر أو الكاتب لكي يقف منها على تلك الطريقة
أو ذلك الأسلوب الذي يتخذه الاديب في إتمام عمله . بل نظن أيضاً ان جميع القراء يلذ لهم ان يعرفوا
« أسلوب العمل » في هذه المصانع الذهنية التي تدمج من آن لآخر بالقصائد والتحف الادبية الاخرى
لذلك رأينا أن نفتش من أحاديث الهلال مع كبار شعرائنا ومن مقدمة « النظرات » للرحوم
المنفلوطي ما يكشف للقارئ عن طريقة التأليف عند كل منهم ثم نعلق على هذه الاقتباسات بما يعين لنا
من النظر في نفسية الاديب

مصطفى لطفى المنفلوطي

قال في مقدمة « النظرات » :

« يسألني كثير من الناس كما يسألون غيري من الكتاب كيف اكتب رسائلهم كما انما يريدون أن
يعرفوا الطريق التي أسلكها فيسلكوها معي ، وخير لهم ألا يفعلوا . فاني لا أحب لهم ولا لأحد من
الشادين في الادب أن يكونوا مقيدين في الكتابة بطريقتي أو بطريقة أحد من الكتاب غيري . ولعلوا
ان كانوا يعتقدون لي شيئاً من الفضل في هذا الامر اني ما استطعت أن اكتب لهم تلك الرسائل بهذا
الاسلوب الذي يزعمون انهم يعرفون لي الفضل فيه إلا لاني استطعت أن أنقل من قيود التمثيل
والاحتذاء . وما نفعتني ذلك شيء ما نفعتني ضعف ذاكرتي والتواؤم على وعجزها عن أن تمسك الا من
المفردات التي كانت تمر بي . فلقد كنت أقرأ من مشور القول ومنظومه ما شاء الله أن أقرأ ثم لا ألبث
ان أنساه فلا يبقى في ذاكرتي إلا جمال آثاره وروعة حسنه ورنه الطرب به ،

ثم يقول في وصف طريقة الكتابة : « اني ما كنت أحمل نفسي على الكتابة حملاً ، ولا أجلس الى
منضدتي مطرقاً مفكراً : ماذا اكتب اليوم وأى الموضوعات أعجب وأغرب وألذ وأشوق وأيهما أعلق
بالنفس والصق بالقلوب ؟ بل كنت أرى فأفكر فأكتب فأنتشر ما اكتب فأرضى الناس مرة
وأسخطهم أخرى من حيث لا أتمد سخطهم ولا أطلب رضاهم ،

محمد شوقي بك

سأله محرر الهلال : « هل يمكنك أن تصف لقرائنا كيف تشرع في نظم القصيدة وكيف تحس بالوحى؟
فقال : « أول ما يخطر لي حيناً أفكر في قرض الشعر ان اجمع النقط الهامة التي أرى اليها من
القصيدة فإذا انتظم لي هيكلها من هذه الناحية اخترت لكل قصيدة رويها وبحرها اللذين توحى لي
أذني ونفسي انهما ينهضان بالموضوع . وأعظم ما اكون ارتياحاً الى قول الشعر بعد منتصف الليل إذ

يجد الخيال مسرحاً متسعاً في هدوء الليل وسكونه . لكن ذلك لا يمنعني ان أقول الشعر اذا جاش به صدى في كل وقت وفي كل مكان لا يشغلني عنه شاغل حتى في المجالس والمحافل ،

مافظ بك إبراهيم

قال محرر الهلال لحافظ بك : « أود لو تشرح لي كيف تنظم ؟ هل تفعل ذلك عن تدبر وروية وتمهل أو تنظم الشعر على البديهة طوع الطلب ؟ أو تنظم بقاهر من نفسك يقسرك على النظم ؟ أو تنظم وكأنك تعلم كالحواطر تجمي وتروح ؟ »

فقال بعد أن أخرج ورقة من جيبه بها نحو خمسة أبيات أو ستة : « نظمت هذه الايات أمس ثم وقفت قريبتي ولا أدري متى أتم القصيدة ولكني أوكد لك وأنا اذكلك الآن ان عقلي يشتغل وحده بآتمام القصيدة ولا بد اني بعد ساعة أو يوم أو يومين ستهجم على المعاني فأتمها . وهناك عوامل تجعلني أجد . منها أن اكون في حالة من الشجن تجاوز الحزن او اكون مضطراً متعجلاً او اكون في أرق . أما الصفاء والانس والفرح والسير في الرياض وعند الماء والشجر فتحدث في نفسي حالات لا تؤاتيني على النظم . فأنا لا أجد القصائد في التهاني نفسها إلا وأنا حزين . وأنا أؤمن بأن لكل شاعر شيطاناً لاني اكاد اسمعه يهمس في أذني المعنى وأحياناً يضرب فيغلق علي . وأنا أقيد همساته بيت اكتبه في القهوة وآخر اكتبه وأنا بالقطار وآخر وأنا أحدث الاحباب ... ومن عوامل الاحسان والاجادة عندي أن تكون هناك مجازاة كأن ينشد معي شاعر آخر »

خليل بك مطران

قال محرر الهلال : « كيف تنظم الشعر : عفواً وبداية ؟ او باستعداد وتحضير ؟ وفي أي وقت ومكان وفي أية حالة نفسية ؟ »

فأجاب مطران : « عندي نوعان من الشعر الاول شعر الطلب في المدح والثناء ونحوهما وهذا لا يكلفني مجهوداً لأنني لا أنعني في اتقانه فأكتبه كما يتفق

« أما النوع الثاني فهو الشعر الفني وهو يحدث لي وكأنني حسب الظاهر أختاره وانما هو في الواقع بايحاء قاهر من حادثة أو قصة أو غاية اجتماعية أو سياسية يحضر لي تأييدها والدعوة اليها . وعندئذ تجتمع في ذهني على جملة أيام فكرة القصيدة بمجموعها ، وأحياناً أدون ما يحضر بيالي من الافكار بشأنها في قالب النثر ثم أعود فأنظمها وأحياناً لا أدون هذه الافكار . ولكن المهم ان خاتمة القصيدة أو القافية المنشودة تكون حاضرة في ذهني قبل الشروع في النظم . ومعظم نظمي في الصباح . وأحياناً أنشد الخلوة الذهنية في قهوة ولا يعوقني عن النظم عندئذ كلام الاشخاص أو لهمم الزد او الموسيقى . وأنا أعيده النظر كثيراً فيما أنظم ولا أتعجل . ولكن هناك ظروفاً كانت تجعلني أحسن النظم فأوفيه حقه ولو كنت مع ذلك مستعجلاً . فلما مات صديقي شيلي شميل مثلاً حزنت عليه جداً ونظمت رثائي فيه في يوم واحد ولكن هذا اليوم كان يعدل لدى ثلاثين يوماً فقد خرجت منه مجهوداً مقتولاً . وكذلك حدث لي في وفاة كل من صديقي ابراهيم اليازجي ونجيب الحداد »

نقد ونعلي

اتفق هؤلاء الاربعة في شئ واحد وهو انهم لا يعملون الكتابة . ولكنهم مع ذلك لا يكتبون عفو الساعة . فثقتي ، وحافظ ، ومطران يضع كل منهم ترسيم القصيدة كما يضع المهندس ترسيم البناء قبل الشروع فيه . ولكنهم لا يشعرون عن عمد بل يتروكون المعاني تطرا وتخطر فيقيدونها ولننظر اليهم بترتيبهم . فقد ذكر المنفلوطي انه قرأ كثيراً ولكنه نسي ما قرأه . وعلى ذلك بأن ذاكرته ضعيفة . ولكن الواقع اننا لا ننسى شيئاً نقرأه وانما هو يندس في العقل الباطن ويبقى فيه مدخرا نستطيع أن نستنبطه منه عند الحاجة . وقال أيضاً انه لا يكتب عن عمد . ومعنى هذا انه يترك الفكرة تحتجر في عقله الباطن حتى اذا أتمت حضانتها وجمعت اليها قرائنها طمت به واحتاجت الى المنفذ وعندئذ يرى نفسه مضطراً الى الكتابة للتفريغ عن هذه القوة المحتبسة

أما شوقي فقد اختصر الوصف ولكنه باح بأن المعاني تجيش بذنه في منتصف الليل أو بعده أى عند الارق . فهو في هذا مثل حافظ . ونحن جميعاً نعرف من اختبارنا للآرق اننا نأرق لان الخواطر تتوارد بقوة واطراد لا نستطيع ضبطها . واذا كانت هذه الخواطر ضعيفة فالأغلب انها تساعدنا على النوم لانها تنساق انسباق الحلم ولكنها اذا قويت منعت عنا النوم . بل الحلم نفسه اذا قويت خواطره أيقظنا ونبها . وقد باح أيضاً بأن الشعر يجيش بصدرة والجيشان يدل على قوة محتبسة هي قوة العقل الباطن

أما حافظ فقد أجاد كل الاجادة في وصف نفسه وقت التفكير . فهو يترك الخواطر تنساب كما تشاء فاذا اتعب له خاطر دونه . ثم صرخ أيضاً بأن الشجن والارق يساعدانه على اقتناص المعاني . وهذا معقول لان الحزن يدل على قوة محتبسة يعبر عنها أحياناً بالبكاء أو النهوض والمشى ولكن الشاعر يمكنه ان يعبر عنها بالشعر لان هذا هو أسلوبه ، أما الارق فيورد الخواطر الكثيرة وأجاد حافظ أيضاً في قوله بأن وقت الانشراح لا يساعده على قرض الشعر . وهذا معقول أيضاً لانه ما دامت الخواطر تحتاج الى قوة محتبسة وهذه القوة لا تحتبس اذا كنا منشرجين نجد مشيتنا في الملاذ التي نباشرها من طعام وأنسة اخوان وخضرة ونحو ذلك . اما الحزن أو الغضب أو المجازاة أو العجلة فانها تحدث لنا رغبات مفهورة نكتبها في أنفسنا فتستحيل قوة أى عاطفة تحتاج الى التفريغ ورجل الفن ينفس عن هذه القوة بتأدية فنه

وكذلك مطران أوضح بأنه يقرض الشعر باحياء قاهر ليس له سلطان عليه وان الحزن الشديد يوم وفاة صديقه الدكتور شميل قد جعله يجيد لانه بدلا من ان يستسلم للدموع ويبكى أفرج عن ضيق نفسه وعاطفة الحزن التي عنده بتأليف القصيدة وخرج منها كالرجل المحزون يبكي حتى يكاد يقتل نفسه من البكاء

وعبرة ذلك كله ان العمل الفني الراقي يحتاج لاجادته الى جملة اشياء اهمها :

أولاً : انه لا يكون متمعداً مقصوداً عن وعي . ولا بأس من ان يقصد الترسيم الاول . ولكن معظمه يتم بالعقل الباطن خواطر تطرا على الذهن في مدد مختلفة

وثانياً : انه يحتاج لاجادته الى قوة محتبسة من حزن أو رغبة مقهورة او نحو ذلك لان هذه القوة تجعل العقل الباطن ينشط ويحاول أن يطرُق باباً للتنفيس فاذا وجه صاحبه نحو الشعر وجد فيه مقنعاً وثالثاً : ان العمل الفنى يحتاج الى حضانة وكأن الغرض فيها إيجاد قوة أى عاطفة للعقل الباطن لكي « يجيش » كما يقول شوق . وهذه القوة تحتاج الى مدة . ولكن اذا كانت العاطفة شديدة كوت الصديق مثلاً فان القوة تجيش بسرعة وتوانى صاحبها على تأدية عمله كما حدث لمطران (عن المجلد السادس والثلاثين)

ماذا يقرأ الجمهور

تجربة السير ارثور كيث

السير ارثور كيث عالم كبير يختص تقريبا بالبحث عن اصل الانسان وتطوره ولكنه لا يخشى الدخول في بحوث أخرى ليس لها علاقة بموضوعه الاصلى . وقد طرق موضوعا طريفا وهو البحث عما يقرأه الجمهور الانجليزى ، وقام لتحقيق ذلك بتجربة حسنة يمكن القارئ الذى يريد أن يقف على ما يقرأه الجمهور المصرى مثلاً ان يقوم بها ايضا ويعرف منها اتجاه اذواقنا وميولنا وقد مهد لتجربته بكلمة قال فيها : « هل الانسان كائن عاقل يعتمد على ذهنه ؟ ان كثيرين من فلاسفتنا المشهورين قد نفوا ذلك عنه بلججة التأكيد ، ولكننا نسير في هذه الحياة ونحن واثقون بخطأ فلاسفتنا ولو الى حد ما . ولكن ماهو هذا الحد ؟ وكيف نهتدى الى الحقائق التى يمكننا ان نعتد عليها في الاجابة عن هذا السؤال ؟

« يبدو لى انه يمكننا ان نظفر بجواب لهذا السؤال بطريق لم يكتشف ويدرس بعد . أليس في الصحف التى نقرأها كل يوم ما يظهرونا على ميولنا الطبيعية وبناء عقولنا ؟ انى واثق بان الصحف اليومية تعكس عقلية القراء . فان بين محررى الصحف منافسة حادة في تزويد الجمهور بالاخبار التى يشتاق اليها . ويمكن ان يوجد محرر كبير ينشد تربية قرائه ، ولكن المحرر الناجح الذى سير غور الطبيعة البشرية يقدم للجمهور ما يسيغه . ومعظمنا يتقبل من جريدة الى اخرى الى ان يقع على احدى الصحف التى تدانى اذواقه . وبذلك يمكننا ان نقول ان صحف البلاد توضح لنا عقلية السكان « واذا فنجح أحد المحررين فى اصابة ذوق الجمهور فسرعان ما نجد شخصا آخر قد برع فى فهم الطبيعة البشرية ، نعى به التاجر صاحب الاعلانات . فانا يمكننا ان نعرف من نقائص الانسان وتقلبات اذواقه وحاجات جسمه وعقله من أعمدة الاعلانات فى الصحيفة كما نعرفها بما يكتب فيها باشراف المحرر ... وبعد هذه المقدمة المثيرة عمد السير كيث الى شرح تجربته . فانه اختار خمس صحف ورتب اخبارها واقوالها واعلاناتها . وهذه الصحف الخمس قد اختارها بحيث تمثل رأى العام الانجليزى

من جميع الطبقات . وهذه الصحف هي : جريدة من جرائد الصباح المحترمة (وأغلب الظن انه يقصد بها الشمس) ، وجريدة أخرى من جرائد الصباح العامة التي يقبل عليها الجمهور وجريدة من جرائد الاحد التي تنشر في الاقاليم ، ثم جريدة المانشستر جارديان وهي جريدة الطبقة المستنيرة في شمال انجلترا ، وجريدة الانتيج نيوز وهي اوسع الصحف المسائية انتشارا في لندن

وأول ملاحظة السير كيث ان هذه الصحف تكاد تكون خلوا من اخبار البر والاحسان أو هي لم تزد عن جزء من مائة من الاخبار . ولكنه عزا ذلك الى ان الصحف تتحاى هذه الاخبار لانها تعرف انها اذا فتحت هذا الباب لم تنسج اعمدتها لطلب الصدقات من الجمعيات الخيرية وما شاكلها ثم نظر في الدين فوجد ان جريدة الشمال تخصص من صفحاتها واحدا في المائة لاجاره بينما صحيفة لندن والمحترمة لم تخصص لهذه الاخبار سوى ٧٠ في المائة . اما الجرائد الاخرى فليس فيها شيء من الكلام عن الدين . وقال السير كيث عن هذه النقطة : « واضح من هذا ان الصحف لا تمثل افكارنا واحساساتنا الدينية من حيث العمق او النشاط لاني اعتقد انها تشغل أكثر من واحد في المائة من انتباهنا اليومي . او هل نحن لا نؤمن حقيقة بالدين كما ندعي ؟ »

ثم بحث عن العلم فوجد ان صحيفة الشمال تمتاز على صحيفة لندن « المحترمة » من هذه الناحية فان العلم يتحيز من اعمدتها في المائة بينما هو نصف ذلك في صحيفة لندن . اما في الصحف العامة الاخرى فالعلم لا يتحيز منها سوى ١ في المائة . وصحف الاحد لا تخصص له سوى نصف في المائة وهذا مع العلم بأنه تسامح في معنى « العلم » فضمنه كل شيء كتب في هذه الصحف عن الصحة والطب وقصص التاريخ الطبيعي والتنبؤات عن الجو

ولكن القارئ يمكنه أن يكون على شيء من « النشاط الذهني » ولو لم يقرأ العلم . ففي الصحف أشياء أخرى غير العلم جميعها السير كيث تحت عنوان « الاخبار الذهنية » وهي : المقالات الافتتاحية مهما كان موضوعها والمقالات الادبية والوصفية والتي تعالج الموضوعات العامة ونقد الكتب واخبار التعليم وتقاريره والقصص والالغاز المتقاطعة . فوجد ان جريدة الشمال تخصص ١٣ في المائة منها لهذه الاخبار تليها في ذلك جريدة الاحد التي خصصت ١٠ في المائة منها ثم جريدة المساء في لندن وقد خصصت ٨ في المائة ثم الجريدة « المحترمة » التي خصصت ٦ في المائة ثم جريدة الصباح العامة وقد خصصت « للنشاط الذهني » ٥ في المائة

وبحث القنون فوجد ان كتبها في الصحف الخمس لا تزيد إلا قليلا عن العلم . فاين تكون إذن سائر اعمدة الصحف وماذا يقرأ القراء فيها ؟

يقول السير كيث ان معظم ما تملأ به اعمدة الصحف ينقسم الى ثلاثة اقسام هي :

- ١ - الصناعة والاعمال ٢ - الرياضة بجميع انواعها ٣ - الحوادث والبؤس والمحكم
- فقد وجد ان الصحيفة « المحترمة » تخصص ٣٣ في المائة من اعمدتها لاجار الاعمال والصناعة بينما جريدة الشمال تخصص ٢٦ في المائة . أما جريدة الاحد فقد قنعت بسبعة في المائة . وهنا يقول : « ان اهتمامنا بالدين والفنون والآداب والعلوم لا يمكن ان يقابل باهتمامنا بالاعمال والصناعة »

ثم يقول : د ان عطشنا للاخبار الخاصة بالطلاق والقذف والقتل والانتحار والحراق والحوادث والمواقف الخطرة لا يطفأ . فان هذه مسائل تخاطب فيها أعرق النواحي في طبيعتها واقدمها . . .

ووجد ان الصحيفة « المحترمة » تخصص لهذه الاخبار ٣ في المائة فقط من أعمدها وجريدة الشمال أقل منها ولكن الجريدتين الاخرين تزيد قليلا في كمية هذه الاخبار . اما جريدة الاحد فانها ترصد ٢٥ في المائة من أعمدها لهذه الاخبار

أما في الرياضة البدنية فان صحيفة الشمال أى (المانشستر جارديان) تفوز في الميدان فان هذه الاخبار الرياضية تتحين منها ١١ ر ٧ من مجموعها . وهنا يقول السير كيث : « ان النشاط الذهني والرياضة لا يتعارضان فكلهما يروج في شمال إنجلترا » أما الجريدة « المحترمة » أى التيمس (كما نظن) فقد خصصت للرياضة ٥ ر ٧ في المائة منها . وخصصت جريدة الاحد ٥ ر ١٤ في المائة للرياضة وأما الجريدتان الاخرتان فقد بلغ المخصص منهما لهذا الغرض ٩ في المائة

وقد عقب السير كيث على هذا البحث بمجمل ملاحظات قال فيها : « ان حب الرياضة قوى في الانسان وهو قوى لانه يوقظ ويلهب رغبتين من اعرق واقدم رغباتنا المتأصلة همارغبة المنافسة ورغبة الكسب . فالمنافسة والمجاهدة للربح هما مسرات الرياضة الحقيقية . وآخر الاشياء التي يمكن الناس ان يتساعوا فيها هو الحياة الهادئة المتجانسة . فهم يظلمون ماثير ويبيعون ويظفرون به بالمخاطرة أى انهم يخاطرون بالحسارة ويأملون في الربح . . . وقد لانبج الرياضة بجميع مظاهرها ولكنها لانستطيع ان نكر انها تفتح بصيرتنا في فهم الطبيعة البشرية »

ثم يقول في ختام كلامه : « لا يظن القارىء اني شخص سام انظر من عل واستصغر شأن سائر الناس . فاني واحد منهم عندى ميول الناس ونقائصهم . وانى أعترف بأن أول شيء أقرأه في الصحف هو ما خص الرياضة ولا انظر فيما يخص النشاط الذهني إلا في الآخر . والاحظ أن زوجتي مثل سائر النساء الطبيات أول ما تنتاول الصحيفة تنظر في اخبار المواليد والوفيات والاعراس ثم الاعددة الخاصة بالازياء . وغرضي هو ازالة الوم الذي يتوهمه البعض من ان الانسان قبل كل شيء . كأن مفكر يعتمد على ذهنه . فانه كذلك بالتعليم ولكنه ليس كذلك بالطبيعة . وليس شك في ان عليه ان يجتهد لكي يجعل عقله دليله وهاديه في تيه الحياة . ولكن معانية طبيعته كما تبديها اعمدة الصحف التي يشتريها ويقرأها تثبت لنا ان الذي يسيطر على طبيعته ليس هو الجانب الذهني بل هو جانب العاطفة والشهوة . فالانسان هو في لبابه حيوان القلب وليس حيوان العقل وعلينا ان نذكر ذلك كلما فكرنا في مستقبله »

(من المجلد السابع والثلاثين)

خدمة الفكر في عصر المادة

بقلم الاستاذ اميل زيدان

زراع الفكر والمادة قديم لم يخمد يوماً . ومع أن الغلبة في النهاية للفكر فدون تغلبه عقبات وأهوال وضروب من الألم والاضطهاد

أجل يفوز الفكر في آخر الامر ، ولكنه لا يبلغ القمة إلا على اشلاء خدامه
كل المراحل التي قطعها البشرية انما كانت بفضل قلة ممن في صدورهم لهب مقدس . ولكنهم -
والأسف - كانوا في الغالب يحترقون ليددوا الظلمات ويضيئوا العالمين

قال برليوز الموسيقي الكبير وهو على فراش الموت : « الآن ستذبح مؤلفاتي وتتداولها
الأيدي .. »

هذا في الغالب نصيب رجال الذهن وخدام الفن . فانهم ما برحوا منذ القدم مغموطي الحق لا ينالون
الجزء العادل لما ينتجون . وكثيرا ما يقضى العبقري حياته في شقاء العوز حتى اذا قضى ناله من التقدير
ما لو نال بعضه في حياته لرد عنه غائلة الدهر واتاح له العيش في رغد وهناء

وهذا الاجحاف قد زادت وطأته كما زاد قبحه في كنف هذه الحصار - هذه الحصار التي سخرت
المادة واقامت على اساسها صرحها العظيم فاذا بهذا الصرح يخنق روحها ويكتم انفاسها ، فبعد ان كانت
المادة هي الخادم أصبحت هي المخدوم ..

إن حضارتنا الحالية مصابة « بتخمة » مادية فقد طغت المادة على الفكر وأصبحت الكلمة لها في
البدء والنهاية . فقيم الاشياء وقيم الناس مرتبة بحسب سلم حسابي مادي لا شأن فيه للعناصر الروحية .
لجمال النفس لا يكاد يقدم فيه درجة ولا سمو الفكر أو رقي الفن والادب

فكم حولنا من ثراء وقع هبط عفواً ، وكم من ذهن يتألم وهو عامر بضروب الحسن الروحي . كم
من « بضاعة مادية » تافهة تروج وتجلب لاصحابها أطيب المتع ، في حين لا يجد اصحاب « البضاعة
الذهنية » منفذاً لأفكارهم أو متنفساً يخفف الضغط عن صدورهم !

لا يسمع من ينشد العدل إلا أن ثور نفسه أمام هذه المظالم . ولكن هذه الثورة لا تتعدى في
الغالب سناً معينة . ففي عهد الشباب حين يستفزنا كل ما هو جميل ويملك علينا مشاعرنا نحس الحيف
الواقع على خدام الفكر والجمال وتألم نفوسنا لدى المحن التي تصيبهم حتى اذا فنلت الايام فينا فعلمنا
تبلدت مشاعرنا وتيسست عواطفنا وألفنا ما حولنا من صنوف الظلم

ان غضبات الشباب وثوراته الجيئة لا تلبث ان تتحول مع السنين الى رضى بالامر الواقع
واستسلام لاحكام الزمان - وكما للزمان من حيف وارهاق !

من هؤلاء المظلومين فئة أود أن أخصها بكلمة وهي فئة الادباء والشعراء . وهل من حاجة الى
تبيان شأن هذه الفئة في حياة الامة ؟ من الناس طائفة عييت قلوبهم إلا عن مطالب الجسم . يسألونك :
ما فائدة الادب وما فائدة الشعر ؟ وما سؤالهم هذا إلا كمن يسأل : لماذا خلقت الازهار ولماذا تصدح
الاطيار في الحقول ؟

خلق الانسان وله رجلان يمشى بهما على الارض ، ولكن له أيضا عينان يجوب بهما أطراف السماء ،
وله كذلك وجدان يخلق به في الفضاء غير المتناهي . فالزروع الروحاني أصيل في طبيعته وليس بالخيز
وحده يحيا الانسان

ثم اسمع قول جوته : ان انحطاط الادب في أمة نذير بانحطاط تلك الامة
واسمع قول الاخر : الامة التي ليس لها أدب قومي حقيق بأن يمدو حدود بلادها - هذه الامة
تظل محقرة لاشأن لها في نظر الامم الاخرى

فالادب اذن لا تقتصر فائدته على ما ينشره في النفوس من لذة روحية ومتعة ذهنية بل هو عامل
خطير في تعزيز الحياة القومية ورفع شأن الشعوب

ولو أن النفس تبدو للعين كما يبدو الجسم لتغير نظرنا الى الناس أيما تغير . . فكما من جميل يصبح
قييحا وكما من قبيح يصبح جميلا

ولكن سواد الناس قلما يحفلون بما يجاوز حواسهم ، فهم يحكمون على ما يرون ويسمعون
ويلبسون . . على أن سمة الرجل المثقف ، انه لا يقنع بما يبدو له أول وهلة بل ينفذ فكره إلى الباطن
باحثا عن الجمال الخفي - جمال الذهن والروح

حبذا العلم بدون هوم المادة ، وحبذا الفن والادب بدون ارهاق الحاجة ... ولكن الاقدار قد
حكمت بغير هذا ، فالعالم والفنان والاديب وسائر خدام الفكر والذهن ، في حين يقوم على اكتافهم رقى
البشر وتقدم الحضارة ، لا يبالون عشر معشار ما يستحقون

فهل من وسيلة الى تلطيف هذا الحكم القاسي ؟

أمامنا ظالم ومظلوم . فلنتنظر قليلا في أمرهما

أما الظالم فهو المجتمع أو بالحرى نظامه الذي قصر عن اعطاء كل ذي حق حقه . فكيف نهديه
سبيل الصواب والانصاف

ليس ثمة غير وسيلة واحدة - تهذيب الرأى العام ورفع مستواه بحيث تعدل في نظره قيم الاشياء
وقيم الناس فيضع في الرأس من هو حقيق بالرأس وفي الذنب من كان بالذنب أخرى
وإذا كانت الامة كالجسم فرجال الذهن منها بمنزلة الرأس ، هم الدماغ الذى ينبغى أن يسيطر على
الأعضاء ويقوم لديها مقام المرشد الهادى

هكذا صور افلاطون جمهوريته الفاضلة فقد وكل امرها للحكام والعلماء

ولكن الوصول الى هذه الغاية يقتضى أجيالا من التهذيب - يجب أن نروض نفوسنا على اكبار
العناصر المعنوية واحلالها محل الارفع من حياتنا - يجب أن نغرس الثقافة في نظراتنا بمنزلة الحاجة التى
لاغنى عنها - وما هي اليوم إلا في عداد الأمور الكيالية

وأما المظلوم فهو العالم أو الاديب أو الشاعر أو غيرهم من صرعى الحقيقة والجمال - فهل في
استطاعة الواحد منهم أن يخفف شيئا من وطأة الظلم الواقع عليه ؟

أجيب بلا تردد : نعم في استطاعته أن يدبر امره الى حد كبير . لقد ألفنا أن نسمع عن رجال
الفن والادب أنهم لا يحفلون بالماديات - كأن العوز زينة الفنان والاديب ، وعرفانهم بأنفون من النظام
والترتيب ، فنفسهم أبداً متمردة تأبى الخضوع والانقياد

ولكن هل يضرهم لو أنهم حسبوا لهذه الدنيا حساباً ولو ضئيلاً ؟ ليقدر الفنان فنه وليقدس
الاديب أدبه ... ولكن هل يستدعى ذلك أن ينسى حقائق الحياة الاولى ؟ كلا ... يمكنه ان يحفظ
فنه أو أدبه في منجاة من كل درن وفساد ، وفي الوقت نفسه يلتفت الى مقتضيات العيش فيمنحها قسطاً
من عنايته ، بل أذهب الى أبعد من ذلك فاقول انه اذا عرف كيف ينظم حياته من الوجهة المادية سهل
عليه أن يحفظ بفنه سلبيا وبأدبه معززاً نقياً

اذا كان للاديب أو الفنان أن يحتقر الماديات فلا يستعبدن نفسه لها ، فما الحاجة الانوع من
العبودية . فليضمن لنفسه الكفاية أولاً - بأدبه أو بوسيلة أخرى - حتى اذا ضمن القدر الادنى أمكنه
أن ينصرف لما يصبو اليه فواده من مناجاة آلهة الفنون الرفيعة

والخلاصة ان المجتمع مقصر في منح رجال الذهن مكانهم الجدير بهم ، ولكن رجال الذهن -
أيضاً - كثيراً ما يقصرون في مساهرة المجتمع وإدراك مقتضيات العيش

يجب على المجتمع أن يفهمهم كما يجب عليهم أن يفهموه

(عن المجلد الاربعين)

فهرست

صفحة	صفحة
تاريخ الهلال في ٤٠ سنة ٣٦	مقدمة ٥
بعض ما قيل في الهلال ٤١	
دار الهلال ومجلاتها الآن ٤٣	
القسم الثاني	القسم الاول
تطور العالم في ١٠ سنة: في عالم السياسة ، ٤٧	مؤسس الهلال : تاريخه في صفحة ٩
في عالم الاقتصاد ، في عالم الاجتماع ٥٧	آثاره ١٠
نظرات إلى المستقبل :	مقتطفات عما قيل في مؤسس الهلال : ١١
الانسان . لمكسيم جوركي ٥٨	مقال للمرحوم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي ١٤
عصر المفاجآت . للدكتور جيمس روبنسن ٦١	قصيدة للمرحوم حافظ بك ابراهيم ١٥
عصر الاضطراب . لجوليو فريرو ٦٣	مقال للمرحوم جبران خليل جبران ١٦
مستقبل الاكتشافات العلمية . للدكتور آيوت ٦٥	كلمة للمرحوم الدكتور شبلي شميل ١٧
مستقبل الطيران . للاميرال بيرد ٦٥	قصيدة للمرحوم ولي الدين بك يكن ١٨
	كلمة للمرحوم سليم سر كيس ١٨
	قصيدة للمرحوم حفي بك ناصف ١٩
	من خطبة للمرحوم نعيم بك شقير ٢٢
	كلمة للمرحوم رفيق بك العظم ٢٣
	قصيدة للمرحوم احمد شوقي بك ٢٤
	مقال لخليل مطران ٢٦
	قصيدة لخليل مطران ٢٧
	من خطبة للاستاذ داود بركات ٢٩
	قصيدة للدكتور ابراهيم شدودي ٣٠
	كلمة لاحمد بك حافظ عوض ٣١
	من خطبة لانطون بك الجليل ٣٤
	مقال للاستاذ سامي الجريديني
القسم الثالث	
مختارات من مجلدات الهلال في ٤٠ سنة ٧١	
معيشة غلادستون في بيته ٧٢	
البريطانيون الاصليون الى الفتح الروماني ٧٤	
تاريخ مدينة القاهرة ٧٦	
لغات العالم ٧٨	
ماهو الادب ؟ ٧٨	

صفحة	صفحة
الحرب: هل تبطل من الارض ١١٨	العمل وطول العمر ٧٩
الجرأة الادبية أو الجرأة في الرأي ١٢١	طعام الامم القديمة ٧٩
ماذا يشعر الطيار؟ ١٢٤	اقدم أنواع اللباس ٨١
لماذا نضحك؟ ١٢٥	اختراع المنظار ٨٣
متى يجب أن أتزوج؟ ١٢٧	الشاي: منافع ومضاره ٨٣
الجبارة . لجبران خليل جبران ١٣٠	الطريقة الطبيعية لاختراع الكتابة ٨٥
هل يعيش الإنسان بلا دماغ؟ ١٣٢	مخترع عيدان الكبريت ٨٧
العظمة . بقلم السيد مصطفى المنفلوطي ١٣٤	دلالة الاحداق على الاخلاق ٨٧
مسررات العمل . بقلم خليل مطران ١٣٧	لفظ جنه ٨٩
لكي تكون سعيداً ١٣٩	دلالة الازياء على الاخلاق ٨٩
كن سعيداً . بقلم الأنسة مى ١٤٠	كيف تتحمل المصائب ٩١
الشعر الذهبي ١٤٣	تاريخ الرقص ٩٢
قواعد لتقوية ذاكرتك ١٤٣	ياأجوج ومأجوج هم التتر والمغول ٩٣
هل تود ان تعرف رأى الناس فيك؟ ١٤٤	احفظ شبابك والكهولة تحفظ نفسها ٩٧
بين الشرق والغرب . بقلم الدكتور طه حسين ١٤٦	اصل الوسامات (النياشين) ٩٨
الصحافة والادب . بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد ١٤٧	العرب واختراع البارود ٩٩
هل تدوم نهضة الاتراك؟ . بقلم فيلسوف العراق السيد جميل صدق الزهاوى ١٤٩	الرياضة البدنية عند قدماء المصريين ١٠١
السعادة وأركانها الاربعة . بقلم أمين الريحاني ١٥١	لفظ الشهر ١٠٣
كيف يفكر الاديب : المنفلوطى . شوقي . حافظ . مطران ١٥٤	لفظ خديوى ١٠٣
ماذا يقرأ الجمهور: تجربة للسير ارثر كيث ١٥٧	المجاملة من آفات الهيئة الاجتماعية ١٠٤
خدمة الفكر في عصر المادة . بقلم الاستاذ اميل زيدان ١٦٠	حب الشهرة من دعائم العمران ١٠٦
	هل الانسان شخصان ١٠٨
	رباطة الجأش عند الموت ١١١
	اقدم مدن العالم ١١٢
	حرية القول عنوان ارتقاء الأمة ١١٣
	هل السوريون عرب أو مام ١١٥
	اقصى امانى الانسان في الحياة الدنيا ١١٦

Bibliotheca Alexandrina



0409813